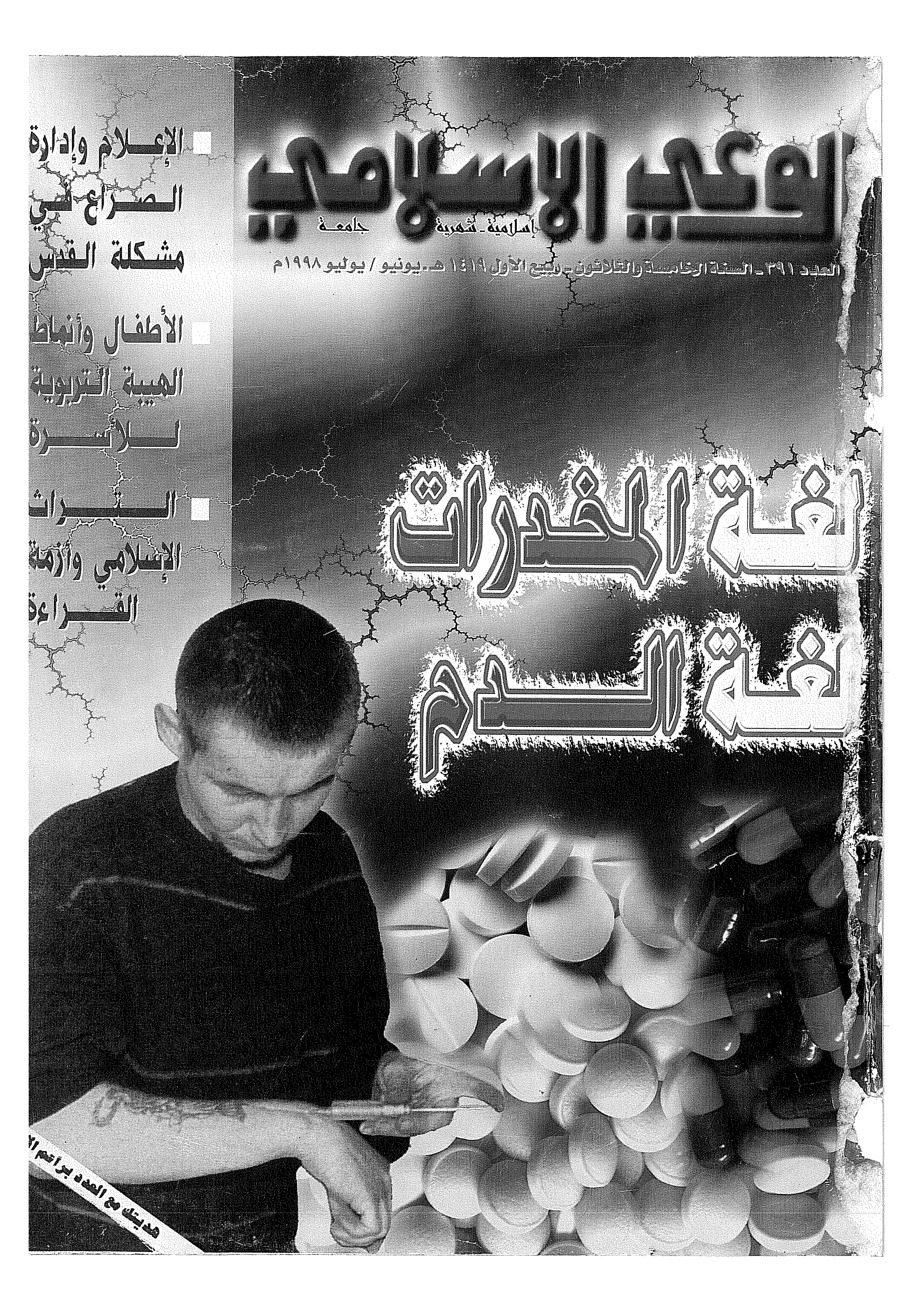

الوعي الإسلامي
إسلامية - شهرية - جامعة
العدد ٣٩١ - السنة الخامسة والثلاثون - ربيع الأول ١٤١٩ هـ - يونيو / يوليو ١٩٩٨م
لغة المخدرات
لغة الدم
الإعلام وإدارة
الصراع في
مشكلة القدس
الأطفال وأنماط
الهيبة التربوية
للأسرة
التراث
الإسلامي وأزمة
القراءة

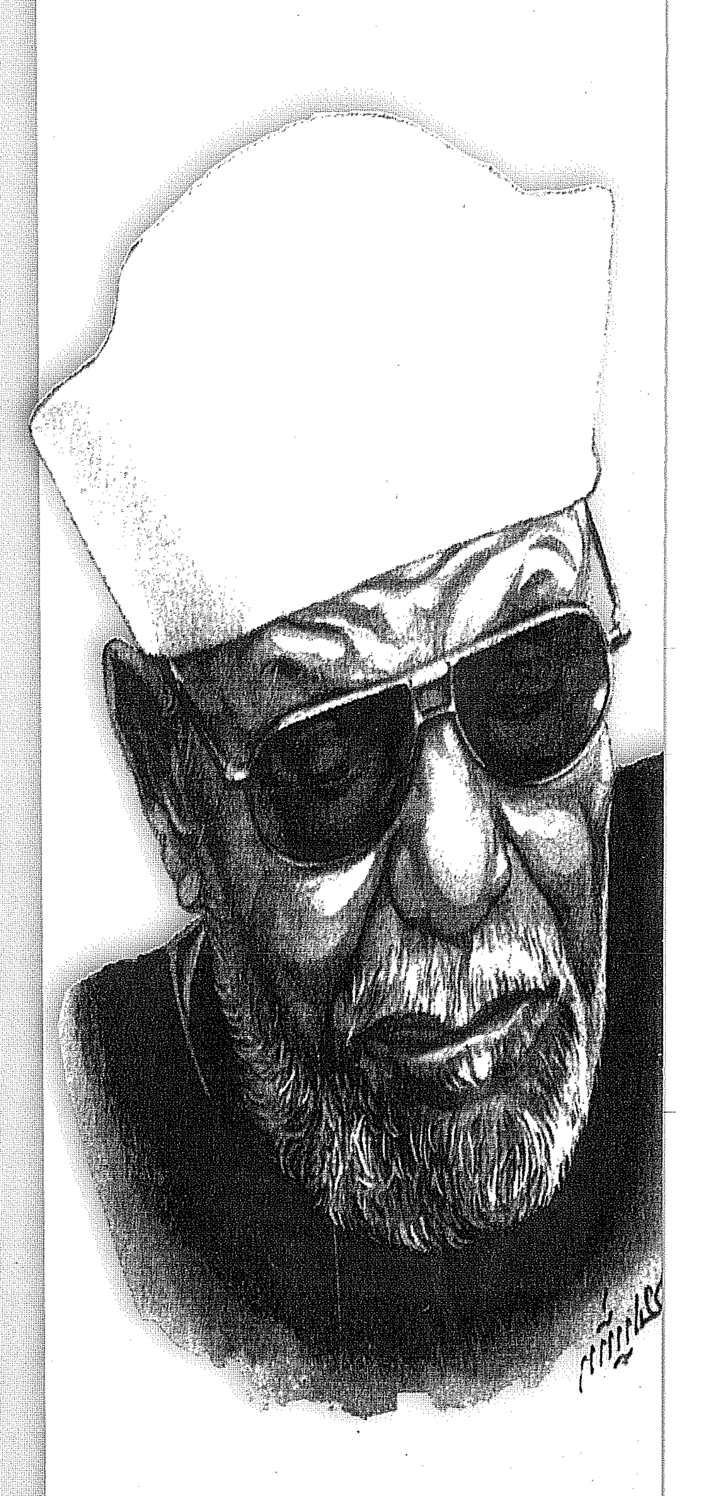
بسم الله الرحمن الرحيم

تنعي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت

إلى العالم الإسلامي وفاة العالم الجليل

فضيلة الشيخ
محمد متولي الشعراوي



وبفقده فقد العالم العربي والإسلامي علماً من العلماء العاملين المجتهدين، عالماً نذر نفسه لخدمة كتاب الله - عز وجلّ - والدعوة إلى الله بصدق وبصيرة.

وقد كان أسلوبه العلمي والدعوي مميزاً تأثر به العالم العربي والإسلامي.

وهب الشيخ نفسه حتى آخر لحظة من حياته لخدمة دينه وأمته ولم يمنعه كبر سنه ولا مرضه من العطاء والجهاد بالكلمة الصادقة.

فكان - رحمه الله تعالى - في كلمته وقلمه ناصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم.

رحمه الله رحمة واسعة وأنزله منازل الصالحين وألهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩١. السنة الخامسة والثلاثون

ربيع الأول ١٤١٩ هـ. يونيو / يوليو ١٩٩٨م

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 الكويت

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

ذكرى المولد ومنهج الوسطية

أعزاءنا القراء:

يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام بذكرى مولد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم في أمس الحاجة إلى العودة إلى الرسالة السماوية التي تحمّل عبئها هذا الرسول القدوة لتكون هادياً لأجيالنا ـ في كل عصر وحين ـ في فهم واقعهم ومتطلبات عصرهم، ومن هذا المنطلق لابد أن نقتدي بصاحب هذه الذكرى العطرة في رسم طريق الخلاص من واقعنا المتردي في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية... آخذين بعين الاعتبار مبدأ الجمع بين الأصالة والتجديد في معادلة متوازنة لا يطغى فيها جانب على آخر، مستثمرين إمكانات المسلمين المادية والبشرية لتحويل المآسي الإسلامية إلى دافع إيجابي وعلى كل المستويات لعودة الإسلام إلى المجتمع وإنقاذ البشرية من مشاكلها المحفوفة بالمهالك، فالإسلام الذي جاء به صاحب الذكرى لديه الحل لأنه دين الوسطية والاعتدال والتوازن وصدق الله العظيم: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة: ١٤٣.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

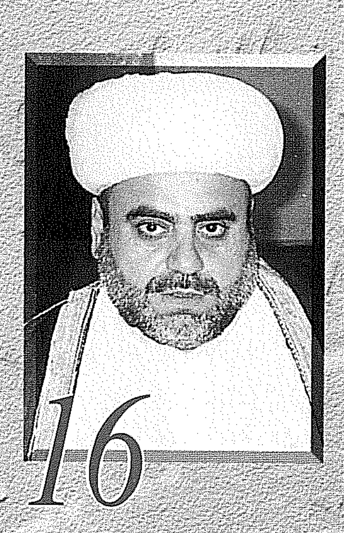
الكويت: ٣٥٠ فلسا ـ السعودية: ٤ ريالات ـ البحرين: ٣٠٠ فلس قطر: ٤ ريالات ـ الامارات: ٤ دراهم ـ سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة الأردن: ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع: جنيه مصري واحد ـ السودان: ٥ جنيهات موريتانيا: ١٢٠ أوقية ـ تونس: دينار واحد ـ الجزائر: ٥ دنانير اليمن: ٥ ريالات ـ لبنان: ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا: ٢٠ ليرة ـ المغرب: ٦ دراهم ليبيا: ٥٠٠ مليم ـ اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع: شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد

حوار

مع مفتي أذربيجان



16

مفتي أذربيجان شكر الله باشا زادة في حوار الوعي الإسلامي معه يسلط الضوء على الكثير من القضايا التي تهم أذربيجان والعالم الإسلامي.

طالع تفاصيل الحوار

تحقيق

كوسوفا تاريخ طويل من الاستعمار والمذابح



20

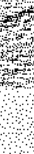
محنة مسلمي كوسوفا ليست وليدة الظروف الراهنة وإنما هي سلسلة من الآلام ضاربة في عمق التاريخ تحكي قصة شعب مكافح من أجل الحفاظ على هويته.

دراسة أدبية

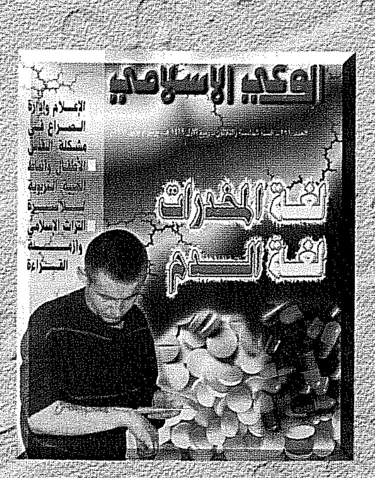
هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً ؟

في دراسة أدبية للدكتور جابر قميحة يتساءل الكاتب: هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً؟ وما العلاقة بين الأدب الإسلامي والأديب؟

30







تراث

التراث الإسلامي وأزمة القراءة

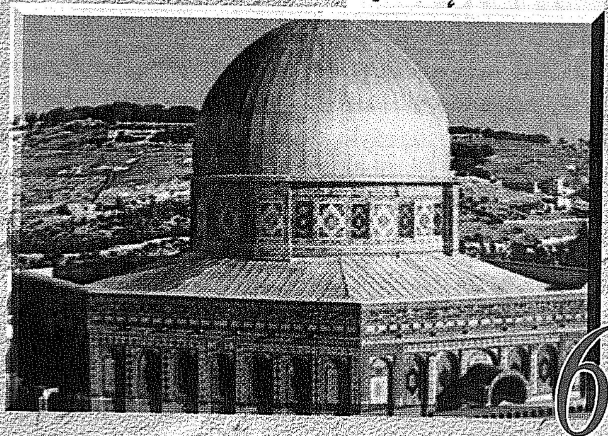
دراسة التراث ونقد التراث وتشريح التراث باتت عناوين تملأ الساحة الثقافية العربية في سياق حركة فجائية تتجه نحو معانقة قضايا التراث ترى ما سر هذه القضية الثقافية؟

40

في الأعداد المقبلة

- دلالة الشهادتين على جوهر الإسلام ومراميه. — د. أحمد أحمد منصور نفادي
- تعدد الزوجات في ظل التشريع الإسلامي. — د. أحمد الحجي الكردي
- التركيب والتصوير في سورة الطور. — د. طارق سعد شلبي
- المناورات المشتركة مع الدول الكبرى وتوجيهات الإسلام — اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
- انحطاط الأمم: الاتحاد السوفييتي نموذجا. — غازي التوبة
- جريمة السرقة ... الأسباب والآثار والعلاج — محمد يوسف الجاهوش

إعلام

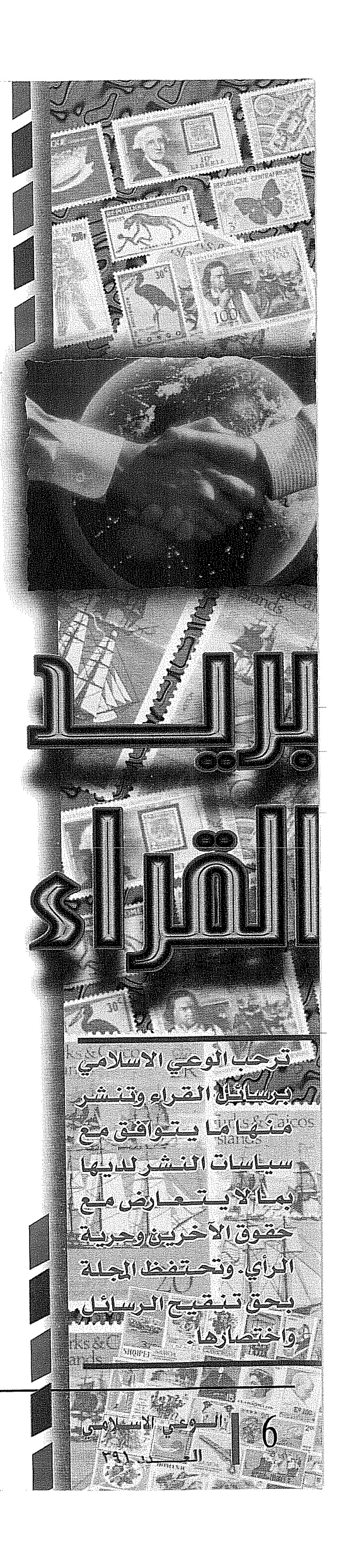


65

الإعلام وإدارة الصراع في مشكلة القدس

إدارة الصراع في قضية القدس لابد أن ترتكز على قواعد أساسية ومتشعبة ترتبط بأبعاد عسكرية وحضارية تقوم وسائل الاتصال بترجمتها إلى مؤثرات فعّالة على الصعيدين الداخلي والخارجي.

الفهرس



صناعة المفكر المستغرب !!

يقول جان بول سارتر في مقدمة صدَّر بها كتاباً لفرانس فانون «معذبو الأرض» مشيراً إلى أسلوب صناعة المفكر الشرقي في الغرب ومجال استحداثه، كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا، وركوب عرباتنا، وكنا ندبر للبعض منهم أحياناً زوجات أوروبيات ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية.

كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا ثم نرسلهم إلى بلادهم وأي بلاد!؟ بلاد كانت أبوابها مغلقة دائماً في وجوهنا، ولم نكن نجد منفذاً إليها، كنا بالنسبة إليها رجساً ونجساً، ولكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم، كنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس «الإخاء البشري» فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي أفريقيا أو الشرق الأوسط أو شمالي أفريقيا.

كنا نقول ليحل المذهب الإنساني، أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة، وكانوا يرددون أصواتنا هذه في أفواههم، وحين نصمت إلا أننا واثقون من أن هؤلاء المفكرين!! لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعناه في آذانهم وعقولهم؟؟!! يبقى علينا أن نعرف كم تطورت وسائل الاتصال وأجهزة الإعلام ومراكز المعلومات وصناعة الاهتمامات ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة تعتم على الناس بيوتهم فكيف بنا في مرحلة الأقمار الصناعية، ولقد قال شمعون بيرنر في بعض أحاديثه لنا «نحن الذين سنغير العالم العربي وبواسطة ذلك الطبق الصغير الذي يضعونه على أسطحة منازلهم.

مصطفى إبراهيم مرسي مخيمر مصر

من رأى منكم منكراً

لقد ذهلنا عندما قرأنا في مجلة الوعي الإسلامي الغراء مقالاً سبق نشره بالنص في كتاب آخر يرجع تاريخ نشره إلى خمس سنوات مضت.

المقال بعنوان «منهج ابن سينا في علاج العشق» العدد ٣٨٩ الصادر في مايو من العام ١٩٩٨م ص ٨٠ - ٨٢، والكتاب المأخوذ منه هو «الطب النفسي عند العرب» نشرته دار النهضة العربية في لبنان للكاتب نفسه، وفي ذلك خيانة للأمانة وخروج على قيم النشر وآدابه وأصوله الأخلاقية.

والله المستعان.

القراء: مصطفى محمد عثمان - محمد مصطفى بسيوني - فاطمة محمد سعيد:

مجلة الوعي الإسلامي تشكر قرّاءها الكرام على ثقتهم الغالية بها، وغيرتهم الشديدة عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أين رجال الأزهر وأبناؤه ؟

لم يعد للأزهر رقابة على الوسائل الإعلامية بما ينشره أو يبثه الكثير منها بغرض تدمير الجيل الناشئ، فكان يجب على وسائل الإعلام بما لها من دور ريادي مرموق بين وسائل الإعلام الأخرى العالمية أن توجه الشباب الوجهة الدينية، ولكن عندما قلت رقابة الأزهر عليها أو تناست رقابتها ودورها في الإشراف على البرامج الإعلامية كثرت أخبار الجنس وعرض الأزياء والأفلام الفاضحة الخليعة في شاشات جميع وسائل الإعلام وفي صفحات الجرائد والمجلات. من هنا كان يجب على الأزهر أن يفسح المجال لكثير من علمائه المخلصين لينشروا أو يقولوا كلمة حق.

وحيث تحررت وسائل الإعلام من ميزان الشرع، وخضعت لميزان الهوى، مما جعلها مصدراً خطيراً من مصادر التطرف والإرهاب التي يجب أن يصحح مسارها، وأن يوقف فسادها وشرها، وإلا خرج بسببها جيل يتمرد على الواقع الفاسد الأليم، ويكون حرباً على بلده وأمته على النحو الذي نعيشه الآن ونعاني منه، فهل تجد هذه الكلمات طريقاً إلى آذان العقلاء؟ نسأل الله القبول؟

حمدي عبدالحكيم سعد

استفسار

الإخوة في مجلة الوعي الإسلامي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سمعنا كثيراً عن الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت ويسرني وإخواني القراء أن تقدموا نبذة عنها باعتبارها عملاً فقهياً عظيماً يهم شريحة كبيرة من المثقفين والمهتمين بالأمور الشرعية وجزاكم الله كل خير.

عبدالحميد بو إبراهيم - المغرب

* المحرر: الموسوعة الفقهية عمل جليل تقوم به وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت منذ العام ١٩٨٠م، حيث صدر العدد الأول منها وقد بدأ أول تفكير وتخطيط لإصدار الموسوعة في العام ١٩٧٥م، حيث شكلت لجان من العلماء والخبراء والباحثين للإعداد والتخطيط لإصدارها والموسوعة مرتبة مصطلحاتها حسب الحروف الهجائية، حتى يسهل على الباحث والقارئ الوصول إلى المعلومات وفي الموسوعة كلها ٤٠٠٠ مصطلح فقهي والمصطلح الفقهي مقصود به لفظ عنواني له مدلول خاص في الفقه الإسلامي ولجمع وترتيب هذه الألفاظ فقد راجع العلماء والباحثون العاملون في الموسوعة أكثر من ٥٠٠ كتاب استخلصوا منها المصطلحات وغيرها، والموسوعة تبحث في المذاهب الأربعة وتتبع طريقة الاتجاهات فإذا كان مذهبان أو ثلاثة متفقة في رأي توضح الموسوعة ذلك، ومن المتوقع أن يصل عدد الأجزاء بعد اكتمال الموسوعة إلى (٤٥) جزءاً، وبعض حروف الهجاء فيها مصطلحات كثيرة، فقد صدر لحرف الألف سبعة أجزاء، ولحرف الباء ثلاثة أجزاء، ولحرف التاء أربعة أجزاء، وقد صدر من الموسوعة حتى الآن (٣٧) جزءاً.

اقتراح

بانتهاء العام الهجري الجديد ١٤١٩هـ إن شاء الله ستكمل مجلة الوعي الإسلامي أعدادها المئة الرابعة، وهذه مناسبة جديرة بالاهتمام، ومن ثم رأيت أن أكتب هذه الرسالة مبدياً اقتراحاً خاصاً بالتخطيط منذ الآن لعقد ندوة علمية تحمل عنوان «مجلة الوعي الإسلامي وأثرها في الفكر الإسلامي المعاصر» وتعقد هذه الندوة في شهر المحرم سنة ١٤٢٠هـ إن شاء الله، ويدعى للاشتراك فيها من ترونه من الباحثين والكتّاب على أن توضع المحاور العلمية التي تغطي كل المجالات التي كان للوعي دور إيجابي فيها، وتطبع البحوث الجديرة بالطبع في كتاب يعد سجلاً تاريخياً لمرحلة مهمة من مراحل الوعي الزاهرة... وختاماً أطمع أن يكون هذا الاقتراح قد جاء في وقته المناسب، وأن يلقى لدى القائمين على الوعي الإسلامي ما يستحقه من الاهتمام والعناية، وتقبلوا خالص تحياتي وأصدق مودتي.

أ.د. محمد الدسوقي

أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول - كلية الشريعة - جامعة قطر

* المحرر: شكراً للأخ الدكتور محمد الدسوقي على هذا الاقتراح الطيب، والمجلة لديها مشروع متكامل يتضمن عقد ندوات متعددة ومنها إقامة ندوة لمناسبة مرور ٣٥ عاماً على صدور المجلة، وندوة أخرى لمناسبة مرور ٢٥ سنة على صدور براعم الإيمان وجزاكم الله كل خير.

عودة إلى ... الحضارة

طالعت في العدد ٣٨٧ مارس ١٩٩٨م - ذو القعدة ١٤١٨هـ من مجلة الوعي الإسلامي الرائدة القراءة الموجزة لموضوع الحضارة في فكر مالك بن نبي للأخ محمد الصالح عزيز، ولا يخفى أن فكر - أو بالأحرى مشروع - مالك بن نبي ما زال يشكل مادة دسمة للدرس والتحليل سواء من حيث الرؤى التي يطرحها تحقيقاً للنهضة الحضارية وعملاً على استشراف مستقبل أفضل للأمة الإسلامية، أو من حيث منهجية تناوله ومعالجته لمختلف الإشكالات التي يكابدها مجتمع ما بعد الموحدين.

وعلى ضوء ما تم التطرق إليه، نطرح بعض الآراء إثراء للموضوع وإسهاماً في تجلية بعض أبعاده من جهة أولى، وإثارة لمزيد من النقاش والحوار من جهة ثانية.

الحضارة على حد بعض الأقوال، من الحضور، أي الحضور على مسرح التاريخ البشري، بتشعب أمدائه، والإسهامات في صياغته وتشكيله من قريب أو بعيد، ورسم مسار للوقائع التي يحبل بها يوماً عن يوم، والإحاطة بها بما يمكن معه من تطوير المنظور الرؤيوي، وتعميق الوعي باتجاه الأحداث والمنحى الذي تسير فيه ومن ثم بلورة تصور بناء لما ينبغي أن تكون عليه، ويختلف في حضارة ما عن غيرها وفقاً لحجم ونوع حضورها على مسار الحياة الإنسانية اقتصادياً، واجتماعياً، وثقافياً أو سياسياً.

وعلى العكس من ذلك تماماً، نجد أن «اللاحضارة» أو التخلف، كما هو متعارف عليه، تعني التخلف عن ركب الحياة، عن عجلة التاريخ، بأحداثها، وهمومها، بتطلعاتها وبآلامها أيضاً، وبكلمة واحدة الغياب، أياً كان نوعه عن واقع الإنسان.

والإبداع، على اعتبار أنه مؤشر مركزي من مؤشرات الحضارة، يقتضي هو الآخر الإلمام بجميع الشروط المحيطة «بواقع الإبداع» إن جاز القول، ومعناه، أن يتم استيعاب جميع المعطيات وفقها: إنه جوهر الإبداع ومادته، وإلا سقط في عتمة التقليد وتكرار التجارب البائدة، وهذا عين الجمود.... والله أعلم!

د. المصطفى لضميم - أولاد عيسى - نادات - المغرب

رداً على موضوع: رؤيــة معاصـرة فـي الطـب النبـوي

كنت جلست في عطلة العيد السعيد أطالع محبوبتي «الوعي الإسلامي» الغراء واستمتعت بكل ما جاء فيها في كل أعدادها من مقالات قيّمة وبحوث فذة وآراء سديدة وأدب وثقافة وعلم على أرفع وأبلغ ما يمكن. ولكن من منطلق الغيرة والحرص على كل ما ينشر على صفحاتها ولأننا من عشاق الوعي الإسلامي ومن قرائها الدائمين ومن المتحمسين لرسالتها وخوفاً على صحة السادة القراء استرعى نظري مقال بعنوان: «رؤية معاصرة في الطب النبوي» للدكتور عبدالفتاح محمد العيسوي، ووجدته مملوءاً بالمبالغات والوصفات الطبية الخطيرة على صحة القارئ والذي يثق ولا شك في كل ما تنشره الوعي الإسلامي، فاتصلت بعميد كلية الصيدلة وطلبت منه قراءة المقال، فقرأه وتبين لنا مدى خطورة هذا المقال على صحة القراء لما جاء به من وصفات لاتصدر إلا عن طبيب متخصص في الطب الحديث وقد علمنا أن كاتب المقال متخصص في تاريخ الفلسفة الإسلامية وعلى وجه التحديد في ابن خلدون وابن خلدون مؤرخ كبير وعالم اجتماع ولا صلة له بعلوم الطب وفروعه. كما تبين لنا أن كاتب هذا المقال يكتب في كل التخصصات الأخرى معتمداً على النقل غير الدقيق، وإليكم بعضاً من هذه الملاحظات:

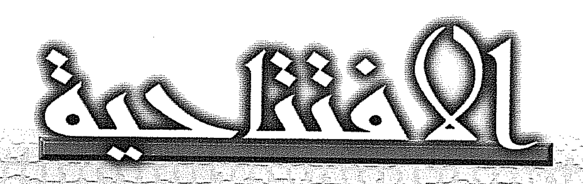
جاء في عدد شعبان ١٤١٨هـ - ديسمبر سنة ١٩٩٧م ص ٤٨ ما يلي: بداية نحن وكلية الطب كلها تؤيد بكل حزم وعزم الطب النبوي، ولكن بشرط التحقق من صدق الأحاديث دون تحميلها أكثر مما تحتمل، ويقول الكاتب إن الحبة السوداء هي حبة البركة وهذا قول مردود، لأن هناك أكثر من ١٥٠ حبة كلها لونها أسود من بينها حبة واحدة هي التي يقصدها الحديث النبوي الشريف، وهي موجودة في السعودية.

ويتناقض الكاتب مع نفسه فوراً وبعد أن قال إنها حبة البركة قال إن اسمها «الشوانيز» وينسب إليها القدرة في علاج البلغم والأورام البلغمية والرياح والنفخ والبثور والخيلان والبهق والبرص والجرب المتقرح والزكام والأمراض الصدرية والصداع النصفي والأرق والأوجاع المزمنة في الرأس ووجع الأسنان وتقتل الديدان وتدر الطمث والبول واللبن وتسقط المشيمة وتساعد في عملية الولادة... وتشفي أمراض الكلى والمثانة، وتفيد في حالات الاسترخاء والضعف، وفي علاج الاستسقاء وصلابة الطحال وتعالج البواسير ولسعة العقرب وعضة الكلب، وتطرد الهواء وتعالج الملاريا. هذه الأمور لا يتعرض لها إلا الأطباء، ونظراً لعدم تخصص الكاتب، فإنه يخطئ في اللفظة الإنكليزية لكلمة الملاريا (ص٤٨)، ويتعرض الكاتب وهو غير متخصص لعلاج الحصوة في الكلى والمثانة، ويصف معالجات الأمراض الجلدية والأذن وأمراض العيون، وبذلك يتصدى وهو متخصص في تاريخ الفلسفة الإسلامية إلى كل فروع الطب الحديث من حيث الأمراض الصدرية والجلدية والتناسلية والنساء والتوليد والأسنان والمسالك البولية والأمراض العصبية والجراحة وأمراض الشرج وكل الأمراض الباطنة وهي تخصصات متباينة لا يتعرض لها في العصر الحالي إلا المتخصصون في فروعها المختلفة، وتكمن الخطورة في إمكان اعتماد القراء على هذه المعالجات الصادرة عن غير متخصص فتكون المأساة. ونحن نرحب باستخدام الأعشاب الطبية، ولكن دلّت الأبحاث والمؤتمرات على أن ذلك لا يخلو من المحاذير ومن المخاطر، فبعض الأعشاب والنباتات سامة وبعضها ملوث وبعضها يتعارض تعاطيه مع البعض الآخر وتحديد كمية الجرعة غير محدد، ولذلك يلزم تحليل النبات وتطهيره من السموم ومن المواد الضارة والشوائب وتحديد حجم الجرعة وهي أمور طبية بحتة، وأكبر دليل على ذلك أن الحشيش والأفيون والبانجو، ونوع خاص من عش الغراب نباتات سامة وتؤدي إلى التخدير وإلى إتلاف الجهاز العصبي وإلى الوفاة ويتحدث الكاتب عن مصطلحات طبية وكيمياوية صرفة لا يعرفها إلا علماء الطب والصيدلة من ذلك «البيجيللون» ومادة «الهستامين» ويرى أنها تعالج مرض السرطان ومرض الايدز ولو كان ذلك صحيحاً لهرع العالم على الفور لإنقاذ مئات الضحايا بهذه الأمراض، ويقول إنها تقتل ديدان البطن، وأن لها زيتاً قاتلاً للديدان الأرضية والشريطية والخطافية ويقارن أثرها بدواء حديث هو البيرازين ويتحدث عن البويضات وعن ديدان الهينموليبس نانا وطفيل الجيارديا وتأثيره في الأثنى عشر هذه الأمور لا يعرفها إلا الأطباء وكاتب المقال موظف إداري في إدارة المدن الجامعية في طنطا ومتخصص في ابن خلدون، ويقول إنه يعالج البلهارسيا واختراق السركاريا للجلد ويتحدث عن قتل طفيل النوكسوبلازم المسبب للإجهاض عند الحوامل، هذه أمور خطيرة إذا تناولتها المرأة الحامل.

ويتحدث عن أمور طبية بحتة حديثاً خاطئاً عن البنسلين والاستربتومايسين والبكتريا ومكروب الكوليرا والفطريات وبخاصة فطر الاسبرجيليس وحساسية الصدر والالتهابات الشعبية الرئوية، ويعالج الأذن والجيوب الأنفية، ويتحدث عن هرمون الاستروجين وأن حبة البركة تزيد من حجم ثدي الأنثى، ويتناول مادة الصفراء والقنوات المرارية وعلاج مرض السكر. وهي مبالغات لا يقرها العلم الحديث ولا الواقع المعاصر، ويتحدث عن تأثيرها على الأحماض النووية وعن نخاع العظام والهيموغلوبين في الدم.

ويلاحظ أنه ينقله بلغة أهل الشام ويقرر أنها تمنع الحمل إذا أعطيت قبل الجماع، وأنها تعالج القذف السريع ويتحدث ص (٥٠) عما يسميه خطأ الجيل، ويخطئ في المقابل الإنكليزي وهو CeI ويقول إن زيتها يزيد من الحركات للاإرادية للرحم ويتحدث عن مواد طبية غريبة وصعبة حتى على المتخصصين في علوم الطب والعين فما بالنا بالمتخصص في تاريخ الفلسفة الإسلامية من ذلك مادة الأراكين ونيكس أو الأرشيدك ويتكلم دون علم عن الأحماض ومادة بروستاجلاندينات وعن حمض البوليك ويقول إنها قد تسبب الإجهاض للمرأة ومرض النقرس والتهابات المفاصل وضغط الدم ومواد الكوماريبات ومادة اسكوبوليتين وأمبيلفيرون وعلاج الجلطات الدموية والهيموفيليا، ويتحدث بلغة صاحب المقال الأصلي الذي نقله عنه عن لفظه الغلوكوز ويصف محتويات البلح وصفاً كمياً بنسب محددة، كما لو كان خبيراً في علوم التغذية والكيمياء ص (٥٠)، فيحدد كمية ما به من ألياف ودهون وماء وبروتين وعن حجم السعرات الحرارية ويحدد الكميات بلغة أهل الشام بالغرام من الفسفور والكالسيوم والماغنسيوم والصوديوم والبوتاسيوم (٧٩٠) ملغم والكبريت والكلورين، ويصف وصفات تنطوي على خطورة على صحة القراء من ذلك مسحوق نوى البلح، ويخطئ خطأ علمياً كبيراً ويقول إنه يساعد على إفراز حمض البوليك وهذا الحمض هو الذي يسبب مرض النقرس ولا يعالجه. ومن الناحية الشكلية يضع الكاتب سبعة مراجع في نهاية مقاله، دون أن يحدد الاقتباسات والمقال منقول بتشويه من غير هذه المراجع جميعاً ومأخوذ من مقال لكاتب شامي «سوري أو لبناني». هذه إشارات عابرة حول هذا الموضوع الخطير أبديتها صادقاً ومن منطلق الحب والتقدير والإعجاب نحو الوعي الإسلامي وخوفاً على حياة القراء وصحتهم وتعرضهم للوفاة وتمسكاً بأخلاقيات النشر والأمانة العلمية، واحترام تخصصات الطب والعلاج الطبي وعلوم الصيدلة والكيمياء، وليست العبرة الحصول على مكافأة التأليف بأي طريقة، وإنما لابد من مراعاة الصالح العام والأمانة وعدم النقل عن الغير والخطأ في هذا النقل.

دكتور: عبدالله صالح - أستاذ أمراض الباطنة



المخدرات حرب على مقومات أخلاق الأمم

إذا كانت المشاكل الاقتصادية والسياسة والصراعات والحروب الأهلية والدولية قد فرضت نفسها على معظم المجتمعات في عالم اليوم وتركت نتائج سلبية وسيئة، فإن قضية المخدرات وانتشارها العالمي الذي تحميه قوى خفية مدعومة أحياناً من جهات متنفذة قد فاقت بتأثيراتها العالمية المدمرة كل الإفرازات الناتجة عن القضايا الأخرى باعتبارها حرباً على مقومات الأمم المادية والأخلاقية والسبب في فنائها ودمارها، وهذا هو السبب الذي دعا الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى تبنّي القضية - بعد أن بلغ السيل الزبى - في سابقة تحدث لأول مرة حين دعت لعقد مؤتمر دولي لمكافحة المخدرات في مدينة نيويورك خلال الفترة من ٨ إلى ١٠ يونيو الماضي تحت عنوان «عالم بلا مخدرات.. بوسعنا أن نحقق ذلك»، في محاولة عالمية لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية وسبل وضع استراتيجية مستقبلية لمكافحة المخدرات للقرن الحادي والعشرين، تقوم على الحد والقضاء على المخدرات والتعاون القضائي والقانوني في مكافحة المخدرات وغسيل أموالها ومراقبة الكيماويات التي يكثر استخدامها في صنع المخدرات والمؤثرات العقلية والتي يصطلح على تسميتها بـ «السلائف».

يقول تقرير صادر عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة: «إن ما ينفقه المستهلكون على المخدرات يفوق قيمة الناتج المحلي الإجمالي لأكثر من ٨٠ بلداً نامياً».

إن دعوة الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات، وإن جاءت متأخرة إلا أنها خطوة صحيحة ضرورية وعاجلة لمكافحة هذا الداء الوبيل الذي استشرى في جميع دول العالم، ومنها الدول الإسلامية التي ظلت حتى وقت قريب جداً في منأى عن هذا الخطر، ولكنها اليوم تشكو من ارتفاع نسبة تعاطي المواد المخدرة والاتجار فيها خصوصاً بين شباب المدارس الثانوية وطلاب الجامعات أمل الأمة ومستقبلها المشرق! وهذا ما بينته الإحصاءات والدراسات الصادرة عن المؤسسات والإدارات المعنية في الدول الإسلامية والمنوط بها مكافحة المخدرات.

إن عملية مكافحة المخدرات رغم أهميتها لا يمكن أن تكون كافية لاستئصال هذا الوباء الخبيث مادامت العوامل المساعدة على انتشاره موجودة ومحمية رسمياً في بعض الدول الإسلامية وفي مقدمها وسائل الإعلام بما تبثه من أفلام ومسلسلات والتي تسهم عن قصد وغير قصد في إشاعة الجريمة والفساد وعلى رأسها الإدمان على المخدرات، لذا فإن الحاجة تبدو ملحة للأخذ بأساليب الوقاية بشكل يتزامن مع عملية المكافحة حتى نحقق النتائج المرجوة ونصون شبابنا من الانحراف والوقوع في مستنقع الإدمان الآسن، ولا شك أن في مقدم أساليب الوقاية بث روح التدين في النفوس وتربية الأسرة على الفضيلة والتوعية المستمرة ببيان خطورة المشكلة في جميع المؤسسات، والمناهج التربوية، ووسائل الإعلام، ومحاربة الفقر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجيه وسائل الإعلام لبث قيم الفضيلة، وتطبيق العقاب على المجرمين، دون أن تأخذنا بهم رحمة أو شفقة أو وساطة، فالقصاص من أمثال هؤلاء هو النجاة والرحمة لأمتنا وللبشرية جمعاء، وحسناً فعلت المملكة العربية السعودية وماليزيا وغيرها حين سنت قوانين صارمة تصل لعقوبة الإعدام بحق المتاجرين والمروّجين للمخدرات. الأمر الذي حدّ من انتشار المخدرات فيها، كما أثبتت بذلك الإحصاءات والنتائج، ولا شك أيضاً أن ما تقوم به دولة الكويت من جهود حثيثة على المستويين الرسمي والشعبي للقضاء على ظاهرة المخدرات أمر يبعث على السرور والطمأنينة، حيث تشكّلت أخيراً وبالتعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لجنة على مستوى عال للتحقيق في هذه الظاهرة، ووضع الحلول الناجعة لها، إضافة لجهود جمعيات النفع العام وفي مقدمها لجنة بشائر الخير، والمدمن المجهول وغيرها، وهذا ما يسهم إسهاماً فاعلاً في علاج هذه المشكلة قبل استفحالها وعندها لن ينفع الندم.

والله من وراء القصد ■

الوعي الإسلامي

أنشطة الوزارة

الكليب يحدد اللائحة الداخلية للجنة التراث

الإسهام في إحياء التراث الإسلامي ونشر المخطوطات المهمة في أحسن صورة

أصدر وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب قراراً وزارياً بإصدار اللائحة الداخلية للجنة التراث التي تم إعادة تشكيلها في منتصف العام الماضي.

وحدد القرار الذي أصدره الكليب أهداف اللجنة واختصاصاتها وحجم المكافآت والنفقات المالية المستحقة لكل من يعمل في نطاق اللجنة وتوصيف أعمال اللجنة العلمية كإعداد قوائم المخطوطات النادرة والتحديد والتحقيق وإجازة النشر والمراجعة والتصحيح المطبعي.

وفيما يلي تفاصيل اللائحة التي حددها قرار الوزير الكليب أخيراً.

أولاً: أحكام عامة

مادة ١: تهدف لجنة التراث إلى ما يلي

أ - الإسهام في إحياء التراث الإسلامي لنفع المثقفين بنشره حسب الأصول الفنية السليمة للتحقيق والنشر.

ب إمداد المتخصصين والباحثين والمراكز العلمية بأعمال علمية جديدة توضع بين أيديهم وتلبي حاجاتهم.

ج - تأهيل طلاب العلم وتدريبهم على التحقيق والمراجعة، وتأمين مخطوطات مناسبة لذلك.

د - يقصد بالتراث الإسلامي كتب العلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها.

ثانياً: الأعمال التي تقوم بها لجنة التراث

مادة ٢: تقوم لجنة التراث بالأعمال التالية:

أ - إعداد فهارس وقوائم للمخطوطات الموجودة في دولة الكويت، حسب المتبع عالمياً.

ب - انتقاء المخطوطات المهمة الصالحة للنشر، وتهيئة الظروف لنشرها في أحسن صورة، عن طريق تحريرها وتحقيقها وطبعها.

ج - وضع منهج علمي متكامل لتحرير وتحقيق وطبع ونشر المخطوطات المختارة.

د - البحث عن المخطوطات التراثية في شتى العلوم الإسلامية داخل وخارج الكويت، والسعي للحصول على نسخ منها أصلية أو مصورة عن طريق الشراء أو المبادلة أو غير ذلك.

هـ - تكليف عد دمن المتخصصين وطلاب الدراسات العليا بتحقيق أو تحرير أو نسخ بعض المخطوطات كل حسب تخصصه وفق المنهج العلمي الذي تضعه اللجنة لذلك.

و - طبع المفيد من كتب التراث المحققة حسب قواعد ولوائح اللجنة.

ز - تعتبر لجنة التراث الجهة المسؤولة في الوزارة عن جميع الإصدارات التراثية التي تقوم الوزارة بنشرها.

ثالثاً: المكافآت والنفقات المالية

مادة ٣: يقوم وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بناء على اقتراح لجنة التراث بإصدار القرارات اللازمة لصرف المكافآت المالية المستحقة لكل من يعمل في نطاق هذه اللجنة أو يتعاون معها في مهمتها بحسب الشروط المالية التي تتضمنها هذه اللائحة وهي:

أ - مكافأة من يقوم بتحقيق مخطوط.

ب - مكافأة من يقوم بتحرير مخطوط.

ج - مكافأة من يقوم بإعداد فهارس المخطوطات.

د - مكافأة من يقوم بأعمال مساعدة تكلفه بها اللجنة.

هـ - قيمة المخطوطات التي تقوم اللجنة بشرائها.

مادة ٤: تقترح اللجنة تقدير مكافأة لمن تكلفه بتحقيق مخطوط أو تحريره أو نسخه أو أي عمل علمي آخر بالشروط التي تضعها لذلك قبل قيامه بالعمل ويتم توقيع عقد بذلك بين الوكيل والقائم بالعمل يبين فيه مقدار المكافأة وشروط العمل وفقاً لاقتراحات اللجنة في ذلك.

مادة ٥: يقوم الوكيل بإصدار القرار اللازم بصرف مكافأة العمل بعد إنجازه وقبوله من قبل اللجنة، ويحق للجنة اقتراح زيادة المكافأة إذا رأت في العمل جودة مميزة وجهوداً خاصة، كما يحق اقتراح تنزيل المكافأة إذا وجدت في العمل قصوراً على المستوى المطلوب على ألا تتجاوز الزيادة أو

النقصان ٥٢٪ من المتفق عليه في العقد، كما يحق للجنة رفض قبول العمل أصلاً وحرمان العامل فيه من أي مكافأة عليه إذا لم يتحقق فيه الحد الأدنى من الشروط المطلوبة.

مادة ٦: كل ما يرد عليه نص في لائحة المكافآت والنفقات تتبع فيه اللوائح المالية بالوزارة وأجهزة الدولة.

رابعاً: الأعمال العلمية: توصيفها وتحديد مكافآتها

أ ـ إعداد قوائم المخطوطات المختارة

مادة ٧: تهدف هذه العملية إلى ما يلي:

أ ـ أن يوضع أمام المتخصصين مجموعة منتقاة من أسماء المخطوطات التي ترشح مبدئياً للنشر وتنطبق عليها شروط اللجنة.

ب ـ تيسير معرفة مظان النسخ لسهولة الاتصال بمالكيها والحصول على نسخ عنها.

مادة ٨: موضوع العمل: قراءة فهارس خاصة بالمخطوطات لاستخراج بطاقات معبأة ببيانات كاملة عن كل مخطوط يراه الشخص المكلف بالبحث صالحاً للنشر، على أن تكون بيانات كل مخطوط في البطاقة المصممة لذلك مع وضع بيانات المصدر نفسه في بطاقة واحدة مستقلة تشتمل على العنوان الكامل للمالك.

مادة ٩: وحدة العمل هي الفهرس المقروء مع البطاقة المستكملة للبيانات في الأصل مضموماً إليها ما يرشح المخطوط للطبع، على أن تكون البطاقة بخط مقروء وتقترن من حيث ملاءمة الاختيار وصحة البيانات بموافقة أحد المتخصصين وتلغى بطاقات ما يتبين أنه سبق تحقيقه من المخطوطات.

مادة ١٠: المكافأة المستحقة هي ديناران لكل بطاقة.

ب ـ التحرير.

مادة ١١: يهدف هذا العمل إلى إعداد بعض الكتب المخطوطة أو المطبوعة من غير تحرير والتي تحتاج إلى أعمال محدودة لتصبح صالحة للنشر العلمي.

مادة ١٢: موضوع العمل هو ما يلي:

أ ـ نسخ كتاب تراثي اعتماداً على أهم مخطوطاته نسخاً متقناً، ثم المقابلة على الأصل.

ب ـ القراءة العلمية المحررة لضبط النص وإزالة التصحيف والتحريف منه.

ج ـ التنسيق الفني حسب أصول الإخراج وقواعد لجنة التراث.

مادة ١٣: وحدة العمل هي المخطوطة المختارة للكتاب.

مادة ١٤: المكافأة المستحقة على النسخ والمقابلة هي دينار للصفحة الواحدة المشتملة على مئتين وخمسين كلمة تقريباً، ودينار للقراءة العلمية المحررة والتنسيق الفني.

مادة ١٥: التحقيق

يهدف عمل التحقيق إلى إخراج نص المخطوط بصورة سليمة مطابقة لما وضعه عليه مؤلفه قدر الإمكان.

مادة ١٦: موضوع العمل

أ ـ تقديم الكتاب مستكملاً للتحقيق حسب الأصول العلمية والفنية مكتوباً على الكتاب «الكمبيوتر»، أو مبيضاً بخط واضح خال من الالتباس والإشكال، بحال يكون فيه جاهزاً للدفع إلى المطبعة على أن يتعهد المحقق بعمل الفهارس والملاحق الأساسية بعد استقرار أرقام الصفحات.

ب ـ القيام بالتصحيح المطبعي.

مادة ١٧: وحدة العمل هي الملزمة المكونة من ١٦ صفحة، ويخضع للمكافأة جميع الصفحات «الشاملة للفهارس والملاحق» تقدر صفحات الأصول بما يعادل ٢٥٠ كلمة في الصفحة.

مادة ١٨: مكافأة التحقيق هي ستون ديناراً للملزمة ويخصم من المكافأة ما كلف به غير المحقق أو ما أعد من قبل أجهزة الوزارة بنسبة ما يخص الملزمة.

مادة ١٩: إذا كان التحقيق بتكليف من الوزارة تتكفل الوزارة بتوفير نسخ المخطوطات أو المصورات اللازمة للعمل، وفي حال ما إذا كان المحقق الذي يعرض إنتاجه للطبع جاهزاً وتوافق لجنة التراث عليه يدفع له ما تكلفته المصورات التي احتاج إليها على أن تؤول ملكية المصورات في كلتا الحالين للوزارة.

مادة ٢٠:

أ ـ إذا قررت لجنة التراث بعد عرض العمل على محكم عدم صلاحيته لا يستحق المحقق أي مكافأة أو تعويض عن العمل الذي قام به، ويرد إليه عمله.

ب ـ إذا قررت اللجنة أن العمل المقدّم بحاجة إلى مراجعة علمية ووافق المحقق على أن يقوم بما غيره فإنه تخصم من مكافأة التحقيق نسبة لا تزيد عن ٢٥٪ لتعطى للمراجع.

ج ـ إذا لم يقم المحقق بالتصحيح المطبعي تخصم نسبة لا تزيد عن ١٠٪.

مادة ٢١: للمحقق الحق في الحصول على ١٠٠ نسخة من الكتاب المطبوع.

مادة ٢٢: يدفع للمحقق ٥٠٪ من المكافأة المقدرة تقديراً أولياً بعد إجازة نشر الكتاب وتسليمه الأصول للوزارة ويدفع إليه الباقي عند الفراغ من الطباعة أو انقضاء سنة من التسليم.

مادة ٢٣: تلتزم الوزارة بطبع الكتاب في مدة لا تزيد عن سنتين من تاريخ تسليم الكتاب محققاً وإذا تأخر صدور الكتاب عن هذه المدة بسبب ليس للمحقق فيه دخل فإن له الحق في طبع كتابه لدى جهة أخرى بعد إشعار الوزارة بذلك ولا يلزم في الحال هذه برد ما تقاضاه من مبالغ، وعليه التنويه بجهد الوزارة في تغطية تكاليف التحقيق.

مادة ٢٤ : للوزارة الحق في إعادة طبع الكتاب المحقق خلال ثلاث سنوات من تاريخ صدوره، ويستحق المحقق حينئذ عن كل طبعة لا تزيد عن ٣٠٠٠ نسخة مكافأة بنسبة ٧٠٪ من مجموع مكافآته المستحقة عن الطبعة الأولى، وسبعين نسخة مجانية من الكتاب.

د ـ إجازة النشر مادة ٢٥: تهدف إجازة النشر إلى وضع تصور كامل عن عمل المحقق في الكتاب بين لجنة التراث لمعرفة مدى صلاحيته للقبول أو التعديل أو الرفض.

تقرير مادة ٢٦: موضوع العمل: هو تقديم مكتوب موقع عليه يتضمن قيمة التحقيق بصورة إجمالية بعد مراجعة منتقاة للمقدمات والحواشي والتعليقات لبيان

صحتها والأمانة في نسبتها ومدى ملاءمتها، ومدى استكمال المحقق الملاحق المطلوبة، ويتضمن بصورة صريحة رأي المحكم في أن الكتاب صالح للنشر.

مادة ٢٧: المكافأة المستحقة للمحكم هي سبعون ديناراً عن كل كتاب تبلغ أصوله مئة صفحة أو دونها ثم دينار ونصف الدينار لكل خمس صفحات تالية.

هـ - المراجعة مادة ٢٨ للجنة الحق في تكليف من تراه مناسباً من المتخصصين بمراجعة أي عمل علمي يقدم إليها.

مادة ٢٩ موضوع العمل:

أ - مراجعة الكتاب المحقق على أصوله مع تصويب الأخطاء.

ب - كتابة تقرير مختصر يتضمن ملاحظات المراجع على العمل، مادة ٣٠، وحدة العمل: هي الصفحة من صفحات الكتاب كافة ولواحقه.

مادة ٣١: مكافأة المراجعة ٢٥٪ من المكافأة الكلية المخصصة للمحقق إذا قررت اللجنة أن العمل بحاجة إلى مراجعة،

و - التصحيح المطبعي

مادة ٢٣: يهدف التصحيح إلى ضمان مطابقة المطبوع للأصل الذي تم تحقيقه ومراجعته.

مادة ٣٣ موضوع العمل:

أ - مقابلة التجربة المطبعية الأولى على الأصل المحقق.

ب - تصحيح التجارب المطبعية طبقاً للأصل على ألا تزيد التجارب عن ثلاث.

مادة ٣٤ وحدة العمل: هي الملزمة المكونة من ١٦ صفحة.

مادة ٣٥: المكافأة المستحقة هي ستة دنانير.

مادة ٣٦: تخطر الشؤون المالية قبل التكليف بأعمال التراث لربطها بالموازنة.

مادة ٣٧: تعتمد هذه اللائحة ويجري العمل بها من تاريخه.

مادة ٣٨: على وكيل الوزارة تنفيذ هذا القرار ويبلغ لجميع الجهات المعنية.

الكليب استقبل وزير خارجية المالديف

استقبل وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب في مكتبه وزير خارجية جمهورية المالديف فتح الله جميل لمناسبة زيارته للبلاد... وجرى خلال اللقاء تناول الكثير من الموضوعات المتعلقة بدعم التعاون بين البلدين في المجالات المختلفة خصوصاً فيما يتعلق بشؤون العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية.

وقد أشاد وزير الخارجية المالديفي بمتانة العلاقات بين البلدين الصديقين ورسوخها متمنياً للشعبين مزيداً من التقدم والازدهار... كما تمنى الوزير الكليب للضيف طيب الإقامة وأن تحقق زيارته الآمال والطموحات المرجوة منها، ولما فيه مصلحة البلدين الصديقين.

الوكيل المساعد للشؤون الثقافية أهدى وزير الأوقاف دراسة ميدانية عن مجلة الوعي الإسلامي وبراعم الإيمان



في لقاء بين السيد وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والقطاع الثقافي في الوزارة، قام الوكيل المساعد للشؤون الثقافية عبدالعزيز بدر القناعي بإهداء دراسة ميدانية حول «عادات وأنماط قراءة مجلة الوعي الإسلامي وبراعم الإيمان» ... وقد تم أثناء اللقاء استعراض أهداف الدراسة ونتائجها وسبل الاستفادة منها في تطوير العمل وعلاج القصور.

وقد أشاد السيد الوزير بالدراسة وأهميتها وأبدى ملاحظاته القيمة عليها.

وزارة الأوقاف تشارك في المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية للتطوير والتدريب

شهدت قاعة المؤتمرات الرئيسية في «سان فرانسيسكو» في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة ما بين ٣٠/٥ - ١٩٩٨/٦/٤م انعقاد المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية للتطوير والتدريب وقد حضر المؤتمر أكثر من ١٢٠٠٠ متخصص في مجال التطوير والتدريب ١٠٪ منهم من خارج الولايات المتحدة، وشارك في المؤتمر ٣٣ شخصاً من دولة الكويت يمثلون وزارات الدولة ومؤسساتها ومنهم وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ خالد الزير ومدير التطوير والتدريب في الوزارة مطلق راشد القراوي ويهدف المؤتمر إلى:

استكشاف مداخل ومخارج التدريب على الإدارة وتطوير القياديين والمديرين، وتطوير الأداء من التدريب التقليدي إلى الأداء في مكان العمل، وتقديم أفكار جديدة لقياس وتقويم الأداء والتدريب الذي يساعد في التعرف على جهود الفرد، والاتصال بأحدث التقنيات التدريبية ومعرفة متى يمكن ضم كل منها إلى البرنامج التدريبي، والحصول على المهارات الأساسية التي يحتاجها الفرد من مصادرها لتحسين القدرة على تصميم الاحتياجات التحليلية، والاطلاع عن قرب على المعلومات والمهارات التي يحتاجها القيادي لتغيير وضع المؤسسة.

هذا، وقد تضمنت فعاليات المؤتمر إلقاء أكثر من ٢٥٠ محاضرة وورشة عمل ألقاها كبار رؤساء الشركات العالمية وأبرز الاختصاصيين بشؤون التدريب والتطوير، كما أقيم على هامش المؤتمر معرض متخصص في الوسائل والبرامج التدريبية، وجناح خاص بالمكتبة التابعة للجمعية الأمريكية والتي ضمت أحدث الكتب المتخصصة في هذا المجال.

والجدير بالذكر أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تشارك في المؤتمر للعام الثاني على التوالي بغرض الاطلاع على أحدث الوسائل والبرامج في التطوير الإداري وسبل تطبيقها في الوزارات للارتقاء بها نحو الأفضل والأمثل بإذن الله.



● وكيل الوزارة خالد الزير



● مدير التطوير والتدريب مطلق راشد القراوي

بدء المرحلة الصيفية لحلقات تحفيظ القرآن الكريم

أعلن مراقب حلقات تحفيظ القرآن الكريم في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عبدالله السنان عن بدء الفترة الصيفية لحلقات التحفيظ في المحافظات الخمس، وذلك اعتباراً من يوم ١٣/٦/١٩٩٨.

ودعا السنان الطلبة إلى المبادرة بتسجيل أسمائهم لدى مكاتب المحافظات التابعة للمراقبة، مؤكداً ما تحتويه برامج الفترة الصيفية من فعاليات وأنشطة مفيدة ومسلية تعود بالنفع على المشاركين، فضلاً عما تشكله تلك المشاركة من تأكيد أهمية الاعتناء بكتاب الله حفظاً وتجويداً وتفسيراً، وأكد السنان رغبة وزارة الأوقاف في تجسيد رسالتها السامية في مختلف المجالات، منوهاً بأن الاهتمام بتحفيظ أبنائنا الطلبة لكتاب الله يعد ترجمة حقيقية لتلك الرسالة، معرباً عن أمله في استجابة أولياء الأمور لدعوة المراجعة في حض الأبناء على المشاركة في تلك الحلقات.

وقال إن المراقبة انتهت من إعداد خطة العمل للموسم الحالي، مشيراً إلى أن الفائزين في الاختبار الذي سيجرى في نهاية الموسم سيحصلون على جوائز تشجيعية، بهدف حث الأبناء على مواصلة الالتحاق بحلقات تحفيظ القرآن التي تشهد إقبالاً متنامياً.

مفتي البوسنة والهرسك الشيخ مصطفى سيرتش:

يجب عقد مؤتمر لبث الوقف الإسلامي والاستفادة منه

كتب: أحمد فرغلي

قام وفد من كبار علماء البوسنة والهرسك بزيارة إلى دولة الكويت استمرت ثلاثة أيام، ورأس الوفد الشيخ مصطفى سيرتش مفتي البوسنة والهرسك وضم الوفد كلاً من: الشيخ محمد سالجك ـ نائب مفتي البوسنة والهرسك، نظم خليل ـ عضو الوفد، إبراهيم أحمد ـ عضو الوفد. وعقب الزيارة صرح الشيخ مصطفى سيرتش بأن اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة قامت بدور بارز منذ وجودها مع بداية حرب البوسنة والهرسك والتي وصفها بالحرب «الصليبية» مضيفاً بأن هذه اللجنة هي مجموعة من اللجان والهيئات الخيرية الكويتية والخليجية التي تعمل على مساعدة المسلمين هناك. ونوه الشيخ مصطفى سيرتش بأبرز المساعدات التي قدمتها اللجنة منذ العام ١٩٩٢م والتي أسهمت في تخفيف المحنة عن الشعب البوسني المسلم وهي: الإغاثة العاجلة العام ١٩٩٢م حتى ١٩٩٧م وتشمل إغاثة المهجّرين وتقديم المواد الغذائية والملابس والأدوية وما شابه ذلك، وبفضل الله عز وجل كانت تكاليف الإغاثة العاجلة نحو ٦٠ مليون مارك. وإيواء المهاجرين في كرواتيا وتقديم المساعدات المادية لهم وكانت تكاليف هذا المشروع أكثر من ١٠ ملايين مارك خلال الفترة بين الأعوام ١٩٩٢م و ١٩٩٧م. وشحن أكثر من ٥ آلاف طن من المواد الغذائية والملابس حيث تكلف هذا الأمر أكثر من ١٠ ملايين مارك. وبفضل الله وصل إلى المستشفيات والعيادات الصحية في جميع أنحاء البوسنة والهرسك أكثر من ١٢ ألف طن من الأدوية والأجهزة الطبية قيمتها ٤٠ مليون مارك. وتم تقديم ٥٠ سيارة إسعاف مجهّزة تجهيزاً كاملاً إلى مدن وقرى البوسنة قيمتها ٢ مليون مارك. وتمت طباعة أكثر من ٢ مليون كتاب تربوي بمبلغ مليون مارك. كما تمت طباعة كمية كبيرة من الكتب المدرسية كما تم توزيعها على تلاميذ المرحلة الابتدائية والمتوسطة وقد بلغت تكاليف طباعة هذه الكمية من الكتب أكثر من ٧٠٠ ألف مارك. وكفالة ١٢ ألف يتيم موزعين على قرى ومدن البوسنة والهرسك وبلغت مساعدة هؤلاء الأيتام أكثر من ستين مليون مارك، ولا تزال مستمرة حتى الآن. وكفالة الطلبة حيث كُفل أكثر من ألف طالب وهذه الكفالة لجميع المراحل الدراسية منذ سن السادسة وحتى الانتهاء من الدراسة الجامعية، وبلغت مصاريف هذه الكفالات أكثر من نصف مليون مارك. بالإضافة الى المساعدات الاجتماعية: قمنا ولا نزال بتقديم المساعدات الاجتماعية المادية إلى العجزة والمعاقين والمرضى وقد بلغت قيمة هذه المساعدات نحو ١٠ ملايين مارك. وكذلك تم بناء ٣٥ مسجداً في مدن وقرى البوسنة بقيمة مليون ونصف المليون مارك. وتصليح وترميم عدد كبير من المساجد بمبلغ ٧٠٠ ألف مارك. وتصليح أكثر من ٢٥٠ منزلاً بقيمة مليون مارك. ومساعدة من قبل صندوق التنمية الكويتي باستثمار مصنع الحديد في زينتسا بمبلغ ١٦٠ مليون مارك.

واقترح الشيخ مصطفى سيرتش بعقد مؤتمر إسلامي يكون مقره الكويت أو المملكة العربية السعودية من شأنه الاهتمام بشؤون المسلمين في المناطق التي يعاني فيها المسلمون من فقر أو اضطهاد. وأوجز الشيخ سيرتش أهداف المؤتمر فيما يلي:

- عرض بحوث ودراسات عن أوقاف المسلمين في مختلف الدول الإسلامية التي تعاني من ضياع وتدمير.
- اقتراح خطة عملية لإعادة إعمار الأوقاف المدمرة والمغتصبة.
- دعوة البنوك الإسلامية إلى المشاركة في المؤتمر للتعرف على حجم الأوقاف وعمل دراسات ذات جدوى اقتصادية مشتركة لتنمية أراضي الوقف بطريقة المشاركة مع الدول المعنية.
- اقتراح بتأسيس بنك الوقف الإسلامي تسهم فيه وزارات الأوقاف والبنوك الإسلامية.
- يُدعى لمؤتمر: علماء المسلمين «المتخصصون بالوقف»، وأمناء الوقف في العالم الإسلامي/ وزارات الأوقاف، ويركز على دعوة الدول التي تعاني من مشاكل في تنمية أو استرداد أوقاف المسلمين في البوسنة والهرسك، كوسوفا، دول آسيا الوسطى، بلغاريا، فلسطين، الهند، وألباني.

وعلى أن يكون المكان المقترح دولة الكويت أو المملكة العربية السعودية.

وفي نهاية تصريحه وجّه الشيخ مصطفى سيرتش نداء إلى شعب الكويتي ودول الخليج قال فيه: ضاعت فلسطين بسبب استيلاء اليهود المتطرفين على أراضي وبيوت المسلمين، وستضيع البوسنة إذا لم تسهم الدول الإسلامية في إعادة توطين المسلمين البوسنيين، ويكون ذلك بإعادة إعمار البيوت التي دمرها الصرب وإعادة بناء المساجد. وشكر الشيخ سيرتش دولة الكويت حكومة وشعباً على مساندتها لشعب البوسنة والهرسك المسلم ووقوفها معه في محنته. ■



● الشيخ مصطفى سيرتش مع الوكيل المساعد للعلاقات الخارجية بدر ناصر المطيري

في ذمة الله

فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي

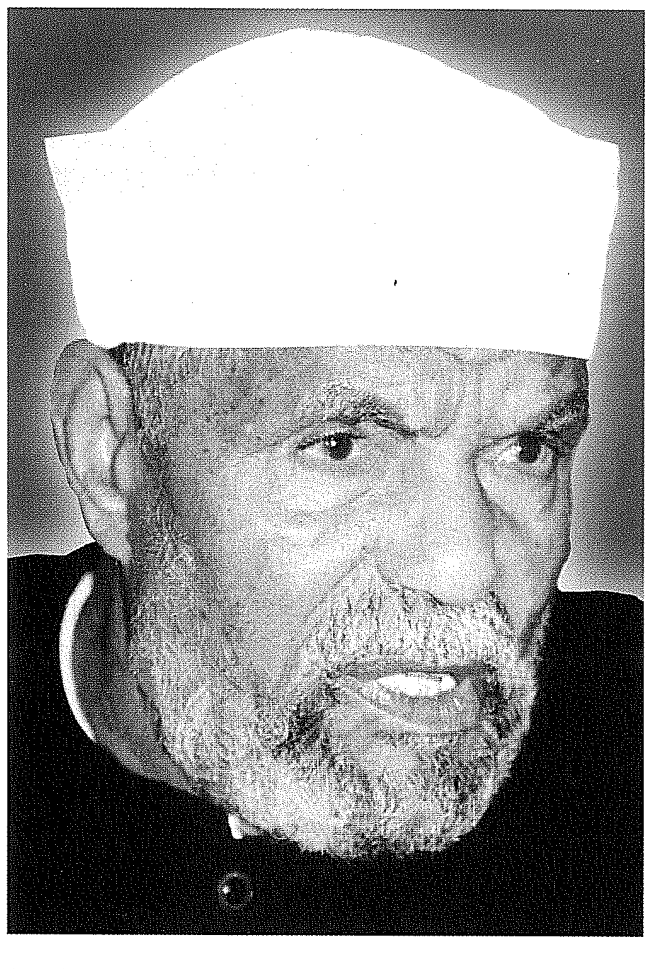
على مدى أكثر من نصف قرن أمضاها في الدعوة إلى الله، رحل عن عالمنا فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ليلتحق بركب الدعاة إلى الله ممن سبقوه في الفضل بالآونة الأخيرة من أمثال الشيخ محمد الغزالي وشيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق والعلامة محمود شاكر والأستاذ خالد محمد خالد والشيخ عبدالفتاح أبو غدة وغيرهم. في حياة الشيخ الشعراوي مواقف كثيرة جعلت منه علماً من أعلام هذا العصر ممن وقفوا حياتهم لخدمة دينه وكتاب الله الكريم ودعوته للإسلام لايريد جزاء ولا شكوراً إلا من الله.

ولد الفقيد الراحل في ١٥ أبريل العام ١٩١١م، في ميت غمر بمحافظة الدقهلية. التحق منذ طفولته بالمعهد الأزهري، وحصل على الشهادة الابتدائية وتابع دراسته حتى حصل على الشهادة العالمية حيث تخرج في كلية اللغة العربية سنة ١٩٤١م، وحصل على الشهادة العالمية مع إجازة التدريس في العام ١٩٤٣م. وعيّن بعد ذلك مدرّساً في معهد طنطا الديني ثم في معهد الإسكندرية ثم الزقازيق، وأعير بعدها إلى العمل في المملكة العربية السعودية في العام ١٩٥٠م، حيث عين أستاذاً للشريعة في جامعة الملك عبدالعزيز، ثم عاد إلى مصر فعيّن وكيلاً في معهد طنطا في العام ١٩٦٠م، ثم شغل منصب وكيل أوقاف الغربية ثم مديراً للدعوة والفكر في العام ١٩٦١م، كما كان مفتشاً للعلوم العربية بالأزهر في العام ١٩٦٢م، فمديراً لمكتب شيخ الأزهر في العام ١٩٦٤م، ثم أستاذاً زائراً في جامعة الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة في العام ١٩٧٠م، وعمل بعدها مديراً عاماً لشؤون الأزهر في العام ١٩٧٥م، وكان وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر منذ العام ١٩٧٦ - ١٩٧٨م.

كان رحمه الله عضواً بمجمع البحوث الإسلامية وعضواً في مجلس الشورى، كما كان عضواً بمجمع اللغة العربية في العام ١٩٨٧م.

الشعراوي يعتبر من أبرز الأصوات المعاصرة في مجال الدعوة الإسلامية، قضى حياته مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة الله، شارحاً قواعد الإسلام بمفاهيمه الصحيحة وفسّر القرآن الكريم بأسلوب فريد واضح مبسط، جذب قلوب الخاصة والعامة بما أنعم الله عليه من نور البصيرة والحكمة، وأثرى المكتبة الإسلامية بالكثير من المؤلفات والمحاضرات منها:

الفتاوى الكبرى، وعقيدة المسلم، وهجرة الرسول دروس وعبر، لبيك اللهم لبيك، من فيض الرحمن في معجزة القرآن، هداية الله.

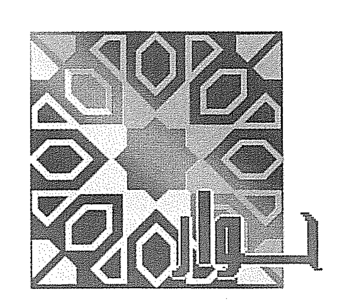


وتعتبر مؤلفات الشعراوي بين أكثر المؤلفات الإسلامية رواجاً نظراً لسلاسة ألفاظه اوجمال أسلوبها وبلاغة أفكارها وعمق مضمونها، كما أضحت أحاديث الشيخ الشعراوي في السنوات الأخيرة إحدى سمات الحياة في مصر، بل في العالم الإسلامي كله، ودخلت أشرطة الكاسيت تحمل خطبه وتفسيره للقرآن الكريم كل البيوت فضلاً عن بثها الدوري في كثير من تلفازات الدول العربية والإسلامية دون أن يتقاضى عن ذلك أي مبالغ مالية.

إن عزاءنا في الفقيد الراحل أنه ترك لنا علماً ينتفع به إلى يوم القيامة، يدرّ عليه الأجر والمثوبة كما يدرّ علينا العلم والمعرفة، أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم.

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: «صدقة جارية أوعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» ونسأل الله عز وجل أن ينفعنا بعلمه الذي تركه وأن يثيبه عن كل حرف حسنة وكل كلمة درجة إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

كما أن أسرة مجلة الوعي الإسلامي الذي آلمها هذا المصاب الجلل لتضرع إلى الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويدخله فسيح جناته مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً والحمد لله رب العالمين.■



في حديثه لمجلة الوعي الإسلامي ثمن شيخ الإسلام مفتي ورئيس الإدارة الدينية في جمهورية أذربيجان، ومنطقة القفقاز جهود ودعم الهيئات الرسمية والشعبية في الكويت لبلاده، وطالب بتطويرها لما فيه مصلحة الشعبين في المجالات المختلفة جاء ذلك خلال اللقاء الذي أجرته المجلة مع فضيلة المفتي خلال زياته الأخيرة للكويت التي جاءت بدعوة من لجنة مسلمي آسيا في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية فماذا دار في هذا اللقاء، وماذا قال فضيلة المفتي حول الكثير من القضايا التي طرحت عليه؟



مفتي جمهورية أذربيجان شيخ الإسلام شكرالله باشا زادة لمجلة الوعي الإسلامي:

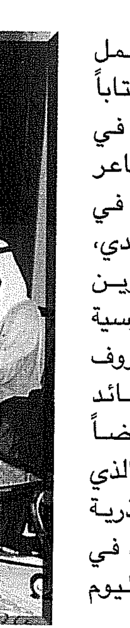
خرجنا من محنة السبعين عاماً أكثر قوة وتمسكاً بالدين

أجرى الحوار: تمام أحمد

● **متى دخل الإسلام أذربيجان وما أبرز إساهمات الأذربيجانيين في الحضارة الإسلامية التي سادت العالم في العصور الوسطى؟**

■ دخل الإسلام إلى أذربيجان أيام الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين أرسل قائده حذيفة بن اليمان في حملة فتحت إربيل صلحاً سنة ٢٥هجرية، ومن أذربيجان امتد انتشار الإسلام إلى باقي مناطق آسيا الوسطى وحذيفة - رضي الله عنه - يسمونه عندنا «مير عرب» وكان انتشار الإسلام في مناطق أذربيجان أسرع من انتشاره في باقي المناطق، وقد أسهمت أذربيجان بعد أن توطد الإسلام فيها في الحركة الحضارية الإسلامية، ويمكننا أن نسرد أسماء الكثير من علمائها ومفكريها الذين أبدعوا في تلك العصور، ومن أبرزهم: الخطيب التبريزي الذي كان مديراً للمكتبة النظامية في بغداد والذي شرح دواوين كثيرة للشعراء العرب منها ديوان أبي العتاهية، وسقط الزند للمعري، والمعلقات السبع، وديوان الحماسة للمتنبي، ومن العلماء الكبار عبدالرشيد الباكوي وهو عالم جغرافي ومؤرخ كبير، والفيلسوف أوتناي، ثم عزالدين الزنجاني

اللغوي المعروف، الذي استعمل كتابه «مبادئ في التصريف» كتاباً مدرسياً في البلدان العربية في القرون الوسطى، وهناك الشاعر «محمد فضولي» الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي، وأبدع في بغداد وله دواوين باللغات الأذرية والعربية والفارسية وألّف كتابه الفلسفي المعروف «مطلع الاعتقاد» ووضع قصائد بالعربية، ومن العلماء أيضاً الشاعر «عماد الدين نسيمي» الذي نظّم قصائده بالعربية والأذرية والفارسية وضريحه موجود في مدينة حلب السورية حتى اليوم وأحفاده يسكنون هناك أيضاً.



● سمو الأمير يستقبل سماحة المفتي والوفد المرافق له

● برأيكم ما الأمور التي جعلت من الشعب الأذري يحافظ على هويته المسلمة رغم وقوعه مدة تزيد عن سبعين عاماً تحت الحكم الشيوعي الإلحادي؟

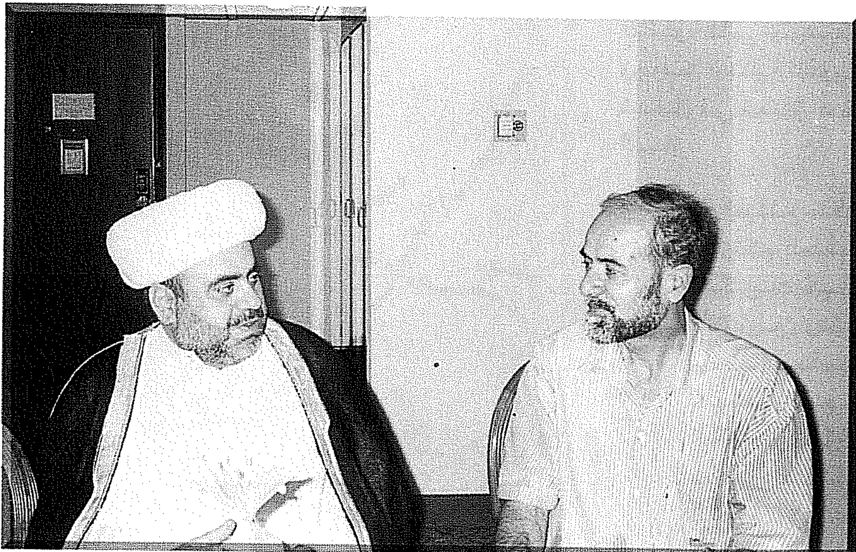
■ الجميع يعرف أن الشعب الأذري عانى لأكثر من سبعين عاماً من الاضطهاد الشيوعي، حيث مورست بحقه سياسة إلحادية استهدفت فصله عن دينه وتذويب هويته وقد استشهد كثير من العلماء البارزين الذين تعلموا في البلدان وبعضهم اعتقل ونفي إلى مجاهل سيبيريا وتعرض بعضهم لصعوبات ومضايقات شديدة، لكن كل ذلك لم يكن بمقدوره إطفاء جذوة الإيمان في النفوس ومحو دين الله الحنيف من قلوب الأذريين الذين ظلوا يمارسون شعائرهم الإسلامية في ظل ظروف صعبة وسرية وخصوصاً في السنوات الأولى لقيام الاتحاد السوفييتي، ومن ناحية أخرى وعلى الرغم من أن الدين كان منفصلاً عن الدولة، إلا أن الإدارة الدينية لعبت دوراً مهماً في حياة الناس الروحية والمدنية من خلال طباعة الكتب الإسلامية والقرآن الكريم والمشاركة في المؤتمرات والندوات الإسلامية والإسهام في الاحتفال بالأعياد في المساجد... كل هذه الأمور أسهمت في تثبيت الناس على دينهم حتى انقشعت الغمة وزال بلاء الإلحاد بفضل الله وكرمه.

● بعد استعادة الشعب الأذري لحريته أصبح في أمسّ الحاجة لبعض المساعدات ترى ما الأوليات التي يحتاج إليها الأذريون في فترة ما بعد الشيوعية؟

■ نحن الآن بالدرجة الأولى نحتاج إلى مساعدة مادية وتحتاج تأييداً روحياً من إخواننا المسلمين في مختلف بلدان العالم لأننا بعد الاستقلال فتحت أمامنا إمكانات كبيرة لتوسيع نشاطنا في كل المجالات، الأمر الذي يتطلب دعماً مادياً وتدفقاً لرؤوس الأموال الإسلامية للمشاركة في مجالات الاستثمار المتعددة.

● قضية ناغورنو كاراباخ كيف بدأت وكيف ترون حلها؟

■ هذه القضية مؤامرة مدبرة لسلخ الإقليم عن الوطن الأم مع أن الوثائق التاريخية تؤكد أن الأذريين كانوا يشكلون ٩١٪ من إجمالي إقليم كاراباخ في العام



● لقطة من الحوار

١٨٣٢م، والقارئ كتب التاريخ وكتب الجوالة العربي يجد معلومات وفيرة تؤكد الحق الأذري، ففي كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ورد اسم الإقليم ضمن أذربيجان، وكذلك في كتاب نزهة القلوب للقزويني، وكتاب فتوح البلدان للبلاذري.

لكن نتيجة تسامح الأذريين وهجرة الأرمن إلى الإقليم انخفضت نسبة الأذريين سنة ١٩٨٦م إلى ٤١٪ من السكان فقط واعتباراً من العام ١٩٨٨ لعبت القوى الامبريالية في الخارج دوراً في إثارة القضية وتكريس النزاع عندما تقدمت أرمينيا بادعاءات كاذبة لضم الإقليم إلى أراضيها واجتاحت فيما بعد الإقليم وهجّرت أكثر من مليون لاجئ، وقتلت أكثر من عشرين ألف أذري، وخلفت أكثر من ٥٠ ألف جريح ومعاق، ولا يزال الإقليم تحت الاحتلال الأرمني حتى اليوم مع أن أذربيجان تطالب دوماً باللجوء للحلول السلمية، نحن لا نريد محاربة أي بلد ونود أن نعيد الأمور إلى نصابها عن طريق الجلوس إلى مائدة المفاوضات.



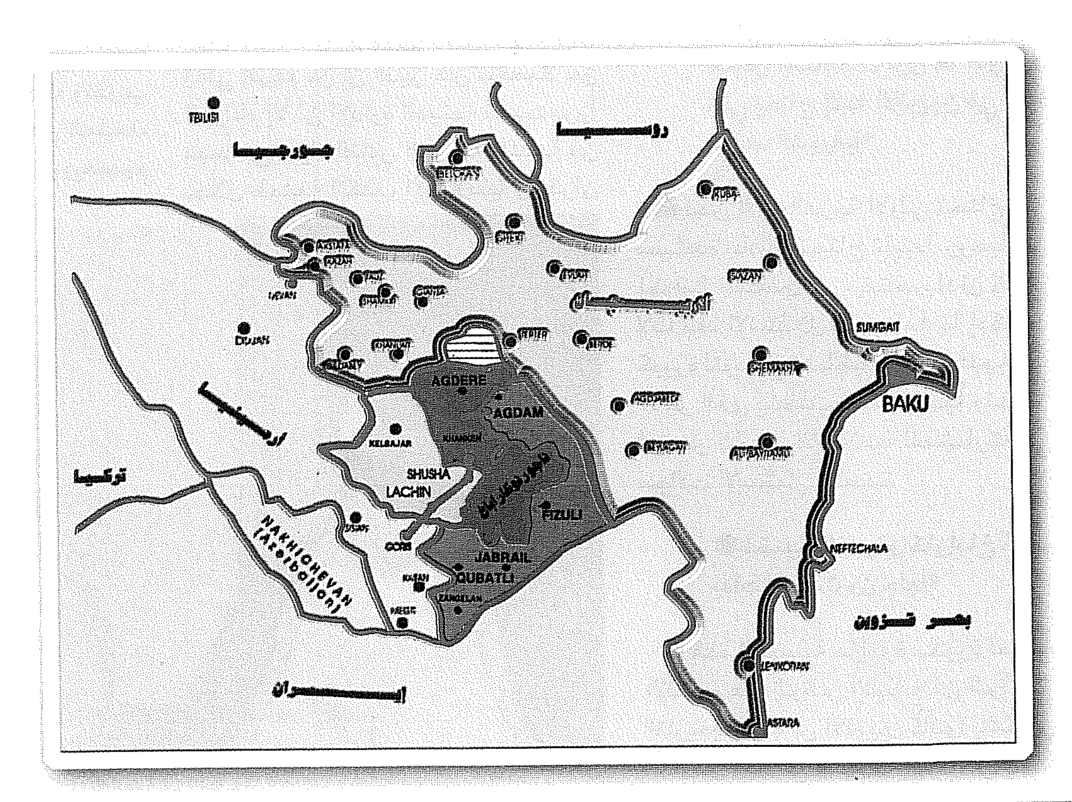
● فضيلة المفتي في زيارة مجلة الوعي الإسلامي

● موقف الدول الإسلامية من قضية كاراباخ كيف تقومونه؟

■ معظم البلدان الإسلامية تقف موقفاً مشرّفاً إلى جانب أذربيجان في نضالها من أجل استعادة الحق المغتصب ونأمل أن يزداد هذا الموقف رسوخاً سواء بالدعم المادي أو المعنوي.

● ألا ترون أن الزخم الإعلامي للقضية ضعيف في الوقت الحاضر؟

■ القضية لم تمت بإذن الله بالرغم من الصمت الحالي بينما التحرك الإعلامي الأرمني نشيط جداً والجاليات الأرمنية في البلدان العربية والأجنبية تمارس نشاطاً إعلامياً مكثفاً لإضفاء الشرعية على الاحتلال ونأمل من إخواننا العرب والمسلمين مساعدتنا لإثارة هذه القضية في المحافل الدولية وإلقاء الضوء على جوهرها وجولتنا الحالية للكويت تدخل في نطاق هذا السياق.



● قابلتم خلال زيارتكم الحالية للكويت كبار المسؤولين وعلى رأسهم صاحب السمو أمير البلاد... والسؤال ما أبرز النقاط التي أثرتموها خلال هذه

اللقاءات؟

■ حاولنا خلال هذه الزيارة تحسين العلاقات الاقتصادية والثقافية بين البلدين وتعزيز الروابط الدينية بين إدارة مسلمي القوقاز ووزارة الأوقاف الكويتية، كما اطلعنا على تجربة إخواننا في الكويت في مجال رعاية الأيتام وأسر الشهداء والأطفال القصّر لنقلها إلى أذربيجان قدر المستطاع، وأثناء اللقاء مع سمو الأمير نقلت له تحيات فخامة الرئيس حيدر علييف ودعوته لسموه لزيارة أذربيجان، حيث قبل سموه الدعوة ووعد بتحديد موعدها مستقبلاً، كما أنني دعوت صاحب السمو شخصياً كمسؤول ديني لزيارة أذربيجان، وقبل الأمير الدعوة بكل امتنان ووعدنا بزيارة جمهوريتنا مستقبلاً ولا يفوتني هنا الإشارة إلى الدور الذي لعبه الشيخ جابر الأحمد الصباح في تمكين أذربيجان المسلمة من الانضمام لعضوية منظمة المؤتمر الإسلامي وغيرها من المؤسسات والهيئات الدولية.

● **المساعدات التي تردكم حالياً ما مصدرها، وهل تقتصر على الدول الإسلامية فقط؟**

■ الدول الإسلامية تأتي في مقدم البلدان التي تقدم المساعدات لبلدنا في كثير من المجالات ولا شك أن الكويت لها قصب السبق في ذلك حيث تحيطنا بعناية كبيرة على المستويين الرسمي والشعبي من خلال وزارة الأوقاف والهيئة الخيرية ولجنة مسلمي آسيا التي لا ينكر أثرها وفضلها في إنجاز الكثير من المشاريع، وغيرها من المنظمات الخيرية، وهناك مساعدات تأتينا من الدول الغربية وبشكل خاص من الولايات المتحدة وألمانيا... طبيعي أننا نقدر هذه المساعدات الواسعة النطاق التي نحتاج إليها في هذه المرحلة الانتقالية احتياجاً ماساً وبخاصة مع وجود أكثر من مليون لاجئ شردهم العدوان الأرمني ولهذا السبب فإن الشعب الأذري يقدر هذه المساعدات ويعرب عن جزيل شكره لإخوانه في الكويت.

ونتمنى للكويت حكومة وشعباً النجاح والتوفيق والازدهار وأن يعيد لأهل الكويت أسراهم في القريب العاجل إن شاء الله.

● **أذربيجان دولة غنية بثرواتها ويمكنها لو استثمرت هذه الثروات أن تخرج من محنتها أشد قوة وصلابة فماذا توصون أصحاب رؤوس الأموال في الدول الإسلامية؟**

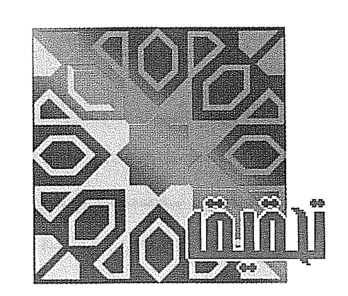
■ أذربيجان ليست فقيرة وهي تنظر للمستقبل بتفاؤل كبير وكثير من دول العالم تشارك أذربيجان في التنقيب واستخراج النفط بما فيها بعض البلدان العربية والإسلامية كالمملكة العربية السعودية ومصر وإيران وتركيا، وأدعو الكويت للمشاركة في هذه الاتفاقات الأمر الذي يعود بالفائدة على الطرفين، كما أدعو جميع المستثمرين العرب والمسلمين للاستثمار في أذربيجان وخصوصاً أن هناك قوانين تضمن حقوق المستثمرين سواء في مجال النفط أو غيره من المجالات الاقتصادية والتجارية. ■

أذربيجان في سطور

• إحدى جمهوريات آسيا الوسطى التي حصلت على استقلالها في أعقاب تفكك الاتحاد السوفييتي العام ١٩٩١م تبلغ مساحتها ٨٦٦٣٠ كم٢ ويبلغ عدد سكانها نحو سبعة ملايين نسمة ٧٤٪ منهم من الأذريين و ١٠٪ من الروس و ١٠ من الأرمن و ٣٪ من الجورجيين، واللغة الرسمية هي التركية بالإضافة إلى الروسية، العاصمة مدينة باكو ومن أبرز المدن خوي، سلماس، أرمية، اردبيل، وتضم أذربيجان جمهورية «ناخشيفان» ذات الحكم الذاتي وتعتبر هذه الجمهورية المنفذ الوحيد من أذربيجان إلى تركيا وتفصلهما جمهورية أرمينيا.

• فتحت أذربيجان أيام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ومنها انطلق الفتح الإسلامي إلى باقي أرجاء آسيا الوسطى والقوقاز وروسيا وقد تعرضت أذربيجان خلال تاريخها للكثير من المؤامرات الخارجية ومن أبرزها الاحتلال السوفييتي لها وإنشاء جمهورية أذربيجان السوفييتية في ٢٨ أبريل العام ١٩٢٠، ومنها أيضاً العدوان الأرمني على إقليم ناغورنو كاراباخ واحتلال ٢٠٪ من أراضيها وتشريد أكثر من مليون لاجئ وذلك في العام ١٩٨٩م عندما اتخذ مجلس السوفييت الأعلى قراراً غير شرعي نص على ضم منطقة ناغورنو إلى أرمينيا وبدأت حرب إبادة غير معلنة ضد الشعب الأذري المسلم.

• تعتمد أذربيجان على الزراعة في اقتصادها والأراضي المزروعة تصل إلى ٢,٦ مليون هكتار وتشتهر بإنتاج الشاي والقطن والعنب وهناك ثروات معدنية كبيرة في أذربيجان وفي مقدمها البترول والغاز الطبيعي والحديد والبوكسيت والكروم والكوينت، وتشهد أذربيجان الآن نمواً اقتصادياً متسارعاً وتنافساً من قبل الشركات الأجنبية على استخراج النفط بعد أن دلت الاكتشافات النفطية الحديثة على وجود النفط بكميات هائلة لا تقل عن الاحتياطات النفطية الموجودة في منطقة الخليج العربي.



الأحداث الدامية التي يعيشها المسلمون في كوسوفا على أيدي الصرب ليست هي الأولى من نوعها، فتاريخ هذا الإقليم المسلم مع الاضطهاد والاحتلال والمذابح تاريخ طويل يمتد إلى قرون عدة.

وجذور محنة المسلمين في كوسوفا تمتد من أعماق التاريخ طويلاً، والحديث عنها من الناحية التاريخية والسياسية لا يمكن أن ينفك عن الحديث عن ألبانيا، فألبانيا وكوسوفا ظلا حتى العام ١٩١٣م كياناً واحداً ودولة واحدة وشعباً واحداً هو «الشعب الألباني»، حتى تم شطره إلى نصفين أملاً في تفتيت هذا الشعب المسلم والقضاء عليه...

ولكن قبل أن يحدث ذلك... جرت هناك أحداث صاحبت هذا الشعب منذ وجوده في المنطقة فيما قبل التاريخ ومروراً بقيام مملكته الأولى، ثم وقوعه تحت الاستعمار الروماني، والبيزنطي والصربي، ثم الفتح الإسلامي، ثم الاستعمار الأوروبي والصربي من جديد، الذي حاول سحقه ومحوه من الوجود. ولنعد إلى أصل القضية عندما تكونت البدايات الأولى لهذا الشعب من قبل التاريخ.

بقلم: شعبان عبدالرحمن

كوسوفا

تاريخ طويل من الاستعمار والمذابح

جذور الصراع في البلقان من مملكة الألبان الأولى حتى اليوم

أصل الألبان

هناك إجماع من المؤرخين على أن أصل الألبان يعود إلى «الإيلير» القدامى، وهم أحد أقدم الأنسال الأوروبية الذين انحدروا مباشرة من قبائل هندو - أوروبية، ثم هاجروا إلى مناطق مختلفة على شواطئ البحر الأدرياتيكي التي لم تكن قد سكنت من قبل، وأنشأوا دولة «درنيا»... ولذلك سميت تلك المناطق باسمهم في عصور ما قبل التاريخ.

وقد كانت قبائل الإيليرية تعيش منذ البداية تحت حكم قبلي تتولى فيه السلطة «المرأة» ثم انتقلت بعد ذلك إلى الرجل، وكانت أول مملكة تم تأسيسها في القرن الثالث قبل الميلاد تحت زعامة ملك يسمى «أغرون» وعاصمتها مدينة شقودرة الموجودة حالياً في ألبانيا، وكانت لتلك المملكة القديمة عاداتها وتقاليدها التي جمعها الألبان «ليك دوكاجيني» في شبه دستور أطلق عليه «عدالة العادات أو حكم العرف»، وكان أهم مواد ذلك الدستور مادة «ألبيسا» (أي عهد الأمان حتى يتم الصلح في حال الحرب).

ومنذ نشأة الإيلير وبمرور التاريخ كانت لهم دياناتهم المختلفة وعقائدهم المتنوعة، فقد عبدوا في بداياتهم الأولى قوى الطبيعة كغيرهم من شعوب الأرض، وكانوا يؤمنون بالحياة بعد الموت مثل الفراعنة في مصر... عبدوا الشمس والقمر والمطر والرعد والنار والفرس وكانت الشمس من المعبودات الأكثر تعظيماً، ثم تطورت دياناتهم وتغيرت مع تغير أنظمة الحكم وتعاقب الغزاة.

وتتحدث مراجع التاريخ المتعددة أن السقوط الأول لمملكتهم كان بأيدي الرومان الذين دام احتلالهم لتلك البلاد قروناً عدة، ثم جاء الاحتلال البيزنطي الذي دام أيضاً قروناً عدة، فاعتنق أفراد الشعب الديانات المسيحية واستمروا عليها حتى العام ١٠٥٤م عندما انقسموا إلى مذهبين أو صارت تبعيتهم إلى كنيستين.

- الكنيسة الأرثوذكسية وتتبعها الأكثرية.
- الكنيسة الكاثوليكية وتتبعها الأقلية.

واستمر الحال هكذا في ظل الحكم البيزنطي حتى القرن السابع الميلادي وفيه تمكن السُلاف «وهم الصرب والكروات والسلوفيين» من السيطرة على شمال بلاد البلقان، وقد دامت هذه السيطرة قروناً عدة، ثم قام البلغار بغزو جزء آخر منها... وهكذا صارت بلاد الألبان «ألبانيا وكوسوفا» منذ القرن السابع الميلادي تحت سيطرة مجموعة من المحتلين من بيزنطيين وسلاف وبلغار، وتحاشياً لاحتدام الصراع على مواقع النفوذ اتفقوا على تقاسم الغنيمة، وظل الوضع هكذا حتى القرن الثاني عشر الميلادي وفيه ازدادت قوة الصرب، ورجحت على كفة البيزنطيين والبلغار وتمكن الملك «سيتغان» ملكهم في ذلك الوقت من قهر البيزنطيين والبلغار وطردهم من البلاد، وفي العام ١٣٤٦ بلغت قوة الصرب أوجها في عهد الملك «سار دو شان» الذي أعلن نفسه قيصراً على البلاد وجعل مدينة «بريزين» الواقعة على بعد ٧٥كم جنوب غربي مدينة بريشتينا عاصمة كوسوفا حالياً عاصمة ملكه.

لكن هذه القوة لم تدم طويلاً إذ اصطدمت بعد ذلك بعشر سنوات فقط بقوة الدولة العثمانية المتنامية، وكان مسرح الاصطدام إقليم كوسوفا... ففي العام ١٣٥٦م تمكن سليمان أكبر أبناء السلطان أرخان الأول من اجتياز مضيق الدردنيل والاستيلاء على بعض المدن في شبه جزيرة البلقان، وفي عهد السلطان مراد الأول توسع العثمانيون في فتح شبه الجزيرة رويداً رويداً وبدأ السكان يدخلون في الإسلام طواعية وصار الوجود العثماني في البلقان متاخماً لإمارة ألبانيا منذ ذلك الوقت «كوسوفا - ألبانيا»، وقد أزعج اتساع رقعة الدولة العثمانية في المنطقة النظام الدولي في ذلك الوقت، فتحالف ملوك أوروبا وأمراء البلقان على محاربة العثمانيين، وكانت المعركة الفاصلة بين الجانبين في ٢٨ يونيو ١٣٨٩م في ميدان «كوسوفا» القريب من مدينة بريشتينا بقيادة الملك الصربي لازار والسلطان العثماني مراد الأول، وسقط فيها القائدان، إلا أن النصر في النهاية كان حليف العثمانيين، وقد سميت المنطقة المحيطة في ميدان كوسوفا بهذا الاسم المعروف الآن منذ ذلك التاريخ، وبعد هذه الهزيمة الصربية الساحقة، تخلص الألبان من الحكم الصربي، وبدأوا يدخلون في الإسلام أفواجاً، وتحولوا من محاربين في صفوف الصرب إلى قوات مقاتلة في صفوف المسلمين، وقد ساعد إسلام عدد غير قليل من الألبان قبل هذه المعركة العثمانيين في سقوط أكثر مناطق الألبان دون مقاومة، كما أن انتصار العثمانيين في هذه المعركة فتح الطريق أمامهم لفتح بقية بلاد الألبان، وبمرور الأيام ورسوخ الحكم الإسلامي بعدالته تزايد دخول الناس في الإسلام أفواجاً، حتى صار المسلمون يشكلون أغلبية سكان البلاد.

كيف أنقذت الخلافة الإسلامية المنطقة من عدوان الصرب والاستعمار الأوروبي ؟

وفي ظل الدولة الإسلامية، انسجم الألبان ونالوا مكانتهم، وتحركوا بحرية وأبدعوا وبرز منهم نوابغ احتلوا مكانة ممتازة في ظل الدولة الإسلامية، كما أن رجال الصدر الأعظم الذين تعاقبوا على حكم الدولة العثمانية برز بينهم أربعون صدراً أعظم من أصل ألباني.

وفي عهد محمد الفاتح وخلال فتح مدينة القسطنطينية كان الجندي المسلم الألباني «بلابان باشا» أول من استطاع نصب العلم العثماني على أسوار المدينة بعد أن أبلى بلاء حسناً في جيش محمد الفاتح.

ودام الحكم الإسلامي في تلك البلاد ما يقرب ستة قرون منذ منتصف القرن الرابع حتى بدايات القرن العشرين عندما بدأت الدولة العثمانية تضعف وتنهار قواها حيث أخذ نفوذها ينحسر في البلقان ومعها المنطقة الألبانية «ألبانيا وكوسوفا».

وهنا بدأت مرحلة جديدة من الترتيبات الدولية لإخراج الدولة العثمانية من المنطقة بأسرها، وتذويب المسلمين وتمزيقهم وتشريدهم أملاً في تغييب الإسلام نفسه عن هذه المنطقة التي بات معظم سكانها من المسلمين في ظل الدولة العثمانية.

وكان الصرب أسرع حركة من أي طرف لملء الفراغ الذي تركته الدولة العثمانية المنسحبة من المنطقة، وما كادت حرب البلقان تنشب العام ١٩١٢م حتى وجد الصرب ضالتهم فيها لتحقيق مزيد من الهيمنة على المنطقة.

وفي العام ١٩١٣م وبعد نهاية تلك الحرب عقدت الدول الأوروبية «النظام الدولي المسيطر في ذلك الوقت» مؤتمرها الشهير في لندن لبحث ترتيبات جديدة في المنطقة يتم بمقتضاها القضاء على الوجود الإسلامي تماماً، وقامت بتقسيم المنطقة بين الصرب والبلغار واليونان والجبل الأسود متجاهلة أي دور للألبان، بل إمعاناً في تفتيتهم لفض قوتهم الإسلامية، فقد تم شطر السكان إلى شطرين، أحدهما في ألبانيا والآخر في إقليم كوسوفا الذي أهداه النظام الدولي في ذلك الوقت إلى صربيا التي قامت بحملات بشعة ضد المسلمين منذ ذلك الوقت لاستئصالهم وتشريدهم وتذويبهم ومحو هويتهم بالكامل، ثم عقدت دول النظام الدولي معاهدة سرية العام ١٩١٥م تقضي بأن يبسط الصرب والبلغار واليونان سيطرتهم بالكامل على ألبانيا ولا يسمح لها بأي حال أن تعود للوجود في شكل دولة، وبالتالي يكون قد تحقق مخطط القضاء على الإسلام في المنطقة بعد أن باتت كوسوفا في قبضة صربيا وبقية المسلمين في البلقان تحت سيطرتها، لكن أهل ألبانيا المسلمين انتفضوا واستطاعوا بعد جمع كلمتهم ولم شملهم أن يبطلوا هذه المعاهدة السرية، ويشكلوا حكومة وطنية وجمعية تأسيسية العام ١٩١٨م انتخبت مجلساً أعلى في مدينة لوشينا من أربعة أعضاء يمثلون الطوائف الأربعة التي تعيش في ألبانيا في ذلك الوقت وهي الطائفة الإسلامية، والبكتاشية، والكاثوليكية، والأرثوذكسية.

وفي العام ١٩٢٠م استطاعوا تشكيل حكومة قوية في مدينة تيرانا التي اتخذت عاصمة للبلاد، وقد تمكنت هذه الحكومة من إعادة حدود ألبانيا التي حددها اتفاق ١٩١٣م، وبخاصة أن هذه الحدود كان قد أعتدي عليها خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) حيث احتل الإيطاليون والصرب والجبل الأسود واليونان معظم أراضيها.

وهكذا استطاعت ألبانيا والجزء الكبير من الشعب الألباني أن يفلت من تمزيق الطامعين والتذويب والزوال من على وجه الأرض بفضل جهاد أبنائها الذي لم ينقطع، وقبلت عضواً في عصبة الأمم ١٩٢٠/١٢/١٧م، بعد أن تم الاعتراف الدولي بها ... وتكون ألبانيا كدولة قد مرت بولادة صعبة أليمة حتى تمكن أبناؤها من لملمة شتاتهم والحفاظ على أرضهم وهذه

الدولة الإسلامية عاشت ما يقرب من ستة قرون هناك نشرت خلالها العدل والخير

والولادة هي نفسها التي مازالت تعاني منها البوسنة والهرسك.

لكن ألبانيا تعرضت العام ١٩٣٩م للاحتلال الإيطالي بسبب مجاورتها للبحر الأدرياتيكي والتي كانت تسعى إيطاليا لجعله بحيرة إيطالية، إلا أنه تم طردهم من البلاد ومعهم حلفاؤهم الألمان في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٤م وهو يوم الاستقلال لألبانيا.

بينما تمكنت ألبانيا من الحفاظ على كيانها كدولة، وإن كانت مساحتها قد تقلصت من ٧٠ ألف كيلو متر إلى ٢٨.٧٤٨ كيلو متراً بعد أن اقتطع منها الصرب واليونان والبلغار ما يقرب من ٤٠ ألف كيلو متراً - إلا أن كوسوفا بقيت تحت مقصلة الصرب يمارسون على أهلها كل ألوان التذويب والإبادة وينفثون في أهلها أحقادهم التاريخية مروجين في سبيل ذلك دعاوى تاريخية وسياسية واجتماعية كاذبة.

فمنذ معركة العام ١٣٨٩م بين الدولة العثمانية والصرب على أرض كوسوفا والتي هُزم فيها الصرب شر هزيمة والصرب لا ينسون ذكرى هذه المعركة، إذ يتخذونها مناسبة وطنية حتى اليوم، يعيدون تمجيدها رغم هزيمتهم الساحقة فيها، لكنهم يجددون في كل عام دعواهم بالحق التاريخي في هذه الأرض التي يطلقون عليها «الأرض المقدسة» التي ارتوت بدماء الآباء والأجداد وهم يدافعون عنها ضد العثمانيين ويسقطون من التاريخ أنهم هم كانوا الغاصبين والمحتلين لهذه الأرض «ألبانيا وكوسوفا» وهو الأمر الذي يعرفه أي دارس لتاريخ هذه المنطقة، وأكد المؤرخ الفرنسي «آلان دوسوليني» عندما قال صراحة «إن أي باحث في التاريخ يقف شاهداً ضد ادعاء صربيا في كوسوفا، لكن حقائق التاريخ تشهد أن الصرب كانوا في كوسوفا بوصفهم محتلين ومغيرين على الأرض».

وفي لقاء مع الدكتور رجب بويا قال رداً على هذا الادعاء: إن الحقيقة أن هذه المعركة لم تكن بين الصرب والمسلمين «العثمانيين» بل بين الجيوش الأوروبية المتحالفة ومعهم الصرب والجيش العثماني، فقد شاركت فيها كل شعوب البلقان بما فيهم الألبان، لأن الإسلام لم يكن قد انتشر بعد في المنطقة، فلم يكن الصرب وحدهم المعنيين بهذه المعركة وإنما شعوب المنطقة كلها.

وتؤكد المصادر التاريخية الألبانية أن الألبان شاركوا في هذه الحرب ضد المسلمين كما تثبت أن الطاعن الذي طعن السلطان مراد بك الطعنة القاتلة في الحرب هو رجل ألباني الأصل من قرية «كوبيليتش» وهي من القرى التي تحاصرها القوات الصربية حالياً في كوسوفا ضمن إقليم درينستسا.

ورغم ذلك استجاب النظام الدولي في اتفاق العام ١٩١٣م، لصربيا وأهداها كوسوفا وبخاصة لأن البوسنة كانت تطمع في الفوز بها، فقد ضاعت منها بعد أن اختطفتها



الامبراطورية النمساوية في ذلك الوقت.

وقد جرد الصرب في ذلك حملة تصفية منظمة ضد المسلمين الألبان في كوسوفا شملت سلسلة من المذابح الجماعية مصحوبة بإحراق البيوت واغتصاب الأرض والإكراه على تغيير العقيدة، وهو ما أسفر طبقاً للأرقام المتاحة في ذلك عن مقتل ١٥٠ ألف مسلم ألباني بينما فر عشرات الآلاف الآخرون.

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، بدأ مخطط شامل «لتصريب» كوسوفا بكل الوسائل، بدءاً من تفريغها من أهلها حتى المذابح الجماعية، وبالفعل تمكنت صربيا من توقيع اتفاق العام ١٩٣٦م مع تركيا تقضي بتهجير ٤٠٠ ألف عائلة ألبانية إلى الأراضي التركية خلال السنوات الثماني التالية، وفي الوقت نفسه تم تخيير من بقي بين القتل أو الطرد أو التنصير.

وظل الوضع هكذا حتى وقعت الحرب العالمية الثانية وأصبحت يوغوسلافيا محتلة، وكان قادة حركة التحرير الشعبية ليوغسلافيا في أمسّ الحاجة إلى وقوف ألبان كوسوفا إلى جوارهم أو على الأقل ضمان عدم إحداثهم لأي قلاقل، فأعلنوا أنه بعد انتهاء الحرب سيحصل شعب كوسوفا على حقه في تقرير مصيره بما في ذلك حقه الالتحاق بوطنه «ألبانيا»، لكن هذه التصريحات المثبتة في وثائق رسمية نُسيت تماماً بعد تحرير يوغسلافيا وسيطرة الحزب الشيوعي على الحكم الذي كان أول قرار اتخذه هو إرسال وحدات من الجيش لإحكام الحصار حول كوسوفا، الأمر الذي فوجئ به الألبان وظلوا يقاومونه ثلاثة أشهر (من ديسمبر ١٩٤٤م حتى فبراير ١٩٤٥م) وسقط منهم ٤٧ ألف شهيد.

وفي منتصف العام ١٩٤٥م قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اليوغسلافي تقسيم الأراضي الألبانية المحتلة بين صربيا ومقدونيا والجبل الأسود، إمعاناً في التفتيت والتذويب، فتم إلحاق كوسوفا بصربيا، وأهديت بعض القرى الألبانية المحتلة إلى مقدونيا والجبل الأسود.

وعندما صدر دستور يوغسلافيا الجديد في العام ١٩٤٦م حمل في طياته نصاً صريحاً على تبعية كوسوفا لصربيا كإقليم يتمتع بالحكم الذاتي، لكن هذا الحكم الذاتي تم التراجع عنه تدريجياً حتى تم إلغاؤه في

أراضي الألبان ظلت مطمعاً للغزاة منذ القرن السابع الميلاي... وعليها جرت معارك بين الصرب والبيزنطيين والبلغار طمعاً في مواقع النفوذ

دستور العام ١٩٦٣م، فاشتعلت ثورة الألبان ولم تهدأ حتى استعادوا حقهم في الحكم الذاتي في تعديل للدستور في العام ١٩٦٩م، وبصدور دستور جديد ليوغسلافيا العام ١٩٧٤م تم تأكيد الحكم الذاتي لكوسوفا، لكن السلطات اليوغسلافية «الصربية» اتخذت من الإجراءات الإدارية والأمنية ما أفرغ هذا الحكم من محتواه حتى بات حبراً على ورق، فنظم الألبان مظاهرات عارمة في العام ١٩٨٩م طالبت بإقامة جمهورية في كوسوفا، لكنها قوبلت بقمع وحشي من الصرب، وأصدر الصرب قراراً في ١٩٨٩/٣/٢٣م بإلغاء الحكم الذاتي نهائياً.

وقد عاش أهل كوسوفا بذلك تجربة مريرة مع الحكم الذاتي، الذي كان أقرب إلى تمثيلية صربية منه إلى حقيقة واقعة، أو حق يمارسه الألبان، ولذلك فإنهم يرفضون اليوم فكرة الحكم الذاتي التي تروج لها بعض الأطراف الدولية وذلك بسبب تجربتهم المريرة معه سابقاً، فقد كانت إدارة كوسوفا الحقيقية من بلغراد ويطالبون بالاستقلال التام أسوة ببقية جمهوريات وأقاليم الاتحاد اليوغسلافي التي انفكت عنه العام ١٩٨٩م لكن الصرب يرفضون ذلك ويغطون رفضهم بجملة من التبريرات تقوم بترويجها الآلة الإعلامية الصربية وتساندها وتدافع عنها روسيا واليونان في المحافل الدولية، وتتركز الدعاية الصربية في هذا الصدد في:

- إيهام العالم بأن ما يجري هو شأن داخلي صربي طرفه الأساسي المسلمون وهم أقلية ألبانية في البلاد.

- إن الدعوة إلى استقلال كوسوفا مرفوضة لأن ذلك يمثل تفتيتاً لوحدة الأراضي الصربية وبالتالي إضعافاً لكيان الدولة وأن كوسوفا إذا استقلت فستنضم إلى ألبانيا وبالتالي يكون هناك دولتان لألبانيا.

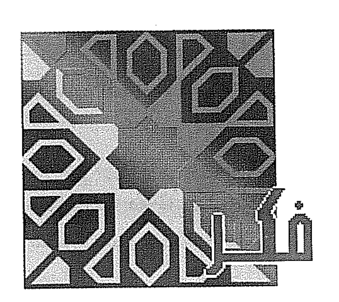
والحقيقة الثابتة هي أن ألبان كوسوفا يمثلون ٩٥٪ من السكان، كما هو ثابت في كل البيانات، أي أن المسلمين يصل تعدادهم إلى مليوني نسمة بين تعداد السكان البالغ ٢,٥ مليون نسمة غير ما يقرب من مليون، فأي أقلية وأي شأن داخلي، ولماذا لم يجر الكلام نفسه على صرب البوسنة عندما خاضوا حرب إبادة بمساعدة بلغراد ضد مسلمي البوسنة، فمع أنهم أي «الصرب» يمثلون أقلية حقيقية، إلا أنهم خاضعوا حربهم من أجل الاستقلال كما يدعون.

وإذا كانت المطالبة بالاستقلال تمثل تفتيتاً للبلاد، فلماذا سمح من الأساس بتفكك الاتحاد اليوغسلافي العام ١٩٨٩م، ولماذا يسمح لكرواتيا وصربيا ومقدونيا وسلوفينيا بإقامة جمهوريات مستقلة دون تعويق أو معارضة أو حروب، بينما عندما بدأت البوسنة تشكل جمهورية كان نصيبها حرب الإبادة التي شهدناها، وعندما تطالب كوسوفا بالحق نفسه يرفع في وجه أبنائها «كارت» التفتيت.

ومن جهة أخرى، فإن كل مقومات الاستقلال تتوافر لكوسوفا، فليس هناك أي عوامل مشتركة لها مع صربيا حتى تحتج بها... فاللغة، والدين، والعرق، والعادات مختلفة، وتجعل من كوسوفا أولى بالاستقلال من كرواتيا أو سلوفينيا أو مقدونيا التي تشترك في اللغة والدين والعرق مع صربيا... بل إن جمهورية الجبل الأسود الأقل في عدد السكان من كوسوفا لـ ٧٥٠ ألف نسمة، والتي تجمعها مع صربيا كل عوامل التوحد، بدأت تطالب هي الأخرى بالاستقلال، ومع ذلك لم يقابل طلبها بأي رد فعل سلبي لا من صربيا ولا المجتمع الدولي!

وإذا كانت صربيا تعارض في استقلال كوسوفا حتى لا تنضم إلى ألبانيا، فلماذا دخلت حرباً وحشية ضد المسلمين في البوسنة لتمكين صرب البوسنة من إقامة دولة داخل البوسنة تمهيداً لتوحيدها مع صربيا...

أليست كل تلك الدعاوى تصب في النهاية في المنطق المقلوب للي عنق الحقيقة والحيلولة في النهاية من إقامة أي دولة للمسلمين في كوسوفا، والسبب واضح وهو أنهم مسلمون. ■

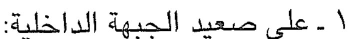




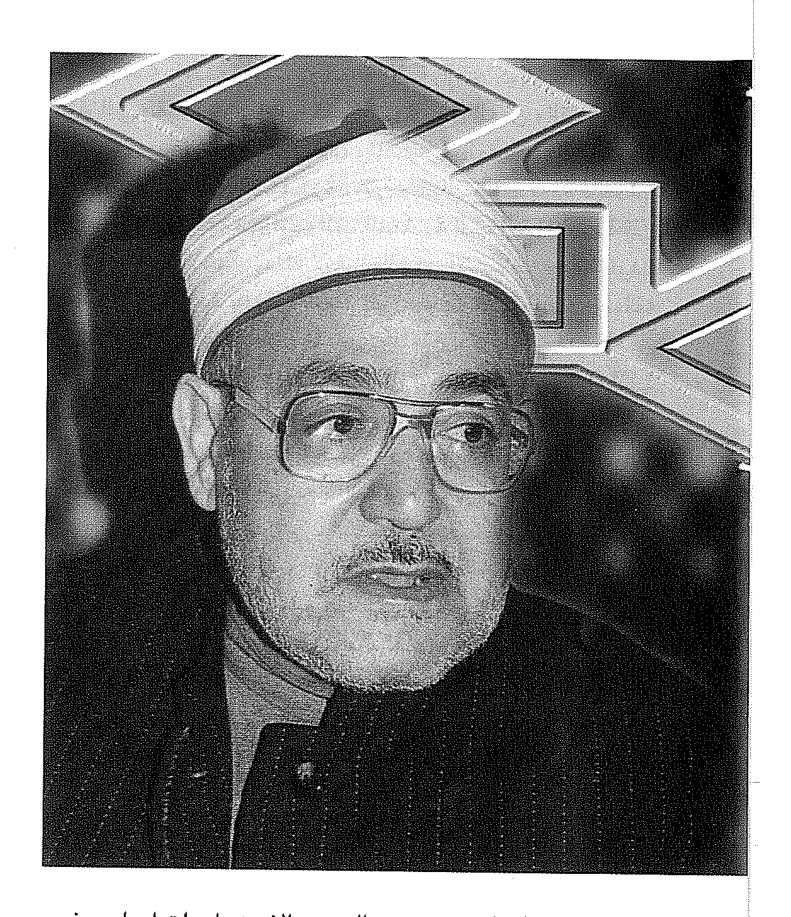
أسلوب الشيخ الغزالي في مواجهة الغزو الثقافي

إن معايشة الشيخ الغزالي لمرحلة الاستعمار الغازي، وتعمقه في فهم نوايا وأغراض حركة الاستعمار وسيطرتها العنيفة على العالم العربي والإسلامي ومختلف الأقطار والشعوب المستضعفة، إلى جانب خبرته وتضلعه في ميدان الثقافة والفكر الإسلاميين، وكذا استيعابه ووعيه لطبيعة صراع وتدافع الأنساق الفكرية والمرجعيات الحضارية.. كل ذلك جعل منه صاحب رؤية متميزة في مجال المواجهة الثقافية في ساحات الصراع الفكري والتدافع الحضاري، وجهوده كلها في هذا الصعيد مرتبطة بمبدئه الكبير، ورسالته الأولى، أي الانتصار للإسلام، والتمكين له في الحياة، وفي فكر الإنسان المسلم ونفسه وسلوكه وعيشه.. وتظهر جهود الشيخ الغزالي في هذا النطاق موزعة على جبهتين أو خطين متوازيين يشكلان رؤية عقلية أو منهجية فكرية متوازنة، رغم ما بين هذين الخطين من تباينات جوهرية من جهة الدوافع والخلفيات، ويمكن إيضاح ذلك فيما يأتي:

بقلم الأستاذ : إبراهيم نويري (*)


١ ـ على صعيد الجبهة الداخلية:

يؤمن الشيخ إيماناً جازماً بأن النفس البشرية هي مناط كل تغيير، ومعقد التحول الحقيقي في الكيان الإنساني، وكلما كانت هذه النفس محصنة تحصيناً ذاتياً، فإن المؤثرات الخارجية تتضاءل أو تنعدم فعاليتها الموجهة لها، وقد تنبه لخطورة هذه المسألة وصلتها العميقة بالصراع الفكري والثقافي في أول كتاب أخرجه للناس، ونعنى بذلك فصل «الاستعمار الداخلي يمهد للاستعمار الخارجي»(١) في كتابه (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٤٧م.. وبهذه الرؤية ومن هذا المنطلق ركز الشيخ الغزالي جهوده على معالجة علل وأدواء أنساق الثقافة الإسلامية من الداخل، ذلك أنه لو كُتب لهذه الثقافة المحافظة على خصوصيتها الذاتية ـ كما كانت عليه إبان القرون الأولى لمسيرة الإسلام ـ لظلت الشخصية الإسلامية ـ ثمرة هذه الثقافة ـ متميزة بهويتها الحضارية وقسماتها الفكرية الفريدة في صناعة الإنسان الصالح النموذج، لكن هذه الثقافة تعرضت لاهتزازات خطيرة، بفعل الآثار السلبية للغزو الثقافي المبكر، المتمثل تحديداً في عدم الانتقاء الواعي لترجمات وأبحاث الفلسفة اليونانية والفكر الإغريقي، وكذا بفعل تسرب بعض المؤثرات الباطنية والغنوصية للفكر الإسلامي وكذلك الثقافة الإسلامية، فضلا عن بعض المظاهر والعلل الذاتية في مسار



هذه الثقافة ذاتها، وفي حدود الوعي والاستيعاب لتداعيات هذه المسألة، نجد الشيخ الغزالي يلحّ على ضرورة غربلة الثقافة الإسلامية، ومراجعة مظان تراكمات هذه الثقافة ومصادرها وتراثها الثر، ويعطي مثلاً لذلك كتاب الفتوحات المكية لابن عربي، ليدلل على المستويات الخطيرة التي بلغها أمر اختراق الثقافة الإسلامية، يقول: «لقد اطلعت على مقتطفات من الفتوحات المكية لابن عربي، فقلت: كان ينبغي أن تسمى الفتوحات الرومية! فإ ن الفاتيكان لا يطمع أن يدس بيننا أكثر شراً من هذا اللغو.. يقول ابن عربي في الباب (٣٣٣) بعد تمهيد طويل «إن الأصل الساري في بروز أعيان الممكنات هو التثليث، والأحد لا يكون عنه شيء ألبتة، وأول الأعداد الاثنان، ولا يكون عن الاثنين شيء أصلاً ما لم يكن ثالث يربطهما ببعضهما بعضاً، فحينئذ يتكون عنها ما يتكون، فالإيجاد عن الثلاثة، والثلاثة أول الأفراد...».. لم أقرأ في حياتي أقبح من هذا السخف، ولا ريب أن الكلام تسويغ ممجوج لفكرة الثالوث المسيحي، وابن عربي مع عصابات الباطنية والحشاشين الذين بذرتهم أوروبا في دار الإسلام أيام الحروب الصليبية الأولى، كانوا طلائع هذا الغزو الخسيس» (٢).

ويقترب من هذا المنحى أيضاً في الثقافة الإسلامية العتيقة - برأي الشيخ - بعض المقولات والأطاريح التي قال بها نفر أو تيارات انتمت تاريخياً وعقدياً إلى بعض الفرق الإسلامية الكلامية كالخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة وغيرها؛ إذ إن الكثير من أطاريح هؤلاء لا تنفي عنهم جزءاً من مسؤولية الانحراف بمنهج التفكير الإسلامي القويم، القائم على العقل والتعامل مع المادة والعمران وعالم الشهادة؛ وهي الحقيقة المستخلصة من معطيات وخصائص هذا المنهج أثناء بداياته ومنطلقاته الأولى، وكيفيات النظر المنهجي عند مسلمي السلف الصالح، قبل مرحلة الاستغلال السلبي لمبدأ أو قيمة الحرية في الإسلام، وفتح المجال لتسرب الأفكار والمعتقدات الوثنية والمنحرفة للعقل المسلم. ونحن حين «نتأمل الحصيلة العلمية لرجالات الإسلام، نجد العقل الإسلامي تحرك ببصر وقوة حيث يجب أن يعمل، وقنع بثمرات الوحي حيث يجب أن يستريح من عناء البحث العقيم.. إلى أن جاء عصر الترجمة ودخلت أقطار الإسلام أفكاراً يهودية ونصرانية وإغريقية وهندية وفارسية... إلخ، وليس مستغرباً أن يتعرف المرء على ما لدى الآخرين؛ ولكن الذي حدث - للأسف الشديد - أن التفكير الإسلامي أصيب بصداع هائل من أثر ليونة المسلمين في قبول الغث والسمين! ثم من أثر انكبابهم بجهد شديد على دراسة ما وراء المادة والافتتان بأساطير الأولين في تصوير ما هنالك!! وكان هذا الانكباب على حساب التفات هذا العقل الذكي إلى المادة نفسها، وإلى الحياة وقيادة الدين بها» (٣).

ركز الشيخ الغزالي جهوده على معالجة علل وأدواء أنساق الثقافة الإسلامية من الداخل

إن الشيخ الغزالي ينظر إلى الكثير من تراكمات ومعطيات الثقافة الإسلامية التقليدية - ومن ذلك: التصوف الدخيل وبعض النزعات الفلسفية والكلامية - على أساس أنها مظهر من مظاهر الغزو الثقافي المبكر، الذي تعرض له العقل المسلم في مرحلة متقدمة نوعاً ما من تاريخه الفكري والحضاري، إلا أنني أرى أن الشيخ الغزالي هنا فاته التنبيه إلى حقيقة تبدو موضوعية، وهي أن اتصال العقل المسلم بالفكر اليوناني - وغيره من المرجعيات في عصر الترجمة - كان بمثابة استدعاء إرادي سن العقل المسلم بغرض الاطلاع على نتاجات ومعطيات الفكر والعقل لدى الآخرين، ومنهم الإغريق والهنود والفرس.. وليس بهدف البحث عن ضرورة إرواء لجفاف ثقافي ذاتي أو إشباع لنقص في الفكر ومناهجه، خصوصاً فيما يتعلق بالمسائل العقدية والفلسفية التي حسم القول فيها الوحي الكريم ومصادر النقل المعصوم.. فبدا ذاك الاتصال - في كثير من جوانبه ومعطياته - وكأنه لون

من ألوان الترف العقلي لطبيعة المنهج الإسلامي في التفكير والنظر والتأسيس، وليس تحركاً طبيعياً لملء فراغ منظور، أو استدراك نقص قائم، وربما يشهد لما ذهبنا إليه أن الرجل «المصري الذي أرسله ابن العاص إلى عمر بن الخطاب ووجده يتكلم في شيء يشبه علم الكلام، وذلك بسؤاله عن معنى الاستواء - وأمثال ذلك من المتشابه - ضربه ونفاه وأمر الناس بمقاطعته» (٤) إلا أننا نرى الشيخ الغزالي في موضع آخر من كتاباته يعزو الانحراف الذي وقع في فترة مبكرة من تاريخنا الثقافي والفكري إلى ظاهرة الغرور اللامبرر بقوةِ وصعودِ الدولة الإسلامية وهيمنة النموذج الإسلامي، وتطلعات الآخرين لمبدأ الإفادة منه والتلقي عنه، إلى أن وصل البعد والميل عن منهج التفكير الإسلامي الأصيل إلى حد التلاعب بقضايا العقيدة، والولوع بالجدل العقيم المتأثر بمنطق أرسطو وثقافة الإغريق، ومن «الغفلة أن نحسب تكوين العقيدة يتم في مجلس مناظرة، تُتصيد فيه النصوص، ويُنشد فيه الغلب، ويُلعب فيه بالألفاظ ويُستغل منطق «أرسطو» في المخاتلة وإيقاع الخصم أمام العامة!... وعفا الله عن أجدادنا، فقد أولعوا بذلك، وأعانهم عليه أن الدولة الإسلامية كانت سيدة العالم. فلا بأس على رجالها أن يشتغلوا بالترف العقلي، وأن يحولوا فراغهم من الجهاد في سبيل الله إلى الجهاد في هذا الميدان الخطر، فانشغلوا بأنفسهم عن أعدائهم، ثم ذهب الرجال وبقي الجدال .. بقي إلى اليوم يهدد وحدة الأمة ويهز كيانها!»(٥).

ذهب الرجال وبقي الجدال .. بقي إلى اليوم يهدد وحدة الأمة ويهز كيانها!»

وللحد من آثار الجوانب السلبية في الثقافة الإسلامية التقليدية والتاريخية دعا الشيخ الغزالي إلى انتهاج أسلوب القطيعة المعرفية مع تلك الجوانب، وذلك بالاعتماد على منهج تجميد الخلافات التي ذهبت مع التاريخ، وعدم السماح للثقافة الإسلامية المعاصرة بإحياء تلك الجوانب وتداعياتها المضرة ببنية العقل المسلم ونسيجه الأصيل المبدع في النظر والتفكير، وفي هذا السياق نراه يطرح هذا السؤال الاحتجاجي مدعما به اقتراحه الداعي إلى ضرورة إحداث قطيعة ثقافية ومعرفية مع كل العناصر والتداعيات العقلية التي أسهمت تاريخياً في جر العقل المسلم إلى التخبط في المتاهات والزيغ به عن منهجه القرآني: «فهل على وجه الأرض أمة تجتر ماضيها السحيق لتلوك منه خلافات قاسية كهذه الأمة»؟(٦)، كما نجد الشيخ الغزالي يخصص كتابه «ركائز الإيمان بين العقل والقلب» لهذا الغرض ويدعو صراحة الكتاب والمفكرين والعقلاء - وغيرهم من الطاقات الإسلامية المفكرة - إلى مشاركته جهوده لإحداث القطيعة المعرفية مع الجوانب السلبية الضارة المشوهة في الثقافة الإسلامية، وذلك لإنقاذ الفكر الإسلامي من آثارها الوخيمة، والعودة بالعقل المسلم إلى منهجه الذي أبدعه وصاغه ضمن معادلة الموازنة بين المعقول والمنقول، يوم كان هذا العقل ملتزماً مساره الحيوي الخلاق وفق محددات المنهج القرآني؛ ذلك أن تلك الثقافة «لا تزال تحمل في أطوائها صورة مجتمعات إسلامية معتلة، وقضايا فكرية وعاطفية جديرة بأن تودَع المتاحف، لا أن تدفع إلى دنيا الناس»(٧)؛ ومن ثمة فقد وجب - كما يقترح الشيخ الغزالي - استحداث «جهاز» يضطلع بمهمة غربلة مظان تلك الثقافة والتعليق على مضامينها، خدمة لبناء العقل المسلم المعاصر وجعله متناغماً مع منهجه القرآني ومساره الأول؛ إذ هناك «مئات الكتب في التفسير والحديث والفقه والأدب والتاريخ مخلوطة بسموم ناقعة، وخرافات سمجة، تتداولها ألوف الأيدي، ويقرؤها من يعي ومن لا يعي.. أما كان هناك «جهاز» غيور حصيف يتتبع هذه الأباطيل بالمحو، فإن لم يستطع إزالتها من مواضعها، وضع ألف علامة حمراء للتحذير منها، والتنبيه إلى دخلها وفسادها؟ لقد كثرت هذه الكتب السفيهة الزائغة حتى غلبت الثقافة الدينية الصحيحة، فلا عجب إذا وجدنا الأجيال المتأخرة من المسلمين، خلال القرون الأخيرة - أعني من مئات السنين - يسيرون متعثرين لا تشدهم وجهة ولا تدفعهم قوة، لأن الثقافة التي صنعتهم لا تنتج إلا نفوسا خاملة وعقولاً شائهة»(٨).

وهكذا يمكن لنا أن نستنتج بأن الشيخ الغزالي - بخصوص المسألة الثقافية - يركز على العلاج الداخلي، وهو يروم تصحيح وضع عملية البناء الثقافي الإسلامي، وهذا في نظرنا منهج صائب موفق يعضده العلم والواقع، فالجسم الذي ينهار فيه جهاز المناعة الداخلية والحصانة الذاتية، يعجز حتماً عن المقاومة والتصدي للأجسام والكائنات الغريبة الغازية الدخيلة.

٢ - على صعيد الجبهة الخارجية:

أما فيما يتعلق بالفكر الوافد والأنماط الثقافية الغربية وأطاريح الحضارة الغازية المهيمنة، فإن الشيخ الغزالي له موقف من ذلك يتسم بالاتزان والعقلانية؛ يدل على اطلاع واسع، وإدراك فاعل لمعطيات واقعية متنوعة، ومقدرة مشهودة، في كسب مداخل ثقافة العصر وأدوات التحليل والنظر والمقارنة... والشيخ الغزالي لا ينظر إلى الغزو الثقافي على أنه انتشار فن العمارة الغربية، وعدم انتشار فن العمارة الإسلامية، أو أن يشيع نظام المائدة الأوروبية، ويختفي نظام المائدة المحلية أو البدوية (٩)؛ بل إنه - شخصياً - يفضل نظام المائدة الغربي على النظام الشرقي، ويرى كثرة الأطباق

والأكواب والملاعق أفضل من طبق واحد وكوب واحد(١٠)؛ لكن الغزو الثقافي - برأيه - يعني تغيير الحقائق والعناوين وفصل حاضرنا عن مستقبلنا، ووضع قلباً مكان قلب وعقلاً مكان عقل، إنه ذاك «المخدر» الذي يعطل الإحساس بالمأساة التي تباشر ضد ديننا وأدبنا وتراثنا، وهو أيضاً إضعاف العقائد والأخلاق، ومحو تشريعات الإسلام في الحدود والمعاملات والسلوكيات، والانقضاض على معالم الإسلام ومحو شخصيته المادية والأدبية، إنه باختصار خطة ذكية لإغراء الضحية بالانتحار أو استسلامها في ذهول للذبح وعدم مقاومة جزاريها (١١).

وبوعي نادر سعى الشيخ الغزالي عبر كتابات غزيرة وأنشطة متنوعة إلى كشف المجالات والمداخل التي يركز عليها الغزو الثقافي، فنبه إلى خطورة منهج الاستعمار في توزيع الأدوار وتغيير المظاهر والأدوات مع تمسكه بهدفه الأساس وغايته الرئيسة: أي الخلاص من الإسلام وإنهاء حضارته وتاريخه... وللحيلولة دون تلك الغاية فقد تقدم الشيخ الغزالي إلى مسرح الصراع الفكري وحلبة المواجهة الحضارية، منافحاً عن أمته، ذائداً عن دينه ومواريثه الحضارية المشرقة، وهو يرى أن الغزو الثقافي الغربي يمكن إضعاف آثاره أو تحييد نتائجه إذا أمكننا النجاح في الالتزام بهذه المبادئ والمداخل:

أ - التسلح بالعقيدة الصحيحة الحية: إن تحصين الجيل المسلم بعقيدته الحية الخلاّقة يكسبه مناعة ذاتية فاعلة ضد أفكار وسلوكيات الأنماط الدخيلة والأخلاقيات الوافدة، ودليل ذلك أن الاستعمار الثقافي سعى أول أمره إلى زعزعة العقيدة في النفوس، وإفراغ الأفئدة من الإيمان، وخلق شباب وأجيال تُضيع الصلاة وتتبع الشهوات، تستثيرها الغرائز الدنيا، وتذهل عن واجباتها ورسالتها وأدوارها المنوطة بها في الحياة (١٢).

ب - التفريق بين ما هو دين وما هو عادات وتقاليد: ومما يسهم أيضاً في تخفيف وطأة تحديات الحضارة المعاصرة وفكرها الوافد، الحرص على تقديم السلوك الإسلامي الواعي بطبيعة العصر، وتأهيله لأداء دوره المطلوب في عملية المواجهة الثقافية والتدافع الحضاري، لأن الأجيال الناشئة ستتمثل سلوكيات الحضارة المهيمنة بقدر انتكاسة وإخفاق السلوك الإسلامي وتوغله في الرداءة والسلبية، ويقتضي ذلك - برأي الشيخ الغزالي - التفريق بين ما هو جوهري في تعاليم الإسلام وما هو عادات أو تقاليد بيئية أو خاصة؛ وأي خلط بين الجانبين هو ظلم للإسلام مؤكد، بل هو ظلم بآثار مزدوجة، إذ إنه يزهّد الأجيال في مواريثها وقيمها الفكرية، وفي الوقت ذاته يشوه حقيقة الإسلام للشعوب الأخرى خارج بلاده... ويقول الشيخ الغزالي: «إن المناظر المؤذية في اللباس والسلوك كثيرة، وما أرتاب في أن وراءها أصابع خفية تعمل ضد الإسلام» (١٣).

وعن هذه الظاهرة ذاتها المؤذية للإسلام - كما ينعتها - يقول: «يوجد متدينون من المسلمين النازحين إلى أوروبا وأمريكا، وفيهم بلا ريب من هزم تيارات الانحراف التي تجره إلى السقوط، غير أن كثيرا من هؤلاء يحمل جراثيم العلل التي شاعت في بلاده الأصلية.. فهناك من حلق رأسه وشواربه بالموسى وأطلق شعر لحيته على نحو يشعرك بأن كل شعرة أعلنت حرباً على جارتها، فهناك امتداد وتنافر يثيران الدهشة.. قلت في نفسي: لم يبق إلا أن يحلق حاجبيه بالموسى هي الأخرى لتكتمل الدمامة في وجهه. ولم أر مساءلته لِمَ فعل ذلك، لأني أعلم إجابته: سيقول هذه هي السنة!.. ما عليه لو ترك شعر رأسه مرجلاً معطراً، وهذب لحيته أبهى من لحى أهل الفن كما يقولون أو كما يفعلون»(١٤).ويتألم الشيخ الغزالي من قضية خلط تعاليم الإسلام بالعادات البيئية والتقاليد المحلية، فذلك في نظره ما جعل حُجُباً كثيفة تحول دون معرفة الإسلام وتعاليمه الإلهية فيطلق هذه الصرخة لكل شعوب المعمورة: «أكاد أقول لسكان القارات: إن ما ترون في شؤوننا ليس ما أنزل الله من كتاب ولا ما قدم رسوله من أسوة، إن ما ترون هو عوج أمة نسيت ما لديها ومضت على هواها»(١٥)؛ ونحن نلاحظ ونستنتج هنا بأن الشيخ الغزالي يوقن بأن الكثير من العادات والتقاليد في بلاد المسلمين كانت سبباً في انعطاف أجيال كثيرة إلى ثقافة الغرب وحضارته، إلى جانب تقديم الإسلام ذاته كرسالة بصورة مشوهة لا ترغب في اعتناق حقائقه والحفاوة بأحكامه ونظمه، فهو يؤكد باستمرار أن «مأساة الإسلام تكمن في أن ناساً يتقدمون بتقاليد الشعوب على أنها تعاليم الوحي، بل إنهم يتقدمون بالأخطاء التاريخية على أنها توجيهات سماوية.. وستبقى الحضارة الحديثة حاكمة ما بقي هؤلاء يدعون ويكابرون، ولن تصح مسيرة العالم إلا بعودة الإسلام ذاته على أيدي أولي الألباب ومن لهم قلوب»(١٦)؛ ولعل الشيخ الغزالي في هذا الطرح - كما أشار ملمحاً إلى ذلك - متأثر بأسلوب أستاذه الإمام حسن البنا الذي كان يواجه الغزو الفكري بمحاربة التقاليد الغبية، دون تفريق بين مخاطر الآصار الموروثة والأهواء الوافدة (١٧)؛ وهذا حق فإن عوامل تشويه حقيقة الإسلام واحدة، بل إن الموروث منها قد تكون مخاطره أعمق أثراً، وآثاره أفدح ضرراً، وهذا أحد أسرار كون الهزائم تبدأ في حقيقتها من داخل الذات لا من خارجها، فالعامل الداخلي في معادلة النصر أو الهزيمة

الاستعمار الثقافي سعى أول أمره إلى زعزعة العقيدة في النفوس، وإفراغ الأفئدة من الإيمان

وميدان المغالبة هو الأصل. أما العامل الخارجي فأثره - غالباً - مرتبط بأحوال ومستويات العامل الأول (١٨).

ج - ضرورة الخبرة بأحوال الآخر الحضاري: إن دراسة أحوال وأوضاع الآخر الحضاري أمر لابد منه، بل هو من مقتضيات المحافظة على ذاتنا الحضارية وخصوصيات شخصيتنا؛ ومن ثم فإن الشيخ الغزالي يرجع بعض جوانب انتكاسة الوجود الإسلامي إلى هذا العامل ذلك أن «دراستنا للآخرين كانت صفراً، مع أن الآخرين كانت تغلي مراجلهم ولا يفتأون يفكرون في النيل منا والإتيان على ديننا من القواعد. أكنا نتدبر الآية الكريمة: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (١٩) وإذا كنا نسينا هذا النذير الإلهي، فكيف ننسى أحداث تاريخ طويل، ترادفت مآسيه علينا، ولا تزال تنذر بالويل والثبور؟ إننا جزء من عالم موّار بالحركة، وقد تحولت خطاه إلى وَثَبَات فسيحة في هذا العصر، وأعداؤنا يصارحون بكراهيتهم العميقة للإسلام، وتخطيطهم للإتيان عليه. فحتى متى نجهل ما حولنا؟ يجب أن نندم على هذا الخطأ ونتحرز بعدُ من الوقوع فيه» (٢٠)؛ إن عدم الاكتراث بمعرفة الآخر يعني في تفكير الشيخ الغزالي تفريطنا في رسالتنا وانفصالنا عما كلفتنا به الأقدار من واجبات، إلا أنه ينبه إلى أن معرفة هذا الآخر تقتضي التفريق الدقيق بين ما يجب أن نأخذ منه، وما يجب أن ندعه وما ينبغي استغلاله في هذه المعرفة من روافد لدعم حاضرنا ومستقبلنا؛ لذا نراه يدعو إلى ضرورة تأسيس جهاز راصد كشاف، مهمته الأولى مراقبة العالم الإسلامي والعالم الذي حوله، من أجل حراسة الرسالة الخاتمة ومعالجة ما يعترض سبيلها من عوائق أو ما يهددها من كيد (٢١).

المواجهة الثقافية في فكر الشيخ الغزالي تمثل أبرز محور في مؤلفاته

د - شحذ القدرات للوقوف أمام تحديات العصر: مما لا شك فيه أن الوقوف في وجه تحديات الحضارة المعاصرة يقتضي - كما يرى الشيخ الغزالي - تفقهاً متجدداً لمنهج الإسلام وفكره، قوامه الاستيعاب الذكي للإسلام جملة مع الإفادة المتبصرة لاجتهادات جميع العصور، لمواجهة مشكلات العصر وتحديات الفكر الوافد، ذلك أن الاعتماد على فقه واجتهادات مذهب واحد من مذاهب الفقه الإسلامي أمر تجاوزه الزمن فضلاً عن كونه غير مؤهل كنموذج فكري يمكن أن تكون له قدرة الوقوف أمام خصوصيات وسحر تحديات الحضارة المعاصرة (٢٢)؛ وفي نظر الشيخ الغزالي فإن الكفاءة الإسلامية في الميادين كافة مطلوب منها الآن: الارتفاع إلى مستوى العصر ومشكلاته كي تفلح في تخطي المخاطر المهددة للوجود الإسلامي، وإنقاذ الهوية الفكرية والحضارية للمسلمين من جهود ومحاولات الحضارة الغربية التي تروم بوسائل مختلفة ومتجددة، احتواءها وإلحاقها، وبالتالي تأبيد تبعيتها، بوساطة فصلها النهائي عن مكوناتها العقدية والتاريخية المتأصلة.

إن المواجهة الثقافية في فكر الشيخ الغزالي تمثل أبرز محور في مؤلفاته ونشاطاته العلمية والفكرية والدعوية، فقد وقف بحزم وثبات في وجه التحديات المختلفة التي واجهت عنفوان الأمة الإسلامية - ولا تزال حلقاتها متتالية - واستطاع مجابهة كل مرحلة بما تستحقه من جهود ومقتضيات ففي مطلع حياته العلمية كان الإقطاع يمزق حياة الفلاحين ويسطو على أملاك وأرزاق المقهورين من ضعفاء الشعب المصري، كما أخذت الرأسمالية المتوحشة تجد لها أنصاراً ومؤيدين على حساب الطبقات الكادحة المستضعفة وأغلب هؤلاء الأنصار والمؤيدين الذين انتفخت أجوافهم بالسحت، هم ممن كانوا يقفون إلى جانب الاحتلال، ويتزلفون إلى النظام الملكي وأسرة قصر عابدين، في هذه الأجواء المصبوغة بصبغة المظالم الاجتماعية والحيف الاقتصادي والمعاشي. كتب الشيخ الغزالي كتابه النفيس (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) ثم (الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين)؛ وحين حدثت بعض المتغيرات واشتدت وطأة التوجهات اليسارية في العالم العربي والإسلامي، وفتن الناس بأطاريحها السرابية، خصوصاً في مصر، وطفقت هذه التوجهات - مستغلة فرصاً ومساحات التمكين السياسي والأيديولوجي لها - تقدم نفسها كبديل للمنهج الإسلامي ولاسيما على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، أخرج للناس (الإسلام والمناهج الاشتراكية) و(الإسلام في وجه الزحف الأحمر)؛ كما تصدى الشيخ الغزالي بمنهجية ووعي لحركات ومذاهب تغريب الذات الإسلامية، وإلحاق الأجيال المسلمة بأطاريح ومرجعيات الحضارة الغربية والفكر الوافد، فكتب: (ظلام من الغرب) و(كفاح دين) و(علل وأدوية) و(الاستعمار أحقاد وأطماع) و(الغزو الفكري يمتد في فراغنا) و(دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين) و(صيحة تحذير من دعاة التنصير) و(حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة)... إلخ، وبدافع الانتصار للإسلام وخدمة رسالته وإنصافه من خصومه، جادل الشيخ الغزالي العلمانيين ودعاة التغريب بالحجج العقلية، وما يقتضيه منطق العصر من أدوات معرفية وعمق ثقافي ومنهجية في التناول والمحاججة، والانطلاق من قاعدة البدهيات والمسلمات العقلية باعتبارها قاسماً مشتركاً بين الأذهان والمدارك، لاختصار الجهد وتحقيق المقاصد من أقصر الطرق وأيسر المناهج؛ وفي محاضرته الشهيرة (التحدي الثقافي وآخر خط للدفاع عن العرب والمسلمين) (٢٣) دعا

الشيخ الغزالي إلى ضرورة التعجيل بمعالجة مشكلات الإسلام الثقافية، ووضع المجتمعات المسلمة في منظومة موحدة، لتلقي المعارف المشبعة بنضح غايات المرجعية الإسلامية، في بناء عالم الأمة الثقافي والفكري والمعرفي؛ والمسارعة أيضاً إلى وضع الأطر والمناهج الكفيلة بتخفيف وطأة التحديات التي تجابه واقع المسلمين في هذا العصر المتميز بالمتغيرات العميقة على المستويات كافة المرتبطة بكينونة الإنسان، قصد تجاوز عوائق العصر وتحقيق هدف انعتاق الذات الفكرية والحضارية للمسلمين.

وما يمكن كذلك ملاحظته في جهود الشيخ الغزالي الفكرية - وبخاصة منها تلك التي اقتضتها المواقف والردود اللازمة في وجه التحديات الغربية للفكر الإسلامي - أنها لم تكن مجرد ردود أفعال متشنجة، كما لم تأت في شكل كتابات اعتذارية، بفعل حدة وطأة الضغوطات المتلاحقة لتلك التحديات.. ولكنها جاءت منظمة ومنضبطة بمنطق أخلاقيات الحوار العلمي، الذي يتخذ من عوامل الإقناع العقلي والاستمالة المنطقية أسساً ومرتكزات، يستند عليها في عمله وتفاعله مع الرأي الآخر والأطاريح المغايرة؛ كما جاءت صورة عاكسة لما ينطوي عليه الفكر الإسلامي من عناصر الحيوية والقوة والثراء التي تؤهله لاستيعاب مستجدات كل العصور، عبر منهج أسلمة خصائص كل عصر، وجعلها جزءاً من منظومته المتفردة؛ كما قصدت تلك الجهود - وهذا أحد أكبر أهدافها - إلى تثبيت الفئات والتجمعات المسلمة المعتزة بانتسابها الإسلامي وانتمائها الحضاري... ومن هذه المنطلقات والأسباب يمكن اعتبار الشيخ الغزالي نموذجاً علمياً متميزاً لما يتطلبه هذا العصر من المسلم المعاصر من مواقف وجهود وحضور وفاعلية؛ ولو أن كل الجهود الفكرية الإسلامية المعاصرة تمثلت في تفاعلها مع خصوصيات هذا العصر، ومعطيات هذا النموذج، لأمكن التغلب على الكثير من الإشكالات، والحد من آثار العوائق والعقبات التي لاتزال في طريق المجتمعات الإسلامية، كما أن الفكر الإسلامي لايزال يكابد أثقالها، ويعاني وطأتها في واقعه المعاصر، من هذه الفترة الحرجة من تاريخه. ■

اتخذ الغزالي من عوامل الإقناع العقلي والاستمالة المنطقية أسساً ومرتكزات

(*) كاتب جزائري ... ومن كتاب مجلة الوعي الإسلامي منذ العدد (٣٥٥).

الهوامش

(١) - اشتهرت هذه المسألة في فكر المفكر الإسلامي الجزائري الكبير مالك بن نبي رحمه الله (١٩٠٥ - ١٩٧٣م) باسم: روح القابلية للاستعمار.

(٢) محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل (هيرندن/ أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٩٩١م) ص٦٠.

(٣) - محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين (القاهرة: دار نهضة مصر، ط٥، ١٩٩٦م)، ص٩٤ و٩٥.

(٤) - المصدر نفسه، ص٨.

(٥) محمد الغزالي، عقيدة المسلم (باتنة/ الجزائر: دار الشهاب، ١٩٨٥م)، ص٦ و ٧.

(٦) - المصدر نفسه، ص٨.

(٧) - محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب (الجزائر: مكتبة رحاب - الطبعة الجزائرية الأولى، ١٩٨٨م)، ص٥.

(٨) - المصدر نفسه، ص٨.

(٩) - محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا (الجزائر: دار الكتب، الطبعة الجزائرية الأولى، ١٩٨٧م)، ص١٣٤.

(١٠) - المصدر نفسه، ص١٨٢.

(١١) - المصدر نفسه، صفحات: ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣.

(١٢) - محمد الغزالي، كفاح دين (الجزائر: مكتبة رحاب، ط٦، ١٩٨٨م)، ص١٦٦.

(١٣) - محمد الغزالي، الغزو الثقافي (مصدر سابق)، ص١٦٩.

(١٤) - محمد الغزالي، مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه (الجزائر: دار الكتب، الطبعة الجزائرية الأولى، ١٩٨٧م)، ص٧٤ و٧٥.

(١٥) - محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين (القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٥م)، ص٥.

(١٦) - محمد الغزالي، الغزو الثقافي (مصدر سابق)، ص٤٧.

(١٧) - محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين (الجزائر: دار الكتب، الطبعة الجزائرية الأولى، ١٩٨٨م)، ص١٢.

(١٨) - المصدر نفسه ص١٥= وانظر أيضاً خاتمة كتاب الشيخ (ظلام من الغرب).

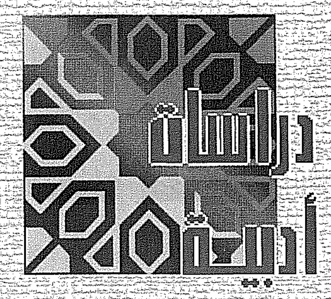
(١٩) - سورة البقرة آية: ٢١٧.

(٢٠) - محمد الغزالي، تراثنا الفكري (مصدر سابق)، ص٣٦ و٣٧.

(٢١) - المصدر نفسه، ص٣٨.

(٢٢) - انظر مثلاً على ذلك: محمد الغزالي، ظلام من الغرب (باتنة/ الجزائر: دار الشهاب، د. ت)، ص١٦٢.

(٢٣) - أودع الشيخ الغزالي هذه المحاضرة كتابه (الغزو الثقافي يمتد في فراغنا) - مصدر سابق -، والملتقى المذكور انعقد بمدينة بجاية (الجزائر) من ١٩ - ٢٦ شوال ١٤٠٥هـ، ٨ - ١٥ يوليو ١٩٨٥م.



الأدب الإسلامي ودين الأديب





هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً؟

بقلم الدكتور: جابر قميحة - أستاذ الأدب العربي

كثيراً ما نقرأ عبارة مشهورة تتردد على الأقلام والألسنة وهي أن «العبرة ليست بالذي قال، ولكن العبرة بالذي قيل» وهي مقولة قد تكون صحيحة في بعض جوانب الحياة والتعامل، ولكنها لايمكن أن تمثل قاعدة مطلقة، فقد يكون «للذي قال» اعتبار لايقل أهمية عن «الذي قيل».

واتجاه النص الأدبي، وبطانته، وأبعاده، ومراميه.. كل أولئك أو بعضه قد يخفى على الدارس إذا لم يُعرف الناص ولو معرفة عامة، بل قد يتوقف الفهم الدقيق للنص بكل مشتملاته على المعايشة الطويلة العميقة للمبدع في أحواله وأطواره المختلفة. وانطلاقاً من هذا الحكم نقول: إن العطاء الفكري والنفسي وأحياناً الجمالي للنص يختلف في نظر المتلقي باختلاف الناص، ولنمثل لهذه الفرضية المتخيلة ببيت أبي العلاء المعري:

هذا جناهُ أبي عليَّ ... وما جنيت على أحد

فأبو العلاء الفيلسوف أو المتفلسف يرى أن وجوده في هذه الحياة مأساة عاشها مرغماً، وتولى كِبْر هذه الجناية أبوه الذي أنجبه، وليست هي مشكلة خاصة، بل هي مأساة الجنس البشري كله، وقد ألحَّ أبو العلاء على هذا المعنى كثيراً في اللزوميات، ومن ذلك قوله:

ضحكنا وكان الضحك منّا سفاهة

وحُقَّ لسكان البسيطة أن يبكوا(١)

ولو فرضنا أن قائل البيت «عنترة بن شداد» لكان البيت تعبيراً عن معاناة شخصية خاصة تتمثل في إنكار أبيه له لأنه ابن أمة.

ولو فرضنا نسبة البيت إلى سحيم عبد بني الحسحاس ... العبد المتهتك العربيد، لتخيلناه يقوله والنار تلتهمه تنفيذاً لأمر الخليفة عثمان بن عفان لعدوان سحيم بلسانه على حرمات المسلمات الحرائر، وما قاله إلا شاكياً ضياع نسبه، وانعدام الأب الذي يوجهه التوجيه الرشيد السديد.

أما ابن الرومي فجناية أبيه عليه أنه تركه للفاقة والحرمان، فعاش ذليلاً مستضعفاً.

وبعد هذه الافتراضية، وعوداً على بدء نقول: «إن العبرة - في التعامل مع النص الأدبي - بالذي قال والذي قيل» أي بالنص والناص، أي بالإبداع والمبدع.

العبرة بالقول والقائل

فالكلمة الواحدة - كما يقول العقاد - تختلف معانيها باختلاف قائليها، فيؤبه لها من قائل، ولا يلتفت إليها من قائل غيره لأن الكلام جزء من الإنسان، وليس بحركات تتموج في الهواء، وتقع في الآذان، فإذا أردت أن تعرف الجزء فلا محيص لك من الرجوع به إلى كله الذي تجزأ منه، وإذا أحببت أن تفهم الكلمة فافهم المتكلم، لأنها من معدنه أخذت وبميزانه تعتبر وتوزن...

ويضرب العقاد مثلاً «بأميل لودفيج» لتأييد وجهة نظره السابقة - والتي نؤمن إيماناً مطلقاً بصحتها - ولودفيج هو صاحب السير عن

المسيح ونابليون وبسمارك وجيتي ووليم الثاني وغيرهم، حضر لودفيج إلى مصر، فلم تعجبه آثارها القديمة، وقال في كتابه «على شواطئ البحر الأبيض»: أما أنا فلا أشعر بشيء من الإجلال في مدافن الفراعنة ولا أستطيع إلا أن أضحك زارياً من عقل ذلك الملك الذي يخيل إليه في حياته أنه قادر على أن يخدع الموت بما يتأهب به من الأهبة النيرونية... وإن عظام جمل نخرة مطروحة بالعراء لتبلغ من نفسي ما ليست تبلغه هذه الآثار العقيمة التي تخلفها لنا العظمة الملكية، آثار ملوك يلتمسون لأنفسهم الخلود المزيف، بدلاً من التفكير في خير الرعايا».

ويؤكد العقاد أننا لا نستطيع أن نفهم هذا الكلام حق فهمه لو كنا لا نعلم قبل ذلك أن قائله اشتراكي جمهوري يعز عليه تسخير الرعايا في خدمة أهواء الملوك، فلودفيج هنا ليس الناقد الفني ولا المؤرخ المستقل، ولا السائح المتفرج، ولكنما المتكلم الذي نسمع رأيه في هذه السطور هو الاشتراكي، وهو الجمهوري، وهو كاره الأبهة الغاشمة، وكاره الذل في تسخير العمال، ويجب أن نعلم هذا لنقوِّم ذلك الرأي بقيمته، ونلمس موقع البواعث التي حركته، بل يجب أن نعلم لِمَ كان «لودفيج» الألماني اشتراكياً، مطالباً بحقوق الفقراء، وجمهورياً ساخطاً على حكم القياصرة!! ذلك لأنه كان يهودياً، واليهود كانوا مظلومين في عهد «وليم الثاني» على الخصوص، وكان هذا الملك معروفاً بكراهة الساميين أي بكراهة اليهود.(٢)

خرافة اسمها موت المؤلف

ثم من حقنا بعد هذا التوضيح أن نرفض فكرة «موت المؤلف» تلك الأكذوبة الكبرى التي طرحها «رولان بارت» ١٩١٥ - ١٩٨٠م في مقالة كتبها سنة ١٩٦٨م، ويرى فيها بعض الحداثيين، مقالة نقدية لها أهمية مصيرية ليس على نقد بارت فحسب، وإنما على النقد الألسني، وعلى النصوصية.(٣)

وخلاصة هذه الفكرة نراها في النقاط المركزة الآتية:

١ - حينما تبدأ الكتابة يأخذ المؤلف في الموت «أي الانزياح والغياب»، وتقطع الصلة بينه وبين النص، حتى لا يكون له هيمنة عليه.

٢ - وحتى يمكن التخلص من سلطان المؤلف، يجب أن نؤمن أنه مجدد ناسخ لميراث نصِّي ينحدر من ثقافات عدة تتشابه، وتتعارض، وتتقاطع.

٣ - يبقى القارئ هو صاحب الدور الأول لأنه هو الفضاء الذي ترسم فيه كل الاقتباسات التي تتألف منها الكتابة(٤)، والقارئ هنا - كما يقول عبدالله الغذامي - «قارئ منتج»، لايوجد إلا بتراجع سلطان المؤلف على النص، أو بالأحرى لابد من إزاحة الكاتب عن عمله، وإحلال القارئ محله لكي يتحرك النص بالقوة الجديدة الطارئة عليه، ومن هنا يمكن للنص أن تتجدد فيه الحياة، ويتأسس المرة تلو الأخرى، حسب تعاقب القراءات والقراء.(٥)

وفكرة موت المؤلف - في عمومها وتفصيلاتها غريبة على الفكر بإطلاق، كما أنها تبدو تجريدية، وغير واقعية، وغير قابلة للتطبيق بمصداقية، والتعبير عنها جاء أقرب إلى الشاعرية منه إلى الأداء النقدي.

وليس هناك حكمة عملية من موت المؤلف، أو إزاحته، والتعامل مع النص، «مبتوتاً» عن صاحبه، ومن عجب أن يقول الغذامي «إننا نعزل المؤلف عن النص كيف نتعامل معه بموضوعية تامة»، وهي مقولة غريبة لأن الموضوعية لاعلاقة لها بوجود المؤلف أو غيابه، ولكنها أساساً - ترتبط بأخلاقيات المتلقي بصرف النظر عن حضور المؤلف أو غيابه... فمن الممكن أن تغيب موضوعية المتلقي الناقد لأسباب متعددة مع مجهولية نسبة النص إلى صاحبه، والعكس صحيح.

ثم هل المؤلف مجرد ناسخ، وليس مبدعاً، وأن ما يقدمه إنما هو من قبيل التناص؟ إن هذا الكلام الذي ألح عليه بارت والبارتيون - أيسر ما يُقال عنه: إنه كلام غير علمي، وإلا لتشابه، بل تماثل - «إنتاج» الأدباء المتقاربين في الثقافة.

ونخلص من هذا الاستقراء إلى أن الفصل بين الأدب والأديب يعتبر عملاً ضد طبيعة الأشياء، كما أنه أقرب إلى الادعاء النظري منه إلى الحكم العملي، لأن النهر لا يمكن فصله عن منبعه... بل هو ينطلق في مجراه حاملاً طبيعة هذا المنبع وكثافة مائه وحظه من العذوبة أو الملوحة.

العقيدة... ضرورة

ومن البدهيات التي لا تحتاج إلى إثبات أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش من غير عقيدة في صورتها المذهبية الأيديولوجية أو صورتها الدينية، حتى عرّف بعضهم الإنسان بأنه «حيوان متدين» أي يحتاج إلى الارتباط بقوى غيبية لها في نظره تعظيم وإجلال. وفي التاريخ الأدبي الغربي بزغت عقيدة جديدة تؤمن بالفن في ذاته، وتجعل منه العقيدة البديل من العقيدة الدينية، ولكن تبين أن الفن في ذاته لايمكن أن يكون عقيدة لأنه قبل كل شيء نتاج بشري شديد المساس بالحياة، إنه يحتاج دائماً إلى العقيدة التي تسنده، وتكون بالنسبة إليه بمثابة نقطة الانطلاق.

وإذا كان الهدف البعيد للشاعر هو تحقيق الانسجام بينه وبين الحياة، فإنه إنما يعبر بذلك عن الهدف الذي تسعى الجماعة نفسها إليه، ولا يتحقق الانسجام بين الجماعة إلا من خلال استيعابه لهذه العقيدة.(٦)

واتساقاً مع هذه الحقيقة لانكون غالين مسرفين إذا اشترطنا مسلمية الناص أي الأديب المبدع لتنتسب إبداعه إلى الأدب الإسلامي، هذا إذا ما كان النص مستوفياً للشروط الشكلية والموضوعية وأهمها الانطلاق من التصور الإسلامي للكون والناس والحياة، فهناك إذاً وجهان متكاملان لعملة واحدة: الأديب المسلم والإبداع المستوفي للعناصر والملامح المطلوبة، ولعله من فضول

القول بعد ذلك أن نشير إلى الحقيقتين الآتيتين:

١ - مسلمية الأديب «الناص» لا يترتب عليها الحكم بإسلامية النص ضربة لازب إذا لم يكن وافياً بالمطلوب.

٢- ملامح النص واستكماله كل عناصر الأدب الإسلامي ومعطيات القيم الإسلامية لا يكسبه صفة الأدب الإسلامي - ضربة لازب - إذا ما كان صادراً عن غير مسلم.

الأديب المسلم ... والأديب الإسلامي

وعلينا في هذا المقام أن نفرق بين الأديب المسلم والأديب الإسلامي، فقد يكون الأديب مسلماً، وليس له إبداع واحد يستحق وصف الإسلامية، أما الأديب الإسلامي فهو الأديب «المسلم» الذي قدّم ويقدّم الأدب الرفيع ذا السمات والملامح الإسلامية، وكان راسخ القدم، عميق الدراسة والفكر، غزير العطاء بهذا اللون من الإبداع.

والأدب الإسلامي لا يصدر إلا عن مسلم، لأن العقيدة السمحة هي مصدر التصور، وهي التي تجعل ذات الأديب «مشبعة بمنهج الله»، متمتعة باليقين في العقيدة، هذه الذات هي التي تفرز أدباً صادقاً مؤثراً يغرس الحق ويقين الاعتقاد في وجدان الأجيال المسلمة... حتى فن الهجاء الذي عرف بعداوته وكذبه في كثير من نماذج الشعر العربي نجده في كثير من النماذج أيضاً يتجه وجهة إسلامية مستمداً مضامينه من فضائل الإسلام سلباً بحيث يختار الشاعر المسلم مهجوه ممن انحرفوا عن جادة الحق وعزفوا عن الاستقامة في الدين(٧).

وفي التعريفات التي عرضناها في الفصل الأول من هذا البحث لمصطلح «الأدب الإسلامي» رأينا أن الأستاذ محمد بريغش كان هو الوحيد الذي نصّ صراحة على مسلمية «الأديب»، «فالأدب الإسلامي هو التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي»، وإن كانت «مسلمية» الأديب مفهومة ضمناً من كل هذه التعريفات أو أغلبها، ومذكورة في شرح هذه التعريفات وعلى سبيل التفصيل، وبتفريقات بارعة طريفة يرى بريغش أن الأديب لا يدخل في إطار الأدب الإسلامي إلا من مدخل «المسلمية» فقط، لأن صفة الأديب فقط يشترك فيها مع غيره من الأدباء مهما كانت وجهتهم وصفاتهم، وهي لا تشير إلا لموهبته وقدراته الأدبية فحسب التي تميزه عن بقية الناس في انفعالاته وأحاسيسه وأفكاره، ولذا نرى أن الأدباء يتفاوتون ويتمايزون على أساس معتقداتهم: كلهم يمتلك وسيلة الكتابة والتعبير، ولكن كلاً منهم يعبر عما يريد من أفكار، بما يؤمن من أشياء ومُثُل، وبالأسلوب الذي يراه مناسباً لهذا الاعتقاد.(٨)

داعيات متعددة ...

وهناك داعيات أخرى متعددة لاستلزام شرط المسلمية في الأديب تتلخص فيما يأتي:

١ - الداعية التاريخية أو داعية الاستصحاب التاريخي: فالأدب الإسلامي الموجود حالياً على الساحة الأدبية في طروحاته المعاصرة من شعر ونثر، والذي ترفع لواءه «رابطة الأدب الإسلامي» في المقام الأول يسترفد - بصفة أساسية - المعنيين الأصيلين:

القرآن والسنة من ناحية، وطروحات المبدعين على مدار العصور التاريخية من ناحية أخرى من أمثال حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وأبي العتاهية، وعشرات ممن يدورون في الفلك نفسه، وكلهم مسلمون، ولم نجد مبدعاً مسلماً في وقتنا الحاضر يتخذ مثله الأعلى شاعراً وثنياً كامرئ القيس، أو شاعراً يهودياً كالأخطل، وإن لم يخل بعض شعرهم من معانٍ طيبة واعتزاز ببعض القيم التي تتسع لها المفاهيم الإسلامية.

«فالأدب الإسلامي المعاصر ينبغي أن يكون امتداداً لأدبنا الإسلامي الذي ظهر منذ فجر الدعوة الإسلامية، واستمر في النمو والتطور على مرّ العصور»(٩).

وقد يعترض على اشتراط «المسلمية» بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان معجباً بشعر أمية بن أبي الصلت وهو غير مسلم، وكان يستنشد بعض الصحابة شعره، ومعروف عنه أنه رثى قتلى بدر من المشركين وهجا النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين.(١٠)

ولكن الإعجاب شيء، واتخاذ المثل الأعلى شيء آخر، كما أن الإعجاب كان جزئياً ولم يكن كلياً، أي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان معجباً ببعض هذا الشعر، ولم يتعد ذلك لا إلى شعره كله، ولا إلى شخصيته كشاعر، ولم يطلب النبي - صلى الله عليه وسلم - من المسلمين الاقتداء به لا سلوكاً ولا فناً.

٢ - الداعية النفسية: يمر المسلمون حالياً بمرحلة يمكن أن نسميها «مرحلة التيه» أو «الهبوط الشامل» على كل المستويات فكل شيء يسحب من تحت أقدامهم جزءاً جزءاً: الأرض والكيان أو المكان والمكانة، إنه عصر الغربة القهّارة التي تحدّث عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أصبحت كلمة «المسلم» لا تعكس إلا دلالات الذل والضياع والسفه والتخلف، حتى أن بعض المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات الأجنبية كانوا يحاولون إخفاء هذه النسبة الكريمة التي كانت مفخرة المفاخر في القديم، حتى قال أحدهم حينما سئل من أبوك، أقيسي أم تميمي:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

وكان منطق القائد في تحميس جنوده على القتال «إننا لا نقاتلهم بعدد أو سلاح، بل نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به».

ومع الأيام تزداد نظرة أعدائنا إلينا استهانة واستخفافاً واحتقاراً، فليس للعرب والمسلمين في نظر دولة كأمريكا حساب أو اعتبار، ويصدق ذلك على «توابعها» من دول الغرب وإسرائيل.

وأمام هذه الحال لم يعد أمام المسلم إلا أن يكون له موقف من

موقفين:

الأول: التنكر والتهرب الإعلامي من إعلان هذا النسب حفظاً «للقيمة الذاتية» في نظر «الآخرين» من غربيين ومن يسير على دربهم، وهو موقف يعجل بالقضاء على هوية الأمة، ويسيء أبلغ الإساءة إلى قيمنا ومرجعيتنا الإسلامية والعربية.

الثاني: التمسك بهذا النسب وتأكيده وإعلانه، والعمل بمقتضاه، وتقويته في مستوييه الاعتناقي والتثقيفي، وهذا يعني «إقامة ذات» إسلامية قوية شامخة لا تؤثر فيها معاول الآخرين.

والأدب الإسلامي يكون في هذه الحال عنصراً مهماً جداً في «إقامة هذه الذات» وتقويتها وترسيخها، ويكون اشتراط «مسلمية» الأديب - والحال كما رأينا - لا من قبيل اشتراط «إضافية» أو استكمالية، بل من قبيل اشتراط «جوهرية أساسية» لا يقوم الأدب إلا بها، حتى يتمكن المسلمون - في جو هذه المواضعات الخبيثة - مقاومة تيار «التذويب النسبي» انطلاقاً من منطق الاعتزاز الإيماني، (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين).

٣ - داعية الواقع الأدبي أو المواضعات الأدبية على المستويين: العربي والعالمي، وقد رأينا في الفصل السابق أن هناك أدباً ماركسياً يعالج موضوعاته من زاوية مادية حادة، ويفرزه ماركسيون شيوعيون، وهناك أدب وجودي ينشره وجوديون، وللمسيحيين أدبهم، وأصبح للأدب الصهيوني كيان ووجود عالمي على أيدي صهاينة عتاة بغاة، ثم أصبح العالمانيون والحداثيون يصلون الليل بالنهار إنتاجاً وإبداعاً لشغل الساحة الأدبية بالغثاء الكريه، ويتخذون من معاداة الدين والتراث والقيم وأصالة اللغة منطلقاً للتدمير والتخريب.

ومن ثم كان وجود الأدب الإسلامي بأديبه المسلم الملتزم ضرورة للتصدي والتحدي للحفاظ على الدين والتراث وأصالة اللغة والأدب الشريف.

وقد يقول قائل - بل قد قيل فعلاً - هذا يعني أنكم تتصرفون بمنطق «رد الفعل»، فالفضل إذاً في «إيجادكم» هذا النوع من الأدب يرجع «للآداب الأخرى» وهو ضرب من المسايرة والمجاراة، أو هو نوع من التقليد «بالتضاد».

وهو منطق واه مرفوض من الواقع والتاريخ، لأن «الأدب الإسلامي» بدأ بانبثاق نور النبوة المحمدية الهادية، ولم ينقطع تياره لحظة من الزمان، وإن اختلفت درجات حيويته على مدار التاريخ لعوامل لا يتسع المقام لشرحها، وما يقوم به دعاة الأدب الإسلامي في وقتنا الحاضر ليس عملية «إيجاد» وإنما عملية تقوية وتنشيط «لوجود» مع الإفادة من كل جديد نافع له عملاً بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها».

وقد يذهب بعضهم إلى أن الإصرار على تسمية الأدب «بالإسلامي» واشتراط أن يكون الأديب «مسلماً» ينم عن روح من التعصب الديني غير مستساغ في وقتنا الحاضر.

وأقول سبحان الله!! فلماذا يستسيغ العالم وصف الأدب بالمسيحي أو القبطي أو اليهودي أو الصهيوني أو الماركسي أو الاشتراكي... إلخ إنها ليست «عصبية» ولكنها «تحديد للهوية» ولا يختلف اثنان في أي من حق أصحاب «الشأن» أن يحددوا هويته وأبعاده وملامحه كما يشاؤون.

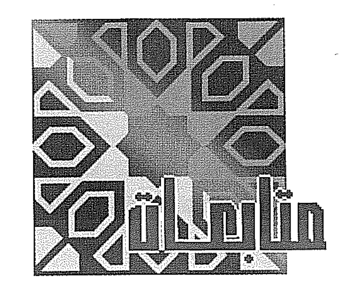
والأديب المسلم في إبداعه ينطلق من «التصور الإسلامي» في التعامل الفني مع الحياة والكون والإنسان، وهذا التصور هو «التصور الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله الرباني، وحقيقته الربانية، فالتصورات الاعتقادية والسماوية التي جاءت بها الديانات قبله قد دخلها التحريف بصورة من الصور... وقد أضيفت إلى أصول الكتب المنزلة شروح وتصورات وتأويلات وزيادات ومعلومات بشرية أدمجت في صلبها، فبدلت طبيعتها الربانية، وبقي الإسلام - وحده - محفوظ الأصول، لم يشب نبعه الأصيل كدر، ولم يلبس فيه الحق بالباطل، وصدق الله في شأنه: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(١١).

وربانية هذا التصور يعطيه قيمته الأساسية وقيمته الكبرى، فهو وحده مناط الثقة في أنه التصور المبرأ من النقص، المبرأ من الجهل، المبرأ من الهوى»(١٢)، وهو كذلك مناط الضمان في أنه التصور الموافق للفطرة الإنسانية الملبي لكل جوانبها المحقق لكل حاجاتها، ومن ثم فهو التصور الذي يمكن أن ينبثق منه ويقوم عليه أقوم منهج للحياة وأشمله»(١٣). ■

المراجع

١ - اللزوميات ٢/٢١٦.
٢ - انظر: عباس العقاد: ساعات بين الكتب ٦٥٥ - ٦٥٨.
٣ - الغذامي: من تقديمه لكتاب رولان بارت «موت المؤلف» ص ٨ ترجمة منذر العياشي.
٤ - انظر بارت السابق ١٢ - ٢٠، والغذامي: الخطيئة والتكفير ٧١ - ٧٤، وانظر كذلك: فاضل ثامر: اللغة الثانية ١٢٩ - ١٣٤.
٥ - الغذامي: ثقافة الأسئلة ٢٠٤.
٦ - انظر لعز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٩٤.
٧ - د. محمد صلاح الهادي: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، محاضرة ألقاها في كلية التربية الأساسية بالكويت، ونشرتها صحيفة الأنباء الكويتية في العددين ٦٣٢٧ - ٦٣٣٤ في ١٩٩٣/١٢/١٧م - ١٩٩٣/١٢/٢٤م.
٨ - محمد حسن بريغش: في الأدب الإسلامي المعاصر: دراسة وتطبيق ٣٧.
٩ - د. عبدالرحيم الرحموني: نحو رؤية إسلامية للأدب ١٩٩٤م (بحث نشر بالدارة العدد ١٠٤ لسنة ١٩).
١٠ - سنعرض لهذه المسألة بالتفصيل في الفصل الأخير.
١١ - سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ٧١ - ٧٢.
١٢ - المرجع السابق ٧٤.
١٣ - المرجع السابق ٧٥.

يتبع



الحرب الإريترية الأثيوبية والأمن القومي العربي

مع تجدد واتساع المعارك الضارية على طول الجبهات المتعددة على الحدود بين أثيوبيا وأريتريا دخلت منطقة القرن الأفريقي في دوامة حرب ضروس سيكون لها بالغ الأثر على كل الأصعدة والمستويات، وبخاصة تداعياتها السلبية الخطيرة على الأمن القومي العربي، ليس فقط لأن الحرب تفجرت في منطقة جغرافية تقع على «ضفاف البحر الأحمر ومنابع النيل»، ذات حساسية الخاصة بالنسبة للأمن الاستراتيجي للعرب والمسلمين، ولكن لما ظلت تمثله منطقة القرن الإفريقي على مدى العقدين الماضيين من حظوة وتركيز من قبل القوى الأجنبية وخصوصاً إسرائيل، ولعل هذا الاهتمام والتركيز اللذين نالت منهما إريتريا حظاً وافراً بعد استقلالها سنة ١٩٩٣م قد يمثلان بعداً رئيسياً في خلفيات التنافس بين الدور الأثيوبي كدولة محورية ذات تاريخ عريق في التعامل مع المشاريع والمخططات الغربية والأمريكية، وبين الدور الإريتري المتصاعد الذي بدأ يغطي بشكل واضح على الدور الأثيوبي بعد استيلاء إريتريا على جزيرة إحنيش اليمنية.

ولا شك أن الخطط والبرامج والاتفاقات التي كانت تترجم بها اهتمامها بهذه المنطقة لم تكن سراً حيث ظلت السياسة الإسرائيلية تنطلق تجاه القارة الإفريقية من عوامل استراتيجية واقتصادية معلنة استقطابها عن طريق تقديم العون الاقتصادي والعسكري، وتحديداً الدول الواقعة على حوض النيل أو المطلة والقريبة من البحر الأحمر باعتبارها دولاً تقع في نطاق الأمن الاستراتيجي للدول العربية المتصارعة معها.

وفي هذا الإطار وقعت إسرائيل سلسلة اتفاقات عكسرية من أهمها ثلاثة اتفاقات وقعت في شهر يناير من السنة الماضية مع كل من أثيوبيا وإريتريا وأوغندا، وبمقتضاها

بقلم: محمد سالم الصوفي (*)

تقدم هذه الدول تسهيلات وقواعد للطيران الإسرائيلي بهدف التدريب بأجواء هذه الأقطار وضمان الانتشار السريع في حال حدوث أي خطر يهدد أياً من الأطراف الموقّعة على الاتفاقات، وبموجبها أيضاً يقوم الخبراء الإسرائيليون بتزويد تلك الدول بالأسلحة وقطع الغيار وإصلاح المعدات العسكرية والطائرات وتدريب الكوادر، وفي هذه الأثناء قال الجنرال آمنون شاحاك رئيس أركان الجيش الإسرائيلي إنه أبلغ قادة إريتريا وأثيوبيا وأوغندا خلال زيارته للمنطقة أن دولاً أعضاء في حلف شمال الأطلسي الذي تقوده واشنطن قررت توفير ضمانات لتقديم ١,٥ مليار دولار كدعم عسكري واقتصادي لست دول تقع على حوض النيل بهدف القضاء على ما أسماه «بالمد الإسلامي» ووصفه بأنه يزحف باتجاه أثيوبيا والصومال وإريتريا وجيبوتي جنوباً وأوغندا وغينيا ونيجيريا غرباً.

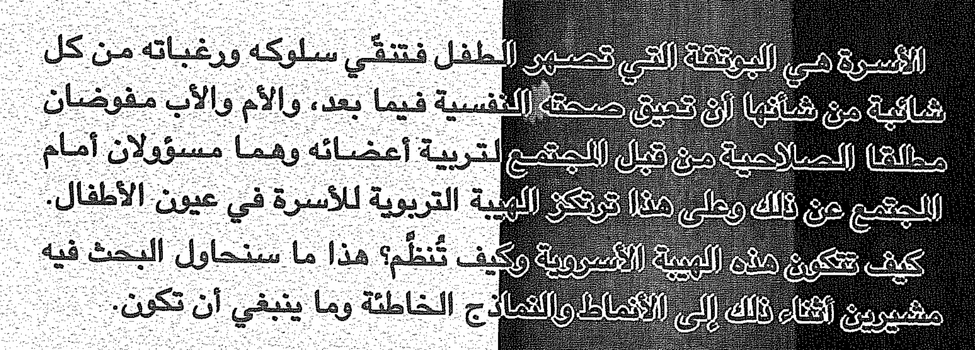
ومع دخول المنطقة في منعطف جديد وتفجّر الأوضاع بين أثيوبيا وإريتريا سيأخذ الدعم والتدخل الأجنبي أبعاداً جديدة تأخذ بالاعتبار الحاجة الملحّة للطرفين المتنازعين إلى الدعم والمساندة ووفق الشروط والأهداف التي ستسعى الدول الأجنبية إلى فرضها منطلقة من تأزم الأوضاع ومستغلة فرصة اتساع دائرة الدمار التي سيخلفها استمرار الحرب، ومن هنا تأتي الخشية العربية والإسلامية المشروعة من أن نشوب الحرب في السادس من شهر يونيو من العام الحالي بين أديس أبابا وأسمرة مناسبة لتعزيز الاختراق الصهيوني لمنطقة القرن الإفريقي والذي ظل - كما أسلفنا - من أوليات السياسة الإسرائيلية في القارة السمراء على مدى ربع قرن تقريباً.

ومع تفجر الأزمة قد يتبادر للأذهان أن الحرب ستكون في مصلحة الدول العربية التي لها حدود مشتركة مع البلدين وظلت علاقاتها معهما تتسم بالتوتر والقلق الدائمين، إلا أنه رغم الاتجاهات السلبية الواضحة من القضايا العربية والإسلامية التي تبدو من مواقف حكومتي ميلس زيناوي وإسياسي أفورقي، فإن ذلك لا يقتضي بالضرورة أن تكون الحرب بينهما تخدم المصالح الاستراتيجية للدول العربية والإسلامية على الأمد البعيد، حتى وإن كانت كذلك على الأمد الظرفي القريب، وذلك لأسباب كثيرة تضاف إلى تلك العوامل التي ذكرت سابقاً والمتعلقة بما ستفتحه الحرب من مجالات واسعة للتدخلات الأجنبية والإسرائيلية على وجه الخصوص، وتبقى المشكلة الرئيسية المزمنة والتي ستواجهها الدول العربية المجاورة وبخاصة السودان من جراء الحرب الدائرة الآن هو نزوح مزيد من اللاجئين الإريتريين والأثيوبيين إلى مدنها.

والذين لن تبذل الجهات الدولية كالعادة في سبيل مساعدتهم أي جهد الأمر الذي يزيد الطين بلة على مستوى الأوضاع التي تعانيها شرائح واسعة في تلك البلدان، ولا شك أن هذه المشكلة المزمنة التي ظلت تؤرق السودانيين على سبيل المثال على مدى الأعوام المنصرمة حين بلغ اللاجئون نحو أربعة ملايين لا يمكن أن يكون تضاعفهم سوى بداية مشكلة جديدة تضاف إلى المشاكل المستعصية التي تعاني منها المنطقة من جراء تشابك الأوضاع والأطماع، وبالتالي فإن زيادة الضغوط والمشاكل والحروب في منطقة القرن الأفريقي والبحر الأحمر يعد تهديداً مباشراً وخطيراً على الأمة العربية والإسلامية بشكل عام حتى وإن تفاوت الإحساس والإدراك والمسؤوليات تجاه تلك الضغوط والمشاكل.

(*) كاتب وصحافي موريتاني

الأطفال وأنماط الهيبة التربوية للأسرة



الأسرة هي البوتقة التي تصهر الطفل فتنقّي سلوكه ورغباته من كل شائبة من شأنها أن تعيق صحته النفسية فيما بعد، والأم والأب مفوضان مطلقا الصلاحية من قبل المجتمع لتربية أعضائه وهما مسؤولان أمام المجتمع عن ذلك وعلى هذا ترتكز الهيبة التربوية للأسرة في عيون الأطفال. كيف تتكون هذه الهيبة الأسروية وكيف تُنظَّم؟ هذا ما سنحاول البحث فيه مشيرين أثناء ذلك إلى الأنماط والنماذج الخاطئة وما ينبغي أن تكون.

إعداد ودراسة: حسين محيي الدين سباهي

يمثل أولئك الآباء والأمهات الذين لا يطيعهم أبناؤهم إلى التفكير بأن الهيبة الأسرية هبة من الطبيعة فإذا لم تكن هذه النعمة موجودة فلا يمكن صنعها ويبقى هؤلاء الآباء والأمهات يبحثون عن النصيحة والموعظة لدى أولئك الذين منَّ الله عليهم بتلك النعمة.

في الحقيقة يخطئ أولئك الآباء والأمهات، فالهيبة التربوية للأسرة يمكن تكوينها وتنظيمها بشكل فعَّال ومن دون تعقيد في كل أسرة، ولكن الذي يحصل في كثير من الأحيان وبشديد الأسف أن محاولات تنظيم الهيبة التربوية للأسرة تقوم على أسس كاذبة أو واهية أو خادعة، فعلى سبيل المثال يسعى الأهل كي يصبح أبناؤهم مطيعين لهم.

ولا يضعون غير هذا الهدف لنشاطهم التربوي مع أولادهم وهذا الخطأ بعينه، فالهيبة الأسرية على شكل طاعة عمياء لا ينبغي أن تكون الهدف، بل ينبغي أن يكون الهدف هو التربية السليمة من كل الجوانب وهذا ما ينبغي أن يتوجه إليه سعي جميع الآباء والأمهات وإلا فإننا كثيراً ما نشاهد الحال التالية: يستطيع الأهل تربية أبنائهم على الطاعة التامة والصادقة، ولكن الأبناء ينشؤون مطواعين منقادين لا رأي لهم ولا حول في الحياة الاجتماعية.

هناك الكثير من النماذج الكاذبة والخادعة للهيبة التربوية الأسرية سنتطرق لأبرزها وأهمها في هذا البحث عسانا نستطيع تكوين صورة حقيقية للهيبة التربوية الأسرية المثلى.

١ - هيبة القمع (الإرهاب):

وهي أخطر أنواع الهيبة التربوية وأكثرها ضرراً على مجمل التربية ويتصف بها على الأغلب الآباء أكثر من الأمهات، وخصوصاً إذا كان الأب في تعامله مع أسرته دائم الصراخ - دائم العصبية - ويزمجر كالرعد على كل شاردة وواردة - وعلى كل سؤال يجيب بنزاقة وحماقة - وعلى كل تصرف من الأبناء يلوح أو يستخدم العصا أو النطاق - على كل ذنب اقترفه الأبناء ويفرض العقوبة الجسدية والمادية القاسية، فإن الأب هو صاحب الهيبة القمعية الإرهابية التي تجعل الأسرة «الأم والأبناء» دائماً في أجواء مشحونة بالقلق والخوف، إن ضرر هذه الهيبة القمعية لاينحصر في مصدر هلع ورعب للأطفال، بل كونه أيضاً يسقط دور الأم التربوي التي تتحول أغلب الأحيان إلى طفل وتتعرض أغلب الأحيان للأذى عندما تدافع عن أولادها وتحميهم أو كما يحدث على الأغلب تتحول الأم إلى التغطية والتستر على أخطاء أولادها وتصرفاتهم مما يسقط هيبتها الشخصية لدى أطفالها من ناحية، ويزيد من تردي الحال التربوية في مثل هذه الأسرة.

إن هذا النمط يغرس في أذهان الأطفال الأشياء السلبية التالية:

- الخوف الدائم من المستوى الأعلى وبالتالي يتعود الأطفال على الكذب ويتربون على الجبن وعدم القدرة على مواجهة أخطائهم كما يربي في سلوكهم البلادة وعدم التقدير السليم للمواقف والأحداث ومن أولئك الأطفال يتسرب إلى المجتمع أولئك الفاشلون والهيّابون للمشاكل الاجتماعية المختلفة الذين يبقون طيلة حياتهم تحت تأثير القمع والإرهاب الذي مورس عليهم أثناء طفولتهم، يمكن أن يُلحظ هذا النمط في سلوك أولئك الآباء غير المثقفين والذين لايملكون أي قاعدة تربوية نظرية.

٢ - هيبة الفارق «التعالي»:

يقتنع كثير من الآباء والأمهات وبشكل جازم بأنه لكي يكون الأطفال أكثر طاعة وسمعاً ينبغي على الأهل أن يكونوا أقل ديمقراطية في الحديث مع أطفالهم وأكثر بعداً عن مشاكلهم وحياتهم اليومية وفي حال الضرورة لتدخلهم يكون ذلك التدخل على شكل أوامر وتعليمات على صيغة العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين.

على الأغلب يصادف هذا النمط في الطبقة المثقفة «الانتلجنسيا» والأرستقراطية التي يملك فيها الأب مكتباً خاصاً في المنزل يعتبر بمثابة حرم مقدس لا يجوز للأبناء الاقتراب منه ويطل هو نفسه من هناك كأنه قديس أو ملاك.

يتناول ذلك الأب على الغالب طعامه بشكل منفرد بعيداً عن أطفاله ويستريح أمام التلفاز أو في الحديقة أو على البحر في المنتجع بشكل منفرد بعيداً عن أسرته وأطفاله، وتتم علاقته مع الأولاد عن طريق الأم وعلى الأغلب عن طريق الخدم والمربين.

يمكن لأمهات من هذا النمط أن يتميزن بنمط حياة خاصة لا دخل للأطفال في هذا النمط حيث يكون للأم اهتمامها وأفكارها وعملها وأصدقاؤها ويبقى الأطفال على الأغلب في رعاية الجدة أو المربيات، وهذا النمط لا يمكن أن يكون ذا أثر تربوي في حياة الأطفال الذين ينشؤون ويتربون تحت تأثير العوامل التربوية الأخرى (المدرسة - النادي - العمل....).

٣ - هيبة التفاخر «المباهاة»:

وهو نوع من أنماط هيبة الفارق «التعالي» والذي يعتبر أكثر ضرراً وخطورة على العملية التربوية الأسرية.

من المعروف أن كل فرد له دوره وواجباته تجاه الأسرة والمجتمع عموماً، لكن أفراد هذا النمط يعتبرون أنفسهم الأكثر أهمية في هذا المجتمع، ويحاولون إبراز ذلك في كل شاردة وواردة في سلوكهم أمام أطفالهم والآخرين من حولهم.

هؤلاء يتبجحون في المنزل بأعمالهم وأشغالهم ومردودها للأسرة والمجتمع وعلى الأغلب لايستطيعون ذلك في عملهم «لأن حجم دورهم هناك معروف للجميع»، ولا حديث لهم إلا التباهي بإمكاناتهم ومنجزاتهم ويتعاملون مع الآخرين على أنهم في المستويات الأدنى منهم بكثير.

يحدث أن يؤخذ الأطفال في الأسرة بنمط والدهم ويبدؤون بالتباهي والمفاخرة بوالدهم مع اعتزاز بأنفسهم أمام أصدقائهم ورفاقهم ويترافق كلامهم عادة بكلمات تفخيم للأب: «أبي عالم - أبي كاتب - أبي مدير - أبي مهم - أبي مسؤول...» أما هذه الحال «المباهاة والتفاخر» عند الأمهات فتكون في مجال «الثياب - الحلي - العطور - التنزهات والإجازات على البحر وفي المصاريف - أنواع الطعام - مستويات الأصدقاء والمعارف» حيث تغرس الأم في أذهان أطفالها بهذا التباهي نوازع الانسلاخ والتعالي على الآخرين وبخاصة الأصدقاء والأقران.

٤ - هيبة الوعظ الفوقي والمكابرة:

في هذه الحال يُعير الآباء مزيداً من الاهتمام للأبناء ويصغون كثيراً لأطفالهم وهم بذلك يعتقدون أن الأطفال ينبغي أن يسمعوا كل كلمة من الأهل مع الانحناءة وأن كلمات الأهل مفاهيم مقدسة.

والأغلب ما تتسم أوامر وتعليمات الأهل بالصوت الرقيق الهادئ الواعظ وبمجرد إعطائها ينبغي أن تتحول إلى قوانين، مثل هؤلاء الآباء يخافون كثيراً من مجرد تفكير أولادهم بأن والدهم أو أمهم لا يملكون الإرادة الصلبة ولذلك يتخذون قراراتهم من دون تبرير فمثلاً يقول الأب: «غداً سيهطل المطر لذلك لا يجوز المشوار للأطفال»، وحتى لو لم يهطل المطر في الغد، فإن القرار قد اتخذ ويمنع المشوار نهائياً ويصادف أحياناً أن يكون مثل هؤلاء الآباء قد أخذوا مواقف مسبقة من قضية ما، مثلاً الذهاب إلى فيلم سينما معين وبالتالي يتخذون قرارهم بأن السينما لا تلزم لأبنائهم وهذا الأمر يمكن أن يُسقط على استخدام الفيديو والتلفاز والكتب والمجلات والرفاق والأصدقاء، مثل هؤلاء الآباء يعاقبون أبناءهم لأسباب مختلفة لكنهم لاحقاً يكتشفون أن تلك العقوبة ليست في محلها ولكنهم لا يجدون حاجة أو مبرراً لتعديل العقوبة «فالعقوبة اتخذت وهذا ما يجب أن يتم ويتحقق من أجل السمعة التربوية للأهل».

يجب على مثل أولئك الآباء ملء وقتهم بالانشغال بقضايا أسرهم وسلوك أطفالهم ومراقبة حركاتهم وتصرفاتهم ويتحولون بالتالي إلى صياغة الأوامر والتعليمات الجديدة والمتبدلة في كل ساعة، أما حياة الأطفال واهتماماتهم وحتى نموهم الجسدي والعقلي، فلا يحسب له الأهل حساباً حيث يظلون أطفالاً في نظر الأهل يحتاجون دائماً للقهر والزجر والتوجيه.

٥ - هيبة الإلحاح السلبي:

في هذه الحال يُفعم الآباء حياة الطفولة بالنصائح الحرفية والمواعظ التعليمية المدرسية، فبدلاً من أن يوجه الأب لطفله بعض الكلمات التلميحية أو حتى في صيغة مزحة بسيطة، يُجلس الأب طفله أمامه ويبدأ معه حديثاً مقرّعاً إياه بالمزيد من الكلمات الواعظة والتسفيه وأحياناً بتوجيه بعض النصائح.

مثل هؤلاء الآباء يقتنعون بأنه بالتوبيخ والتقريع تتلخص الموهبة التربوية، وفي مثل هذه الأسر تكون السعادة قليلة، ولا يمكن أن تلحظ الابتسامة على أفواه أفرادها في الوقت الذي يحاول فيه الآباء بكل قواهم أن يُظهروا

طيبة التعامل مع أطفالهم وأن يكونوا في نظرهم كباراً وواعين ولكنهم ينسون أن الأطفال ليسوا بالغين وأن لهم حياتهم الطفولية، وأن هذه الحياة يجب أن تُحترم وأن يعيشها الأطفال كما ينبغي وليس كما يريد الآباء، فالأبناء عادة يعيشون في أجواء أكثر حساسية وانفعالية من البالغين وأنهم أقل من الكبار قدرة على النقاش والإقناع بصحة سلوكهم وتصرفاتهم، وأن طريقة التفكير لديهم ينبغي أن تمرَّ بمراحل متدرجة وببطء حتى يتم استيعاب الفكرة المطروحة، ولذلك نرى على الأغلب أن إلحاح الأهل يمر من دون أن يترك أثراً في أذهان ووعي أطفالهم وبالتالي فإن غيرية الأهل الفائقة لا تعطي للأطفال أي سمعة أو هيبة.

٦ ـ هيبة الحب للأهل:

تعتبر الهيبة الخاصة بحب الأهل من أكثر الأنماط خداعاً وانتشاراً في التربية الأسرية، فكثير من الأهل يقتنعون بأنه لكي يسمع الأبناء الآباء ويطيعونهم، فإن على الأهل أن يبرزوا على الدوام الحب الأبوي لأبنائهم «الكلمات اللطيفة الناعمة ـ النصح الأبوي ـ الملاطفة....»، وإذا كان الطفل لا يسمع أو لايطيع والديه، فإن الأهل على الأغلب يُسمعونه الكلمات التالية «أنت لا تحب البابا أو الماما» وعلى الأغلب لايرتاح الأهل وتبدو التعابير على وجوههم بمجرد النظر إلى سلوك أطفالهم، في مثل هذه الأسر يتفاخر الأهل خصوصاً أمام أطفال الأصدقاء والجيران بالقول: «إن طفلي حباب جداً وهو يُحبني ويُطيعني كثيراً».

في مثل هذه الأسر تطفو المشاعر الناعمة الخادعة حيث يتم التستر على المشاعر الحقيقية ويمر بالقرب من اهتمام الطفل كثير من الأمور التي ينبغي على الطفل أن يعمل تجاهها بخلاف قناعته ولكن إرضاء وإكراماً وحباً وامتثالاً للأهل.

هنا تنمو الأنانية الأسرية «الأب والأم» ولايتولد في الحقيقة ذلك الحب الذي يرغبه الأهل في سلوك الأبناء ويكتشف هؤلاء الأبناء إلى أي مدى يمكن الكذب على الأهل ومخادعتهم بالألفاظ الجميلة والتعابير الملساء.

يكسب الأطفال في هذه الأسر منذ سن الطفولة الباكر طريقة كسب وربح الآخرين ولكنه ـ الطفل ـ يتعلم أيضاً أن يكون حبه هشاً وكاذباً ومصلحياً ونفعياً.

أحياناً يصادف أن تنمو في مثل هذه الأسر أهمية حب الأهل وتسقط بالتالي قيم حب واحترام ا لآخرين الذين يعاملون كغرباء أو أعداء ويفقد أطفال مثل هذه الأسر الصداقة الحقيقية والروح الرفاقية ولا ينم تعاملهم مع الآخرين لا عن ذوق ولا عن أدب اجتماعيين.

إن هذا النوع من الهيبة «كون سلوك الأبناء مبنياً على أساس إرضاء الأهل وإكراماً لهم من أخطر أنواع الهيبة التربوية للأسرة» فهو ينمي نزعات الخدع والكذب وفي معظم الأحيان يكون أول ضحاياه هم الأهل أنفسهم.

٧ ـ هيبة الطيبة «البساطة»:

إنه نوع من السمعة والهيبة التربوية للأسرة التي لاتنبع من قناعة، ففي هذه الحال تنظم طاعة الأطفال من خلال حب الأهل لهم، والذي لا يتصف بالأمور المعتادة من «تقبيل وملاطفة وتدليل...» وإنما يتصف بأن الأهل ينظرون إلى طفلهم على أنه ملاك مسموح له بكل شيء ولا شيء مأسوف عليه أمام الطفل ومن أجل الطفل، وبالتالي يبدو الأهل في عيون الأطفال طيبين جداً وبالتالي فإنهم رائعون.

في مثل هذه الأسر يخاف الأهل ويتجنبون أي خلاف أو نقاش عائلي بشأن الأطفال وأنهم يقدسون عالم الطفل وهم جاهزون للتضحية في سبيل أن تكون الأمور على ما يُرام وخصوصا أمام الأطفال.

وهنا الطامة الكبرى، حيث يتحول الأطفال إلى سادة آمرين موجهين لأهلهم الذين يبدون عدم مقاومة رغبات أطفالهم الأمر الذي يفسح المجال أمام طموحات أولئك الأطفال.

في أحيان قليلة يسمح الأهل لأنفسهم ببعض المعارضة، ولكن في معظمه تأتي في أوقات متأخرة وعندما يكونون بالفعل قد أصبحوا على الهامش ولا حول لهم ولا قوة.

٨ ـ هيبة الصداقة:

أحياناً وحتى قبل أن يولد الأطفال نجد بعض الأهل يعلنون ويتعاقدون فيما بينهم بأن يعاملوا أبناءهم على شكل أصدقاء، بشكل عام هذا الأمر جيد، ولكن مع ذلك يبقى الأب والأم في نظر الأبناء أولئك العجائز غير المقبولين في الصداقة، وكذلك لا ينسى الأب والأم دورهم التربوي الناجح في هذه الصداقة أيضاً، والأمر هنا يصبح على الشكل التالي:

لا ينسى الأبناء أنهم مستعدون لكي يكونوا أصدقاء فعليين وليسوا متلقين بشكل دائم لنصائح الكبار، بل يعتقد الأبناء «في أجواء الصداقة الحقيقية» أنهم قادرون على إسداء النصائح للكبار وعلى خلاف آراء الأهل الذين لايتقبلون ذلك.

وعلى الأغلب تظهر مثل هذه الحالات في الأسر التي يصبح أبناؤها أعلى من أهلهم من الناحية العلمية والثقافية والاجتماعية والسلطوية، ويمكن أن يُلحظ هنا إنكار الصداقة التي كانت قائمة وعلى العموم فإن هذا الأمر يقوم على الاحترام المتبادل.

٩ ـ هيبة المقايضة «الثمن»:

من أسوأ أنواع الهيبة التربوية للأسرة أن يكون السمع والطاعة رهناً بالهدايا أو الوعود المادية أو المعنوية، لا يخجل بعض الآباء من مداعبة أطفالهم بالقول: «إذا سمعت مني كذا وكذا فسأشتري لك كذا وكذا. ... أو غيرها قائلاً إذا عملت كذا وكذا سأذهب بك إلى الحديقة أو إلى البحر...» قطعاً لا يجوز أن نعدم في الأسرة الثواب والعقاب «الثناء ـ الحرمان»، ولكن ليس بطريقة المساومة على السمع والطاعة في الأسرة، وإنما على حسن العلاقة مع الأهل والصدق والاحترام والنجاح.

فمثلاً يمكن الثناء على التفوق الدراسي أو تنفيذ عمل ناجح ولكن لايجوز بأي شكل إعلان الجائزة أو الهدية سلفاً، وإنما بعد تحقيق النجاح أو التفوق وإلا تعوّد الأطفال على السلوك المشروط بالثواب والعقاب المناسب. ■

مراجع البحث:

١ ـ كتاب علم النفس الاجتماعي ـ مشكلات الطفولة ـ تأليف مارثين هربرت ـ ترجمة يونس عبدالحميد نشواني.

٢ ـ كتاب الصحة النفسية للدكتور نعيم الرفاعي.

٣ ـ كتاب علم النفس الاجتماعي ـ دراسات نظرية وتطبيقات عملية ـ للدكتورين: مصطفى فهمي، ومحمد علي القطان.

٤ ـ كتاب مشكلات الآباء والأبناء ـ مختار حمزة.

٥ ـ كتاب التوجيه والإرشاد النفسي للدكتور حامد عبدالسلام زهران.

٦ ـ جيروم كاغان: نمو الشخصية ـ ترجمة صلاح الدين المقداد ـ وزارة الثقافة ١٩٨٣م ـ دمشق.

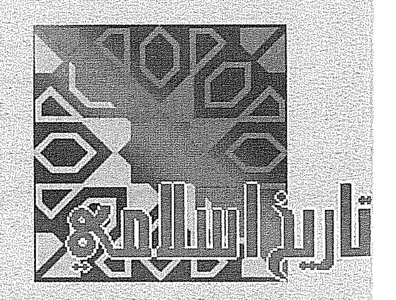
٧ ـ العظمة، وفيق ـ الجمالي، سعاد: سيكولوجية الأطفلال ـ دار الرواد ـ دمشق ١٩٥٦م.

٨ ـ د. فاخر عاقل ـ علم النفس ـ دراسة في التكيف البشري ـ منشورات دار العلم للملايين.

٩ ـ د. مالك مخول ـ علم نفس الطفولة والمراهقة، منشورات جامعة دمشق ـ ١٩٨١م ـ ١٩٨٢م.

١٠ ـ ج ـ كولان ـ سيكولوجية الطفل ـ ترجمة حافظ الجمالي ـ مرجع سابق.

١١ ـ د. صالحة سنقر ـ التربية ما قبل المدرسة الابتدائية ـ جامعة دمشق ـ كلية التربية ١٩٨١م ـ ١٩٨٢م.



معركة وادي المخازن ١٥٧٨م

إعداد: محمد القاضي

المغرب قبل معركة وادي المخازن

تعتبر معركة وادي المخازن .. صدى لمسلسل الصراع المرير بين الأيبيريين والمغاربة، وهو صراع بدأ قبل المعركة بقرنين وانتهى بطرد المسلمين من الأندلس، والمعركة في سياقها حلقة أخيرة من صراع بين المغاربة والبرتغاليين، وضعت حداً للأطماع البرتغالية وغير البرتغالية في المغرب، كما أن أوروبا كانت مهيأة اجتماعياً ونفسياً لخوض غمار الحرب ضد المغرب، فكانت دوافع الفهم العقيم للاختلاف الديني، والعداوة التاريخية المترتبة عن تعاقب الحروب المتبادلة بين مسيحيي شبه الجزيرة الأيبيرية، ومسلمي المغرب، وحب التوسع والاستحواذ على المناطق الجديدة للقضاء على التوثب الجهادي لدى المغاربة وإرضاء النزعة العسكرية العدوانية لدى البرتغاليين بالصورة التي كان عليها، وكأنه أساس الحضارة السائدة وقتئذ من العوامل التي أججت الحماس وعجلت بوقوع تلك الموقعة، يقول المؤرخ البرتغالي «فاسكو دي كارفالو» في محاضرة ألقاها على الطلبة الضباط في المدرسة الحربية الفرنسية في باريس سنة ١٩٣٤م: «كان شباب البرتغال يتحرقون على القتال... ولكن ضد من؟ أين يجدون العدو؟ إذ إننا في جهة قد عقدنا الصلح مع قشتالة ومن جهة أخرى يواجهنا البحر، ولكن بمقتضى تقاليدنا وديننا ومصلحتنا فإن العدو لا يزال هو المسلم، فإذا كان قد التجأ إلى ما وراء البحار فيجب أن نذهب للبحث عليه هناك يجب أن نطارد الوحش في مكمنه»(١).

واتباعاً لهذه الخطة أخذت الحملات البرتغالية تتوالى على المغرب، وكانت تجربة احتلال مدينة «سبتة» سنة ٨١٨هـ (١٤١٣م) تغريهم وتحفزهم لاحتلال المغرب كله، من البحر إلى الصحراء، وتركيز السيطرة المسيحية في أرجائه لتسهيل مهاجمة الشرق من جهة البحر ويتأتى هكذا: «ضرب الإسلام في ظهره» على حد تعبير المؤرخ البرتغالي السابق الذكر(٢).

ومن هذا التاريخ والمغرب يكابد الشدائد من جراء هذه السياسة الظالمة المتهورة والفاشلة مع ذلك، ورغم استيلاء البرتغاليين على القصر الصغير سنة ١٤٥٨م وأصيلا وطنجة سنة ١٤٧١م والعرائش سنة ١٤٨٩م ثم أغادير سنة ١٥٠٥م والصويرة سنة ١٥٠٦م وآسفي سنة ١٥٠٨م وأزمور سنة ١٥١٣م والجديدة سنة ١٥١٤م، فإنهم لم يستطيعوا قط أن يربطوا بين هذه الممالك ولا أن يمدوا نفوذهم إلى داخل البلاد، لأن رد الفعل عند المغاربة كان قوياً فظهرت قيادات شعبية تجلت في بعض الزعامات المحلية التي تولت التعبئة لمواجهة الغزو البرتغالي وتحرير الشواطئ الشمالية والغربية من الاحتلال.

ظهور الدولة السعدية في المغرب

وكان من أهم تلك الحركات، حركة ظهرت في الجنوب في النصف الأول من القرن العاشر الهجري «السادس عشر الميلادي» بتأثير الزاوية الجزولية، وتحولت مع مرور الأيام إلى حركة سياسية نشأت عنها دولة الأشراف السعديين الذين هاجروا من أرض الحجاز واستقروا «في سوس» (جنوب المغرب) زهاء أربعة قرون، ونجحوا في أن يجمعوا كلمة المغاربة حولهم، ويقوموا - خصوصاً في عهد الخليفة المنصور الذهبي - بتحصين البلاد وتنظيم قواتها ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي والفكري.

ويعتبر محمد الشيخ المؤسس الحقيقي للدولة السعدية، وهو الذي قضى على الوطاسيين، ووقف في وجه التدخلات العثمانية والسيطرة البرتغالية، وقد خلفه من بعده ابنه عبدالله الغالب سنة ٩٦٥هـ (١٥٥٧م) الذي كانت سياسته تنبني على مهادنة المسيحيين ومعاداة العثمانيين المتآمرين على مقتل أبيه والمتحالفين ضده مع أخويه أبي مروان عبدالملك الملقب بالمعتصم، وأبي العباس أحمد الملقب بالمنصور.(٣)

وعقب وفاة عبدالله الغالب تولى الحكم ابنه محمد المتوكل سنة ٩٨١هـ (١٥٧٤م)، فنظم عماه أبو مروان وأبو العباس حملة عسكرية ضده بمساعدة الجيش التركي، ومساندته دامت حوالي ثلاث سنوات واستطاعا أن يهزماه سنة ٩٨٣هـ (١٥٧٦م) فنودي بالأول - آنذاك - ملكاً على البلاد، وعيّن الثاني نائباً عنه في فاس، مما اضطر محمد المتوكل إلى مغادرة عاصمة ملكه، ولم يبق حوله إلا عصابات قليلة، ولم يجد أمامه إلا الاستنجاد بالقوى الأجنبية، فحاول الاستعانة في البداية بملك أسبانيا إلا أنه ماطله ولم يرد التدخل في المغرب لأنه ضمن مناطق نفوذ البرتغال، فاضطر للتوجه إلى البرتغال حيث وجد آذاناً صاغية لدى ملكها «دون سابستيان» الذي أبدى حماساً منقطع النظير للموضوع، بل إن هذا الطلب موافق لأحلامه وأمانيه، ذلك أن هذا الملك كان مازال في العشرينيات من عمره، ومسيحياً متعصباً إلى حد الصليبية، ومعتداً بنفسه إلى حد الغرور والعجرفة.

ورغم مراسلات الأعيان والعلماء للمتوكل، لم يفلحوا في رده عن خيانته لوطنه، بل انتقل مع أنصاره إلى البرتغال وكان من بينهم عامل بلاد الهبط الذي سلم مدينة أصيلا للبرتغال لاتخاذها قاعدة عند نزولهم بالمغرب.

كما حاول السلطان عبدالملك السعدي عبر مراسلاته الدبلوماسية المكثفة مع الملك «سابستيان» ملك البرتغال أن يقنعه بالعدول عن خطته بغزو المغرب، والوقوف على الحياد في الصراع على العرش بينه وبين ابن أخيه المخلوع، ووسّط له في ذلك خاله الملك «فليب الثاني» ملك أسبانيا، ولكن هذه المحاولات ذهبت جميعها سُدى أمام تصميم ملك البرتغال على مهاجمة المغرب، وانتشر النبأ بين أبناء الشعب وامتلأت صدورهم سخطاً على استصراخ المتوكل بالنصارى، فتعبأت جميع الطاقات لمواجهة الموقف، والعدو لم يكن مستعداً للسلم، فقد وجد الفرصة سانحة لخوض حرب صليبية ضد المغرب تعيده للسيطرة البرتغالية، فاستنفر الملك البرتغالي اثني عشر ألف جندي من جيش بلاده، وجمع أعداداً هائلة من المتطوعين

الأوروبيين من النمسا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا وسويسرا، إضافة إلى جند الباب صاحب روما، وأمدهم بالعدة والذخيرة ليقود حملتهم بنفسه، محاولاً إشراك جارته أسبانيا معه في هذه المغامرة الخطيرة التي حذره ملكها من عواقبها الوخيمة، فلما لمس منه إعراضه عن سماع النصيحة، لم يسعه إلا إعانته بثلاثين مركباً وستة آلاف جندي، فجهز «سابستيان» أسطولاً ضخماً(٤)، ثم أبحر من عاصمته لشبونة قاصداً طنجة عبر قادس، ومنها إلى أصيلا التي وصل إليها يوم ٧ جمادى الأولى ٩٨٦هـ (١٢ يوليو ١٥٧٨م) في جيش عرمرم.

وعندما تيقّن عبدالملك السعدي أن الغزو آت لا ريب فيه، تحرك من مراكش ثم الشاوية ومنها إلى الغرب، ورغم المرض الذي ألمَّ به في الطريق شرع في الاتصال والتنظيم والدعوة للدفاع عن البلاد، وأمَّن حاجات الجيش بالعتاد الحربي، واستخدام التقنية العصرية لإنتاج الذخيرة، معتمداً على الرصيد المعدني للبلاد - وبالأخص النحاس - وعلى إمكانات معامل السلاح الموجودة في فاس ومراكش وتارودانت وكانت أغلبية الجيش السعدي من المغاربة معظمهم من أعراب الخلطي، تعززه كتيبة من المهاجرين الأندلسيين وأخرى من القوات التركية، فضلاً عن المتطوعين من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم وغيرهم من الطبقات الشعبية.

وقد أراد السلطان عبدالملك بحنكته السياسية ومهارته الحربية أن يحرم «سابستيان» من الاعتماد على سفنه الحربية وأن يقطع اتصاله مع البحر لكي يزيد من مصاعب تموين جيشه، فأرسل له رسالة استفزازية يقول له فيها: «إني رحلت إليك ست عشرة مرحلة، فهلا قطعت أنت مرحلة واحدة لملاقاتي... إن هذا ليس جديراً بفارس مسيحي وملك شجاع مثلك!!» فنصحه مستشاروه أن يبقى في أصيلا حتى تصل الجيوش المغربية، ويبقى على اتصال بالقوة البحرية، تمده بالمؤن والعتاد وبالرجال إن اقتضى الحال ذلك، ولكن تشوقه للحرب ونخوته جعلاه يرفض نصيحة مستشاريه، وقَبِلَ التحدي وأعطى أوامره للجيش بالتقدم براً للقاء الجيش الإسلامي التي كانت وحداته قد وصلت يوم ٢٩ يوليو ١٥٧٨م إلى جهات مدينة القصر الكبير.

وما أن أتى يوم الملاقاة حتى كانت الوحدات تنحدر في سفح هضاب من الضفة اليمنى لوادي المخازن، ومن هناك شاهدت طلائع جيش المسلمين متجهة نحوهم في بسائط القصر الكبير، ما بين وادي لوكس، ووادي وارور - وفي اليوم الموالي «الأحد» أمر «سابستيان» الجيوش بأن تقطع وادي المخازن، فمرت بانتظام على القنطرة إلى الضفة اليسرى حيث خيمت هناك.

وقد أثبت السلطان عبدالملك أنه قائد محنك، حينما كلف أخاه الأمير أحمد بأن يأخذ مفرزة يتسلل بها خلف الخطوط البرتغالية لهدم تلك القنطرة الوحيدة وذلك لكي يمنع البرتغاليين من استخدامها أثناء المعركة للتموين، وبعد المعركة للانسحاب، فانحبس البرتغاليون بين نهرين وتعذر عليهم كل تراجع إلى الخلف لانعدام المشارع في الوادي وانتظم الرجالة المسيحيون ضمن مربع قبعت في قلبه قوافل عربات المؤن والذخيرة ووقف الرماة في الطليعة والفرسان ميمنة وميسرة وواجههم المسلمون في النسق نفسه على شكل هلال مسرح الأجنحة للانقضاض من الجوانب عند الاقتضاء، وبدأت المعركة في الهجيرة «متم جمادى الأولى عام ٩٨٦هـ - ١٥٧٨م» وأشعة الشمس تبهر عيون العدو ولهيبها يلفح وجوههم وأسنة الرماح وقذائف الأنقاض تهددهم من الأمام، والحياة الزاخرة من الخلف وسارع جيش الأمير أحمد إلى الهجوم، فانقضت ميمنته على مؤخرة العدو، بينما اتجهت الميسرة ضد الرماة فتهالك المسيحيون صرعى من جراء هذه الصدمة العارمة، وانحازت الفلول الفارة صوب القنطرة، فلم يجدوا إلا أنقاضها، فتخشعت نفوسهم، وتهافتوا في الوادي تهافت الفراش على النار، فلم ينج منهم إلا عدد نزر وشرذمة قليلة تقدر بأربعين شخصاً حسب ما أورده مؤلف برتغالي مجهول.(٥) وناهيك من يوم أجلى عن ثلاثة ملوك موتى ما بين مجندل وغريق وفائض النفس حتف الأنف، وعن ثمانين ألفاً من المشركين ما بين قتيل وأسير.(٦)

وهكذا انتهت معركة وادي المخازن في مساء ذلك اليوم، بعد أن دامت حوالي خمس ساعات وقد مات فيها الملوك الثلاثة الذين شاركوا فيها:

- عبدالملك السعدي الذي توفي من جراء مرض ألم به، وكان من الحزم إخفاء وفاته حتى ظهر النصر.

- محمد المتوكل الذي مات غريقاً وهو يحاول النجاة بجلده من نهايته المحتومة.

- الملك البرتغالي «دون سابستيان» الذي سقط قتيلاً، وكان من بين الغرقى، ولذلك تدعى هذه المعركة في المصادر الأجنبية باسم «معركة الملوك الثلاثة» ويسميها بعض المؤرخين البرتغاليين باسم «معركة القصر الكبير» نسبة إلى المدينة التي وقعت المعركة على مقربة منها.

معركة وادي المخازن كانت لها أصداء وأبعاد تاريخية عميقة، فقد وضعت حداً للأطماع البرتغالية وغيرها في المغرب، بل إنها أضعفت الإمبراطورية البرتغالية إلى الأبد، وجعلت البرتغال تفقد استقلالها كدولة لمدة ستين سنة، حيث صارت تابعة لأسبانيا، لأن «دون سابستيان» مات من دون وارث، فكان الملك الأسباني هو الوارث الشرعي.

اكتسب المغرب سمعة كبيرة في العالم، فهادنها ملوك الدنيا ووجهوا لها السفارات والبعثات، وأخذ يلعب دوراً مهماً في السياسة العالمية، وبالنسبة للعالم الإسلامي فقد أوقفت هذه المعركة كل خطر صليبي على البلاد العربية الإسلامية في المشرق والمغرب، وجعلت دولة الأتراك تعدل عن سياستها التوسعية بالمغرب، فبقي بعيداً عن النفوذ التركي، تعزيز مركز السعديين داخل أفريقيا - وبخاصة في السودان الغربي - دينياً وسياسياً واقتصادياً، فانتعشت الحركة الاقتصادية واتسعت التجارة، وعم الرخاء، وشيدت القصور والمنشآت العمرانية، وعادت للشعب المغربي الثقة بنفسه والاطمئنان على مصيره.

وأخيراً نقول إن معركة وادي المخازن لم تكن حدثاً حربياً عابراً، يمثل ما يعرف «بكرة وفرة» يمكن أن يكون معه السجال الحربي قريب المجاورة والتبدل، بل كانت هزيمة تاريخية لأوروبا أكسبت المغرب مناعة مؤكدة وأنهت كل مناوشة جشعية أوروبية لمدة طويلة، هذا إلى جانب كونها كانت هزيمة لكل أوروبا بما لها وما عليها. ■

الهوامش:

١ - انظر مجلة «دعوة الحق» المغربية - عدد ٨ عام ١٩٧٨م ص ٢٢.

٢ - المرجع نفسه

٣ - انظر كتاب «الاستقصا» للناصري - الجزء الخامس ص ٦٥.

٤ - ثلاثة آلاف متطوع لكل من ألمانيا وإيطاليا وألفا متطوع لأسبانيا، أربعة آلاف مقاتل يمتطون ألف وخمسمئة فرس ويجرون ١٢ مدفعاً - ألف وثلاثمئة مركب يحميها ٢٠٠ مدفع.

٥ - انظر مجلة «المناهل» المغربية - عدد ٢٨ ص ١٢٦.

٦ - انظر كتاب «مناهل الصفا» للفشتالي ص ٣٩.

المراجع

١ - نزهة الحادي - للأفراني - ترجمة هوداس.

٢ - مناهل الصفا ـــ الفشتالي - تحقيق عبدالله كفون.

٣ - الاستقصا - الناصري - الجزء الخامس.

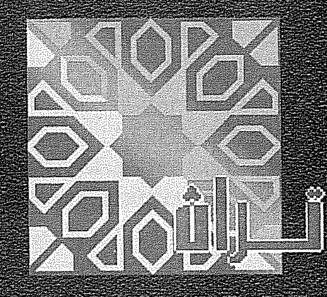
٤ - الترجمان المعرب - الزياني.

٥ - تاريخ المغرب - عبدالعزيز بن عبدالله - الجزء الثاني.

٦ - المغرب في عهد الدولة السعدية - الدكتور عبدالكريم كريم.

٧ - مجلة «الأحياء» المغربية - العدد الأول - السلسلة الجديدة رقم ١٣ - الرباط.

٨ - معركة وادي المخازن - يونس نكروف - منشورات عويدات.



التراث الإسلامي وأزمة القراءة

دراسة التراث، نقد، التراث، تشريح التراث عناوين أصبحت تملأ الساحة الثقافية العربية في سياق حركة فجائية تتجه نحو معانقة قضايا التراث والاشتغال عليه نقداً ودراسة وتشريحاً بعدما كان الفكر العربي «الاتجاهات العلمانية تحديداً» منصرفاً قبل هذه الفترة بكليته نحو تأسيس خطاب القطيعة مع التراث وإحلال ثقافة الآخر(١) رغم ما يطرحه هذا الرهان من مفارقات علمية وتاريخية.

بقلم : الراضي رشيد

والمتأمل في هذه الحركة الجديدة سرعان ما يخلص إلى أنها تحولت من حركة «نقد للتراث» إلى «تراث من النقد» يشمل ركاماً من الكتابات و«المشاريع» التي تتوزعها ألوان من الرؤى والتصورات الفكرية وأشكال من النزعات الأيديولوجية المكشوفة، فانتقل الاشتغال المعرفي على معطيات التراث إلى نضال سياسي في التراث، فكانت النتيجة - بدلاً عن الخروج بدراسات عميقة مستقصية - قراءات عقيمة متسرعة تتوخى الإجابة عن الأسئلة الحرجة التي تطرحها العلاقة مع التراث وحسم الإشكالات الكبرى والمعقدة في أقل وقت وبأقل مجهود من أجل التفرغ لمتقضيات الصراع السياسي والاجتماعي، وذلك في غياب الإحساس بحجم الحضور الذي يمثله التراث في الذات العربية الإسلامية فكرياً ونفسياً ووجدانياً(٢)، وفي غياب وعي علمي دقيق بطبيعة هذا التراث وبمكوناته الأساسية والعلاقة التي ينسجها مع محيطه الاجتماعي، وهذا ما يفسر فشل كل محاولات النهوض التي قامت على أساس اعتماد هذه المشاريع كخلفيات نظرية توجه قراءتها لأوضاع الأمة الاجتماعية والحضارية.(٣)

إن التراث لايمكن أن يكون أبداً ميداناً تتبارز فيه التيارات وتتطاحن فوق أرضه الأيديولوجيات، فمرة يغدو حافلاً بالنزاعات المادية(٤)، ومرة مشبعاً بالروح الليبرالية والقيم الديمقراطية(٥)، وأخرى بالمضامين الثورية والتقدمية(٦)، وكل هذه التيارات يصح فيها قول الشاعر:

كل يدعي وصلاً بليلى

وليلى لا تقر له بذاك

إن التراث ليس ملكاً لأحد، وإنما هو ملك لنفسه، فدراسة التراث لا يمكن أن تتم إلا من خلال فهم داخلي لهذا التراث، فهم يتجاوز منهج الإسقاط والرؤية من خارج إلى التعاطي معه كبنية كلية مترابطة الأجزاء، تتداخل مكوناتها وتتمازج بشكل لايمكن معه الحديث عن نزعات مادية أو قيم ديمقراطية مفصولة عن باقي عناصر هذا البناء، إنه بتعبير اللسانيين نسق كلي شامل له قواعده الخاصة(٧)، لذلك يشترط على الباحث في التراث «محايثة»(٨)، هذا التراث والدخول مع نصوصه في حوار عميق يستحضر السياقات التاريخية والاجتماعية والنفسية التي كان لها الدور في إنتاج هذه النصوص، وهذا بالضبط ما لا تكاد نجده في أغلب الدراسات المعاصرة التي تناولت التراث بالنقد والتي بانفصالها عن موضوعاته - هذا الانفصال عادة ما يبرر باعتبارات علمية ومنهجية - حرمت نفسها من فهم موضوعي شامل للتراث.

إن هذا لا يعني بتاتاً أننا ضد التعاطي العلمي مع موضوع التراث، ولكننا ننطلق من تصور للتراث يختلف عما هو سائد من تصورات ومن فهم للممارسة العلمية يتقاطع كلياً مع ما شاع في كتب الباحثين والدارسين المعاصرين.

إن التراث الإسلامي له من الخصوصيات ما يفرض على الباحث فيه أن يمحص أدوات اشتغاله ويدقق

النظر فيها لأن مناهج الدراسة وآليات البحث، إنما هي وليدة الاشتغال على موضوع معين، فمع مطلع هذا القرن قال فردناند دوسوسير اللساني السويسري: «إن الموضوع يخلق المنهج»(٩)، فلا يصح إذاً ما شاع من نقل لمناهج وأدوات أجنبية تنتمي لبيئات ثقافية تختلف قليلاً أو كثيراً عن طبيعة المجال التداولي العربي الإسلامي(١٠)، وتسليطها على نصوصه دون تحصيل للدربة على تشغيلها وفحص لكفايتها التفسيرية والتحليلية وفهم لحدودها النظرية والتطبيقية، ثم بعد ذلك المقابلة بينها وبين موضوعها «التراث» لاكتشاف إمكانية استيعابها لخصوصياته وبشروطه التكوينية وهذا بالضبط ما تغافله أغلب الباحثين للأسباب التي سبق أن بسطناها في مستهل هذا المقال، فنجم عن ذلك «صدور الأعمال إثر الأعمال داعية إما إلى قطع الصلة بهذا الإرث المنفرد، وإما إلى الاجتزاء بأقل بقية منه، حتى لم يعد أهون على البعض من أن يشنع بالتراث ويقدح في أهله»(١١).

وقد أجاد الدكتور طه عبدالرحمن في تصوير هذه الآفة العلمية في معرض رده على الدكتور محمد عابد الجابري صاحب المشروع الثلاثي «نقد العقل العربي» حيث قال: «يذهب أصحاب الآليات الاستهلاكية العقلانية(١٣) من دارسي التراث إلى أن المنهج العقلاني هو الأقدر طراً على توفير الاستفادة العلمية من التراث بدعوى أنها تتنافى مع مقتضيات العقلانية أو بدعوى أنها ذات مضامين رجعية تتعارض مع مفاهيم الثورة والتحرر والتقدم والتطور.

والاعتراض الذي يمكن أن نوجهه على هؤلاء هو بخصوص قيمة هذه المفاهيم التي لا يمكن أن تكتسي إلا قيمة نسبية قابلة للمراجعة والمساءلة، فالفكر العلمي المعاصر لم يعد يؤمن بنموذج جامد للعقلانية، وإنما العقلانية أصبحت عقلانيات(١٤)، بل إن مفهوم العقل نفسه أصبح محط مساءلة ومراجعة، إن لم نقل تشكيك في ما يسمى مرحلة ما بعد الحداثة(١٥)، لذلك فلن نجد غضاضة من أن نقول بأن التراث الإسلامي له عقلانيته الخاصة والتي من أهم سماتها الجمع بين العلم والعمل والفكر والروح، والعقل والسلوك(١٦)، والنظر في نصوص التراث يجب أن يستجيب لهذه الخصوصية التي لا يمكن تحت أي دعوى الطعن فيها والقدح في أهلها مادام العلم لا يستند أي مفهوم محدد ونهائي للعقلانية، بل إن العلم لا يملك أن يسند نفسه بعدما انهار تحت ضربات مفهوم النسبية خلال بداية هذا القرن، حيث أصبحنا نسمع عن الثورات العلمية التي تلغي كلياً مفاهيماً كانت تعتبر علمية ليحل محلها «نموذج» parodigine جديد يحمل معه مفهوماً جديداً لمقولة العلم(١٧)، كما أن مفاهيم التطور والتقدم أثبتت عدم إجرائيتها، بل إنها تحولت إلى مفاهيم غامضة لا تحيل على أي معنى محدد، لذلك أصبح من حق أي طرف أن يصوغ منظوره الخاص للتقدم والتحرر والتطور، ومادامت هذه المفاهيم تملك القدرة على استيعاب الليبرالي والاشتراكي في آن واحد، فلا بأس أن يطرح التراثي أو «الإسلامي» منظوره الخاص بصدد هذه المفاهيم.

إن هذه الرؤية التي بسطناها في هذا المقال تسترشد بأرقى ما وصلت إليه التصورات العلمية في المرحلة الأخيرة، وهي دعوة إلى الباحثين العرب لمراجعة مواقفهم، والتخلي عن مفاهيم أصبحت بمنظور العلم المعاصر متجاوزة. ■

الهوامش

---

١ ـ هذا الخطاب ميز منتصف هذا القرن.

٢ ـ يبدو هذا الحضور إذا قارنا بين الإنسان العربي المسلم وبين الإنسان الغربي، فالأول يعيش اندماجاً وتماهياً مع ثقافته ودينه، في حين لا تحضر ثقافة الثاني ودينه إلا في مستواها الطقوسي.

٣ ـ ويدخل في هذا الحكم الأحزاب القومية والاشتراكية والليبرالية والتنظيمات الماركسية، بالإضافة إلى تجارب بعض الأنظمة في الحكم.

٤ ـ انظر على سبيل المثال: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية لحسين مروة.

٥ ـ لا نحتاج للإشارة إلى نماذج من هذه الكتابات فهي كثيرة ومعروفة.

٦ ـ أنظر على سبيل المثال أعمال حسن حنفي، طيب تيوزني

٧ ـ يستعمل اللسانيون هذا التعريف بصدد الحديث عن بنية اللغة.

٨ ـ مفوهم «المحايثة» مفهوم لساني تقني ولمزيد من التوسع يمكن الرجوع إلى كتاب الدكتور ميشال زكريا «الألسنية ... المبادئ والإعلام» فهو كتاب مبسط لغير المتخصصين ونحن نأخذ منه معنى محدداً وهو التعامل مع ظاهرة التراث بعيداً عن منهج الإسقاط.

٩ ـ فردناند دوسوسير، دروس في اللسانيات العامة.

١٠ ـ نقصد بالمجال التداولي كما حدده الدكتور طه عبدالرحمن في كتابه تجديد المنهج في تقويم التراث.

١١ ـ طه عبدالرحمن تجديد المنهج في تقويم التراث ص ٩.

١٢ ـ يقصد الدكتور طه عبدالرحمن بالآليات الاستهلاكية «مفاهيم أو قاعد أو مناهج» ... «مستمدة من مجالات ثقافية أخرى غير التراث العربي الإسلامي».

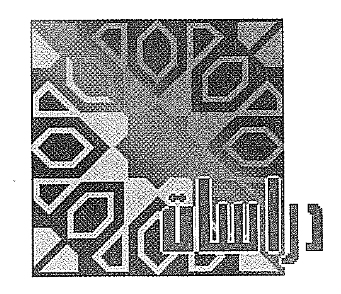
١٣ ـ المصدر السابق ص ٢٥.

١٤ ـ طه عبدالرحمن: أصول الحوار وتجديد علم الكلام ص ١٦١.

١٥ ـ محمد المصباحي، تحولات في تاريخ الوجود والعقل ص ٥٥.

١٦ ـ السمة الأساسية التي تميز العقلانية الإسلامية هي أنها عقلانية عملية مقابل العقلانية النظرية الغربية.

١٧ ـ Strudwe de la revolution scienti fique thomas kuhn





بقلم : غازي التوبة

ألّف الدكتور محمد شحرور كتاباً تحت عنوان (الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة) زعم فيه أنه أراد حل مشكلة الجمود الذي سيطر على الفكر الإسلامي قروناً عدة، والذي دعاني إلى كتابة هذه الدراسة أمور عدة :

الأول: تزكية روبرت بللترو- وكيل وزارة الخارجية الأمريكية السابق- لكتاباته ووجهات نظره، وقد جاءت هذه التزكية في تصريح أشاد فيه بثلاثة كتاب هم:محمد سعيد العشماوي مصر، ومحمد أركون من الجزائر، ومحمد شحرور من سورية.

الثاني: تزويد القارىء المسلم بنموذج من صور الانحراف والضلال في بعض الكتابات التي تزعم التجديد في الإسلام دون استخدام الأصول والمنطلقات الصحيحة التي رسمها الإسلام.

وأود أن أنبه منذ البداية إلى أنني لا أستطيع أن أرد على كل الأخطاء التي وردت في الكتاب وذلك لضخامة حجمه الذي يبلغ (٨١٩) صفحة من جهة، ولكثرة الموضوعات التي تحدث عنها الكاتب من جهة ثانية، ولكنني سأرد على بعض النقاط التي أراها أكثر خطورة من غيرها، والتي يتسع المقام للرد عليها.

استعرض الدكتور محمد شحرور في بداية كتابه منهجه الذي أقام بناء كتابه عليه وهو اعتماد المنهج اللغوي في تحديد معاني الألفاظ، واعتماد عدم وجود الترادف في اللغة مستنداً إلى نظرية أبي علي الفارسي، وقد أحسست من دراستي للكتاب بأنه يظن أنه أول المكتشفين لهذا المنهج، ولكن الحقيقة أن المعتزلة سبقوه إلى هذا المنهج معتمدين على قوله تعالى:(وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم)ابراهيم/٤.

فأوقعهم هذا المنهج في ضلالات متعددة أبرزها حصرهم معنى الكلمة بالمعنى اللغوي وحده، وقد رد ابن تيمية عليهم معتمداً منهج أهل السنة في النظر إلى هذه الألفاظ، فبين أن بعض الألفاظ مثل: الإيمان، الصلاة، الكفر ...الخ نقلها الشرع من معناها اللغوي وأعطاها معنى آخر، فأصبحت مصطلحاً محدداً وضحه القرآن والسنة توضيحاً كاملا، فمثلا لفظ الإيمان يعني لغة التصديق لقوله تعالى:(وما أنت بمؤمن لنا) يوسف/١٧. بمعنى وماأنت بمصدق لنا، ولكنه يعني في الشرع الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر، ويعني الإيمان بالله بصفاته التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وكذلك قل بالنسبة لبقية الأركان التي دخلت في مسمى الإيمان، وقد أجمل بعض علمائنا تعريف الإيمان فقالوا: الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان.

> **اعتمد الدكتور شحرور المنهج اللغوي في تحديد معاني الألفاظ واعتماد عدم وجود الترادف في اللغة مستنداً إلى نظرية أبي علي الفارسي**

وقد نتجت فروق رئيسية بين الإيمان عند المعتزلة وعند أهل السنة نتيجة الخلاف في منهج التعامل مع كلمة الإيمان أبرزها: إدخال أهل السنة العمل في مسمى الإيمان وبالمقابل عدم إدخال المعتزلة له، فشتان بين الإيمان لغة واصطلاحاً.

وكذلك الصلاة في اللغة تعني الصلة والدعاء، لكن الصلاة في الشرع باتت مصطلحاً يدل على أعمال منها: القيام، والركوع، والسجود، وقراءة الفاتحة، والتسبيح... الخ ويجب أن يسبق تلك الأعمال شروط منها: طهارة البدن، وطهارة الثياب، وطهارة المكان، ودخول الوقت... الخ ويجب ان يرافق ذلك أعمال قلبية منها: الخشوع، والاطمئنان، والتعظيم، والتذلل... الخ فشتان بين الصلاة لغة واصطلاحاً.

والآن بعد هذا التوضيح لمنهج أهل السنة في التعامل مع المصطلحات الشرعية واختلافه مع منهج المعتزلة، نعود إلى مناقشة الدكتور شحرور ونشير إلى الأمور التالية:

١- كرر الدكتور شحرور خطأ المعتزلة في عدم التمييز بين المصطلحات والألفاظ، فالألفاظ التي تعرض لها الدكتورشحرور مثل: الكتاب، والقرآن، والنبي، والرسول، وأمُّ الكتاب، والسبع المثاني... الخ لم تعد ألفاظاً تحتاج إلى أن نستقرىء معناها اللغوي في المعاجم، بل علينا أن نستقرىء معناها في مصادر الشرع، لذلك فإن كل الفروقات والتمييزات والمعاني التي حاول أن يستنبطها الدكتور شحرور من معاني الألفاظ المعجمية وحدها إنما هو أمر لاطائل تحته، وكل النتائج التي بناها على التفريق بين الكتاب والقرآن، وأن القرآن هو الآيات المتشابهات والسبع المثاني... الخ نتائج غير صحيحة لأن الشرع هو الذي حدد مضمون هذه الألفاظ، وعلى كل من يريد أن يفهم الدين عليه أن يلجه من باب مصطلحاته الخاصة التي رسمها وحدد معناها، وفي تقديري أن مثل هذه الخطوة طبيعية وهي من حق كل مذهب وعلم ودين أن يحدد مصطلحاته الخاصة التي تكون مدخلاً له.

٢-حمّل الدكتور شحرور بعض الألفاظ معاني لاتسمح بها اللغة ولاسياق النص، ومن أمثلة ذلك تفسيره عبارة أُمُّ الكتاب التي وردت في ثلاث آيات كريمة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأضاف الى ذلك تحديد مضمون تلك الرسالة وهي الحدود والأخلاق والعبادات وتعليمات خاصة وعامة، ولو فسرنا كلمة (أُمُّ الكتاب) معجمياً لوجدناها تعني «أصل الكتاب» ولو استقرأنا الآيات التي وردت فيها تلك العبارة لوجدنا أنها تحتمل معنيين:

الأول: الآيات المحكمات. وذلك لقوله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أُمُّ الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كُلٌّ من عند ربنا ومايذكّر إلا أولوا الألباب) آل عمران/٧. وقد فصّلت كتب علوم القرآن تعريف المحكم وتعريف نقيضه المتشابه.

الثاني: اللوح المحفوظ: وذلك لقوله تعالى: (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أُمُّ الكتاب)الرعد/٣٩. ولقوله تعالى: (وإنه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم) الزخرف/٤.

وفي كلا الحالين يتضح تحميل الدكتور شحرور للفظ «أم الكتاب» معاني لايحتملها التحليل اللغوي ولاسياق النص، ومما يزيد في اعتسافه أنه حدد الآيات المحكمات بالحدود والأخلاق والعبادات، ولكنه يمكن أن تكون الآيات المحكمات في صفات الله تعالى، أو بعض آيات الجنة والنار... الخ كقوله تعالى: (قل هو الله أحد)الصمد/١ وكقوله تعالى: (لم يلد ولم يولد)الصمد/٣، وكقوله تعالى عن الجنة: (لايمسنا فيها نصب) فاطر/٣٥... الخ

٣-اعتسف الدكتور شحرور في التفسير اللغوي لبعض الألفاظ، فهو قد اعتبر قول القائل «سبحان الله» اقراره بقانون هلاك الأشياء- ماعدا الله- نتيجة التناقض الذي تحويه داخلياً، وهو قد استهزأ بكل التفسيرات التي تعتبر قول المسلم «سبحان الله» بمعنى تنزيه الله عن كل نقص وعيب، ووصفه – تعالى- بكل صفة كمال، وكانت حجته في ذلك ان النقائص والعيوب تحمل مفهوماً نسبياً، ولا أدري مالذي يضير المعنى عندما ينزه المسلم الله عن كل عيب مطلق أو نسبي؟! ولكن هناك قضية اخرى بالاضافة الى اعتساف الدكتور في مجال المعنى هي أن عبارة «سبحان الله» تتألف من مضاف ومضاف اليه، والتي تعني اضافة شيء إلى ذات الله، والواضح ان صيغتها النحوية لاتسمح بتفسيرها إلا بالمعنى الذي قال به علماء التفسير وهو إضافة التنزيه لذات الله، ولاتسمح صيغتها النحوية بالمعنى الذي ذهب إليه الدكتور شحرور.

ومما زاد خطأ استنتاجه وأحكامه في أحيان كثيرة رفضه للسنة كمبين ومقيد ومفصّل لآيات القرآن الكريم، ليس هذا فحسب بل اعتباره تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم هو اجتهاد غير ملزم لنا في شيء، وهو فهمه الخاص المرتبط بالمستوى المعرفي للجزيرة العربية، وهو فهم نسبي، وهو في هذا يلتقي مع كثير من الفئات المنحرفة التي عادت السنة

على كل من يريد أن يفهم الدين عليه أن يلجه من باب مصطلحاته الخاصة التي رسمها وحدد معناها

النظر إلى القرآن وحده دون الأخذ بالسنة معه هو الذي جعل الكاتب يخرج علينا بتفاسير غريبة لبعض الآيات

المشرفة قديماً كالمعتزلة والخوارج، ويلتقي مع كثير من الشخصيات التي هونت من شأن السنة حديثاً ودعت إلى طرحها جانباً: كحسين احمد أمين، ومحمد أبو القاسم حجاج حمد.. الخ وليس من شك بأن هذه الأقوال في التهوين من شأن السنة المشرّفة والدعوة إلى طرحها جانباً، تتناقض تناقضاً كاملاً مع أمر الله تعالى في عشرات الآيات الكريمة من القرآن الكريم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم الى جانب طاعته سبحانه وتعالى، وقد أشار إلى جانب من ذلك الشافعي – رحمه الله- في بداية كتاب «الرسالة» والتي تساءل فيها: من أين لنا أن نستدل على لزوم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فأجاب بأن القرآن هو الذي وجّهنا إلى ذلك، وأوجب علينا ذلك، واستشهد بالآيات التي أمرت بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها قوله تعالى:(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)النساء/٥٩، ومنها:(من يطع الرسول فقد أطاع الله)النساء/٨٠، ومنها:(وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا)الحشر/٧. ومنها:(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) النور/٥١...الخ

إن النظر إلى القرآن وحده دون الأخذ بالسنة معه هو الذي جعل الكاتب يخرج علينا بتفاسير غريبة لبعض الآيات الكريمة أو بعض المعاني القرآنية:كالقيامة والبعث والصور والساعة والسبع المثاني... الخ وسأمثل لذلك بمثال واحد هو تفسيره للسبع المثاني التي أورد ماجاء عن أصلها في مقاييس اللغة فقال : (المثناة : طرف الزمام في الخشاش) وإنما يثنى الشيء من أطرافه، فالمثاني إذاً أطراف السور وهي إذاً فواتحها، فتوصل إلى أن السبع المثاني هي سبع فواتح للسور، فإذاً السبع المثاني هي الفواتح التالية :

١- الم ٢- المص ٣- كهيعص ٤- يس ٥- طه ٦- طسم ٧- حم.

ثم نظر إلى الأحرف التي تتضمنها الآيات السبع السابقة فوجدها تتألف من ١١حرفاً، وأخذ الأحرف التي وردت في بداية سور أخرى ولم ترد في الفواتح السابقة فوجد أنها ثلاث هي :

١- القاف ٢-الراء ٣-النون. نجمعها مع الأحرف السابقة فصارت أربعة عشر حرفاً، وأشار إلى أنها أصبحت (٢×٧) وهي أيضا سبع مثان.

وربط بين ماتوصل إليه وهو أن أحرف السور الفواتح بلغت أحد عشر حرفاً وبين قول علماء اللغويات واللسانيات من أن الحد الأدنى لأي لغة إنسانية معروفة في العالم هو أحد عشر صوتاً، واعتبر أن هذا هو الحد الأدنى اللازم من الأصوات لأي تفاهم بيننا وبين أي مخلوقات يمكن أن توجد في الكواكب الأخرى في المستقبل.

هذا ما أورده الدكتور شحرور في تفسيره للسبع المثاني، ولنر ماورد في السنة عن تفسير السبع المثاني، ولنر مدى ابتعاده عن الصواب لغة وشرعاً وعقلاً.

قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى- في مسنده

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه «كنت أصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت، قال: فأتيته فقال: مامنعك أن تأتيني؟ قال، قلت: يارسول الله إني كنت أصلي قال: ألم يقل الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) الأنفال/٢٤. ثم قال: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد. قال: فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت: يارسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن. قال: نعم (الحمد الله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» وقد وردت بعض الروايات تفسر الفاتحة بالسبع المثاني فقط.

والآن: هل بعد تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للسبع المثاني من تفسير؟

لا أظن أن يجوز لمسلم بعد أن يسمع تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتطلع إلى تفسير آخر، وأحب أن أشير بالإضافة إلى ماسبق أن تفسير السنة للسبع المثاني أصوب من الناحية اللغوية مما ورد عند الدكتور شحرور لأنه اختار كلمة مثناة وترك الأصل ثني، وقد جاء في مقاييس اللغة عن الأصل ثني مايلي:

«الثاء والنون والياء أصل واحد وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين». والحقيقة إن هذا التعريف اللغوي أكثر انطباقاً على الفاتحة وهو أصل المعنى لأن الفاتحة سبع آيات تتكرر وتثنى في كل صلاة، لذلك لم يأخذ به الدكتور شحرور واختار كلمة اخرى هي «المثناة» ليجعلها أصلاً في دراسته، وليصوغ النتيجة التي يريد أن يتوصل إليها وهي مطابقة الأحرف في فواتح السور مع أصل الأصوات في اللغات الإنسانية.

وقد انتبه خيار الصحابة إلى أن فهم القرآن الكريم دون ربطه بالسنة قابل لكل التفسيرات، لذلك وجه علي بن أبي طالب ابن عباس رضي الله عنهما أن يحاجج الخوارج بالقرآن الكريم والسنة المشرّفة معاً عندما أرسله لمناقشة الخوارج فقال له: لاتحاججهم بالقرآنَ وحده فإن القرآن حمال أوجه، حاججهم بالسنة.

حرص الدكتور محمد شحرور على فتح ثغرة في فهم المسلمين للنص القطعي الثبوت القطعي الدلالة، وهو في هذا يلتقي مع عدد من الكتّاب الذين يركزون على فتح هذه الثغرة في هذا الوقت من أمثال: عادل ضاهر، وحسين أحمد أمين، ونصر أبو زيد، ومحمد سعيد العشماوي... الخ وكل كاتب تناول بعضاً من هذه الآيات ،فنصر أبو زيد تناول آيات صفات الله تعالى، وأحمد أمين تناول آيات الحدود، ومحمد سعيد العشماوي تناول آيات الحجاب والمرأة ، وعادل ضاهر تناول النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة بشكل عام وضرورة فهمه فهماً جديداً مبايناً لكل الأفهام السابقة، وكل واحد منهم دعا إلى أن نطور فهمنا لهذه الآيات القطعية الثبوت القطعية الدلالة، ودعوا إلى عدم التوقف عند فهم الرسول والصحابة وعند فهم علماء المسلمين هذا الفهم الذي استمر على مدار ألف وأربعمئه عام بل يجب أن نفهمها على

معظم الضلال الذي وقع فيه الفلاسفة والمعتزلة جاء من قياس عالم الغيب على عالم الشهادة

الدكتور شحرور قد ابتعد في متاهات التأويل عندما فسّر الفجر بالانفجار الكوني الأول

ضوء معطيات العصر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وحشد كل منهم حججه الخاصة، ولكن قبل أن استعرض حجج الدكتور محمد شحرور أود أن أنبه إلى خطورة الانسياق في هذه الدعوة التي تنتهي إلى مسخ الدين، وجعله ألعوبه بيد أصحاب الأهواء، وينتهي حينئذ ديننا إلى ماانتهت إليه الأديان السابقة بأن يكون مبرراً لكل انحرافات البشر وتابعاً لانحدارهم.

تناول الدكتور محمد شحرور كل النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة تقريبا فهو تناول آيات الحدود وآيات الربا وآيات الميراث وآيات الطلاق والزواج... الخ المهم أنه انتهى من تناوله لكل الآيات السابقة إلى فهمها فهماً جديداً مخالفاً لكل الأفهام التي طرحت سابقاً، فهو بالنسبة للربا حرّم ربا الأضعاف المضاعفة، وبالنسبة لآيات الميراث أباح التلاعب بالأنصبة التي حددها الشرع لكل فرد من أفراد الأسرة، وبالنسبة لتعدد الزوجات أباحه من الأرامل ذوات الأولاد، وبالنسبة لمعالجة الزوجة الناشز فقد ألغى بعض مراحل معالجة نشوزها... الخ

وقد استند كل من تناول النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة على شبهة تطور المحيط البشري، فهناك الجديد المتطور باستمرار في العلم والأدوات والأشياء والوسائل... الخ وبالتالي يجب أن يكون هناك تطور بالأحكام مرافق للتطور المحيط بنا، ولكن نسي أولئك القائلون بذلك القول: إن هناك أشياء ثابتة في كيان الإنسان إلى جانب الأشياء المتطورة والمتغيرة التي أشاروا إليها، وإن الاسلام عندما وضع آيات الحدود والميراث والزواج والطلاق والمرأة... الخ ربطها بالجانب الثابت من الكيان الإنساني، فهناك التجاذب بين الذكر والأنثى، وهناك الأسرة، وهناك شهوة المال، وشهوة النساء، وشهوة الانتقام...الخ وهي أمور ثابتة إلى قيام الساعة فلابد من حدود ثابتة مرتبطة بها، فكانت تشريعات الزواج والطلاق والميراث وأحكام الأسرة وحدود السرقة والزنى والقتل.

وإن أكبر دليل على أن الإسلام دين الله العليم الخبير هو أنه راعى الثابت والمتحوّل في الكيان الإنساني والحياة البشرية،فأنزل الشرائع الثابتة للجوانب الثابتة في كيان الإنسان، وأعطى أطراً عامة للأمور المتحولة في حياة الإنسان، فالإسلام مثلاً أعطانا أحكاماً عامة محدودة في مجال الحياة الاقتصادية فحرّم الربا وأحل البيع وأوجب الزكاة وفرض الميراث ولم يلزمنا بزراعة معينة ولابطرق زراعية معينة ولابمواد معينة ولا بتجارة معينة ولا بصناعة معينة... الخ إنما ترك ذلك لظروف الزمان والمكان.

ولقد حدثنا القرآن عن أمور غيبية متعددة، فحدثنا الله تعالى عن ذاته وعن الجنة والنار والملائكة وخلق الإنسان وخلق الكون... الخ ومن الواضح أن قوانين عالم الغيب لاتنطبق بحال على عالم الشهادة، وإن معظم الضلال الذي وقع فيه الفلاسفة والمعتزلة جاء من قياس عالم الغيب على عالم الشهادة وسحب قوانين الشهادة على عالم الغيب إلى وقد وقع الدكتو شحرور في هذا الخطأ، ومن أمثلة هذا قياسه

كلام الله على كلام البشر، لذلك تخيل أن القرآن الموجود في اللوح المحفوظ لابد له من الانتقال إلى صيغة لسانية عربية قبل إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم ليلة القدر وهي ليلة إشهار القرآن الكريم في نظره.

ولكن هذا القرآن الكريم الذي تكلم الله به والذي كان موجودا في اللوح المحفوظ، لانعرف الكيفية التي تكلم الله بها لأننا نجهل ذات الله وبالتالي لانستطيع أن نخوض في هذه التفصيلات لأنها ستكون بلا سند شرعي أو عقلي.

دندن الدكتور شحرور كثيراً على الجبرية في فهم القضاء والقدر، مع أن المسلمين الأوائل لم يفهموا القضاء والقدر بحال من الأحوال على أنه السلبية والتواكل وسلب الإرادة، بل فهموا القضاء والقدر على أنه الإيجابية نحو الأحداث، والأخذ بالأسباب ومن ثم التوكل على الله، كذلك كان فهم القضاء والقدر بتلك الصورة عاملاً إيجابياً في بناء الشخصية المسلمة على مدار التاريخ، وفي دفعها إلى الفعل والبناء وإعمار الكون، وجلّ الدَخَن الذي دخل فهم المسلمين للقضاء والقدر من ثقافات خارجية وأبرزها التصوف الذي رسّخ السلبية، ودعا إلى إسقاط تدبير والانشغال بالذات وترك الخلق للخالق.

وقد تجاوز المسلمون هذا الفهم الخاطىء للقضاء والقدر في العصر الحديث، وجاء ذلك نتيجة عاملين:

الأول: إبراز معظم الصالحين أوجه القصور في فهم القضاء والقدر الذي ورثناه عن العصور المتأخرة، وإبراز الصورة الصحيحة لما يجب أن يكون عليه الإيمان بالقضاء والقدر.

الثاني: انحسار موجة التصوف التي كانت سبباً في رواج الفهم الخاطىء للقضاء والقدر.

لذلك فإني أرى أن دندنة الدكتور شحرور حول القضاء والقدر ليست في محلها بعد أن تجاوز المسلمون هذه الظاهرة في وقتنا الحاضر.

اعتمد الدكتور شحرور على عقله وحده في تفسير كثير من الآيات الكريمة فجاء بعجائب من التفسير، وهو أمر طبيعي لكل من اعتمد على العقل وحده دون المزاوجه بين العقل والنقل في فهم الآيات وتفسيرها، ودون الاعتماد على المأثور من الأقوال، ونستطيع أن نمثل على مقولتنا بآيتين:

الأولى:قوله تعالى:(وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)فاطر/٢٤. فسّر النذير بالملاك، وقرر أن الله كان يرسل ملائكة إلى البشر قبل نوح عليه السلام الذي اعتبره أول رسول إلى البشر، وزعم أن قوله تعالى:(كذبت قوم نوح المرسلين) الشعراء/١٠٥ وقوله تعالى: (كذبت ثمود النذر) القمر/٢٣. يعني أن تلك الأقوام كذبت بنبيهم وبالملائكة الذين أرسلوا إلى البشر يكلمونهم ويدعونهم، ورفض التفسير الذي ذكرته معظم التفاسير وهو أن الله سبحانه بيّن أن تكذيب رسول واحد يعني تكذيب جميع رسله، لذلك جاءت كلمة الرسل بالجمع وليس بالمفرد لتشير إلى هذا المعنى.

الثانية: قوله تعالى:(كل شيء هالك إلا وجهه) القصص/٨٨. فسّرها بأن هذا الكون يحمل تناقضاته، وأن المادة تحمل

المسلمين الأوائل لم يفهموا القضاء والقدر بحال من الأحوال على أنه السلبية والتواكل وسلب الإرادة بل فهموا على أنه الإيجابية نحو الأحداث

تناقضها معها، لذلك فإن هذا الكون سيتدمر وسيتبدل وسيهلك، ولكن هلاكه سيحوله إلى مادة أخرى، وهذا هو تفسيره ليوم القيامة، وهو يعتبر أن الجنة والنار غير موجودتين وستوجدان عند تحول هذا المكان إلى مادة أخرى، وهو في هذا يرفض الأحاديث الشريفة التي قررت وجود الجنة والنار، ولا أريد أن أسرد عشرات الآيات والأحاديث التي تدحض تفسيره للآية السابقة، ولكنني أريد أن أسأله بمنطقه اللغوي الذي اعتمده: كيف يمكن أن يوفق بين المدلول اللغوي للآية الكريمة السابقة وهو الذي يعني بكل بساطة فناء المخلوقات الأخرى وهلاكها وبين تحولها إلى مادة أخرى؟ فأين هو إذاً الهلاك للمادة؟

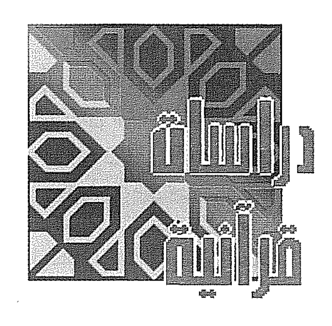
التأويل أحد مباحث علوم القرآن، ويحتوي على أقسام عدة مقبولة منها:التأويل بمعنى تحقيق الشيء، ومنها: التأويل بمعنى التفسير، ولكن علماءنا حذروا من أحد أقسامه التي تقوم على صرف ألفاظ الآية المؤولة عن المعنى الراجح إلى معنى مرجوح لاتسمح به اللغة، وقد جاء تحذيرهم ذلك نتيجة استخدام الفرق المنحرفة له في خدمة أهوائها وضلالاتها، ولأنه أدى إلى ضياع حقائق الدين ومعالمه التي رسمها محمد صلى الله عليه وسلم، فهل أخذ الدكتور شحرور بهذا التأويل؟ نعم لقد أخذ به، ليس هذا فحسب بل دعا وقنن له، ولن أعرض لكل تلك التأويلات لكن سأعرض لواحد منها.

قال تعالى في سورة الفجر:(والفجر وليال عشر. والشفع والوتر)الفجر١/٣ فسّر الدكتور شحرور الآيات السابقة بمايلي:

فالخلق الأول بدأ بانفجار كوني هائل حيث قال: والفجر وليال عشر والشفع والوتر حيث إن الفجر هو الانفجار الكوني الأول«وليال عشر» معناه أن المادة مرت بعشر مراحل للتطور حتى صارت شفافة للضوء، لذا أتبعها بقوله:« والشفع والوتر» حيث إن أول عنصر تكوّن في هذا الوجود هو الهيدروجين وفيه الشفع في النواة والوتر في المدار، وقد أكد هذا في قوله:(وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء)هود/٧. والهيدروجين هو مولّد الماء،أي بعد هذه المراحل العشر أصبح الوجود قابلا للإبصار لذا قال:(الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)الانعام/١. الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة.ص, ٢٣٥

ليس من شك بأن الدكتور شحرور قد ابتعد في متاهات التأويل عندما فسّر الفجر بالانفجار الكوني الأول، وفسر الليالي العشر بمراحل تطور المادة العشر، وفسّر الشفع والوتر بغاز الهيدروجين لأن معطيات السورة لاتسمح بمثل هذا التأويل، ولو أقررناه على تأويله لأعطينا الفرصة لكل صاحب بدعة أن يطوع آيات القرآن حسب بدعه وهواه.

والآن: بعد هذا العرض السريع لبعض تجاوزات الدكتور شحرور وضلالاته وانحرافاته لا نستطيع إلا أن نقول: إن الكتاب ليس حلا لمشكلة الجمود في الفكر الإسلامي، بل هدماً لكثير من أركان وأسس ومنطلقات الفكر والدين الإسلامي. ■



من قواعد الإثبات والتحقيق في قصة يوسف الصديق

لئن كان الله سبحانه قد سخّر الماء لينقذ موسى ومن معه ثم يغرق به فرعون وقومه. وينجي به سفينة نوح والمؤمنين فيها ثم يغرق به قومه وابنه وسخّر الحوت ليحمل يونس في جوفه لينبذه بالعراء وهو سقيم فينجو من غرق محقق. وسخّر النار لتكون برداً وسلاماً على إبراهيم فيرد يد النمرود ويخرج منها إبراهيم سالما فما ذلك إلا مصداقاً لقوله تعالى: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون) الصافات:١٧١-١٧٣. وإذا ماتهم الأبرياء وتلسن القوم على الأتقياء وقيل لمريم البتول (ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيا) مريم:٢٨ فلا عجب أن يُنْطق الحق سبحانه عيسى وهو في المهد صبيا ليقول لهم (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) مريم:٣٠.

وإذا ماتآمر إخوة يوسف لينتزعوه من أحضان أبيه ويرموه في الجبّ ليلقى في غيابتها مصيره المجهول ثم يتهم بعد ذلك وهو العفيف المحصن بأنه يبغي السوء فلا غرو أن يجعل الحق من قميصه دليلا على كذب إخوته في الأولى ودليلا على

بقلم:محمود علي عبد الرحمن

القميص وقصة يوسف عليه السلام في القرآن

ذكرت كلمة القميص ست مرات في سورة يوسف في قوله تعالى(وجاءوا على قميصه بدم كذب)الآية/١٨. وقوله:(وقدّت قميصه من دبر)الآية/٢٥. وفي قوله:(إن كان قميصه)الآية/٢٦. وكذلك الآية ٢٧(وإن كان قميصه) وقوله تعالى:(فلما رأي قميصه)الآية/٢٨ وفي الآية٩٣ قوله تعالى:(اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي) ومرة بضمير الهاء في «وألقاه» في قوله تعالى:(فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً) الآية/٩٦.

ومن الطريف أن عدم قطع القميص كان قرينة على براءة الذئب من دم يوسف وكذب إخوته فيما قالوه لأبيهم وكان قدّ «قطع» القميص قرينة على براءة يوسف من اتهام امرأة العزيز له وكذبها فيما ادعته أمام بعلها والشاهد من أهلها.

القميص والدم المكذوب

بعد أن أفلح إخوة يوسف بمكرهم في انتزاعه من حضن أبيه ليخلو لهم وجه أبيهم وألقوه في الجب بعد أن نزعوا عنه قميصه ثم عادوا إلى أبيهم ليلا وهم يبكون ومعهم قميص يوسف وقد لطخوه بالدم ليوهموه أن الذئب قد أكله في غيبتهم (وجاءوا أباهم عشاءً يبكون. قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وماأنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين. وجاءوا على قميصه بدم كذب)١٦:١٨.

وهكذا أرادوا أن يصوروا الواقعة لأبيهم على أن الذئب قد افترس يوسف وقدّموا من الأدلة على صدق قولهم: العودة في ظلمة الليل ليكون ذلك متماشياً مع غدرهم أدعى لعذرهم، وقدموا وهم يبكون حسرة على ماحدث، وهاهو القميص ملطخ بالدم المكذوب حيث عمدوا الى سخلة وذبحوها ولطخوا القميص بدمها.(١)

ولأنهم كاذبون قالوا لأبيهم(وماأنت بمؤمن لنا ولوكنا صادقين)الآية/١٧. ولأن النسيان هو دأب الكاذب فقد نسوا في خضم افتراءاتهم أن يُحدثوا ثمة قطع بالقميص أو مزق فهذا أدعى لما يقولون. فالتقط يعقوب - عليه السلام- هذه القرينة واستلهم بفراسته بواطن الأمور من ظواهرها فقال لهم متهكماً: ماأحلم هذا الذئب الذي افترس ولدى ولم يمزق عليه قميصه ولم يعمل به ناباً أو ظفراً(٢) تقول الآية(بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل)الآية/١٨.

كانت بصيرة يعقوب نافذة فضحت كذب أبنائه رغم مـا نسجوه من محبوك القول وأحابيل الشيطان

ولأن الفهم بطبائع النفوس يقوي الاستدلال ويعضده كما أن اللفتات النابهة للأمور الخفية تنفذ كالأشعة في الأجسام المصمته فتستجلي مكنوناتها وتعرف حقائقها، فقد كانت بصيرة يعقوب نافذة نيرة فضحت كذب أبنائه رغم مانسجوه من محبوك القول وأحابيل الشيطان.

محنة القصر وسيدته

بعد أن بيع يوسف في سوق الرقيق واشتراه رئيس الشرطة في مصر وجعله الرئيس على خدمه في القصر والمتصرف في شؤونه وكان يوسف جميل المنظر فتّان الصورة ومن هنا بدأت محنته مع امرأة العزيز إذ أشعل جماله في نفسها جذوة نار حبه واستمرت تلك النار بتكرار رؤيته في القصر إلى أن تغلّب الحب على حيائها فأخذت تداعبه وهو يعرض عنها يحجزه إيمانه بالله وامتثاله أوامره والتزامه بالطهارة من الأرجاس الخلقيه من ناحية ومن ناحية أخرى أن سيده أكرم مثواه ووثق

به في بيته فلا ينبغي أن يقابل نعمه بالجحود الى أن هاج بها هائج الغرام واعتزمت على شفاء مافي نفسها من صبابة فخرجت من التلميح الى التصريح ودعته الى نفسها دعوة لاهوادة فيها وقد احتاطت للأمر وغلقت الأبواب وقالت هيت لك فرفض رفضاً قاطعاً قائلا لها:(إنه ربي أحسن مثواي إنه لايفلح الظالمون) الآية/٢٣ وولى وجهه شطر الباب بطلب الغوث والنجاة من شيطان غوايتها وهي لاتتركه وتجاذبه ثوبه وهو العصيُّ حتى تمزق الثوب من خلفه الى أن يغلبها ويفلت من يدها فيستبقان الباب هو يريد فتح مغلقه لينجو وهي تحول بينه وبين الهروب والإفلات منها دون قضاء لبانتها وحينئذ يجد بعلها لدى الباب (٣) (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب)الآية/٢٥.

اتهامها ليوسف و (سؤال استنكاري ماكر)

هنا بدأ مسرح جريمتها أكثر اتساعا وأوضح بيانا ووجدت نفسها قد هزمت لأنها لم تنل منه ماتشتهيه وقد أفلح في الإفلات منها وهاهو بعلها أمام الباب فأرادت أن تبدي تماسكها ورباطة جأشها فألقت بقنبلة اتهامها الماكر الخبيث الذي لم يكن مجرد اتهام ليوسف ولكنها فجرته بسؤال استنكاري بالغ الدهاء:(ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً) ؟ثم قررت بنفسها العقوبة أيضا قائلة في عقبه (إلا أن يسجن أو عذاب أليم) الاية/٢٥. فما كان رد يوسف إلا أن قال بثبات وثقة (هي راودتني عن نفسي).

الشاهد من أهلها وإجراء المعاينة

إذا كانت المعاينة هي إثبات مباشر ومادي لحال شيء أو شخص معين ويكون ذلك من خلال الرؤية أو الفحص المباشر للشيء وللشخص بوساطة من باشر الإجراء وقد يرد محل إثبات الحال من الشخص سواء أكان هو المجني عليه أم المتهم(٤).

كما أن للمحقق عند المعاينة ألا يقتصر على إثبات حال الاشياء بل يعمل على التأكد من إمكان وقوع الجريمة وفقا لرواية الشهود من عدمه.

للمحقق عند المعاينة ألا يقتصر على إثبات حال الاشياء بل يعمل على التأكد من إمكان وقوع الجريمة وفقا لرواية الشهود من عدمه

وقد برع المحقق في معاينته على هذا النحو فهي قد أرادت أن تصور الواقعة على أنها حال تلبس بالجريمة وماعليهم إلا أن يسجنوه أو يذيقوه أشد ألوان العذاب. إلا أن الشاهد من أهلها«المحقق» قد تسنم قمة قواعد الشرعية الإجرائية وراح يتحدث بلسان الحال لا المقال مفنداً قوله ومطابقته على مسرح الحادث وحال «المتهم» منطلقاً من اتهامها ليوسف ودلو فهما للمكان بُعيد وقوع الحادث الذي ادعته «المجني عليها» وكون معالم الجريمة ستظل على طبيعتها لوقت إجرائه المعاينة فوضع تصوراً منطقياً واقعياً على نحو ماتقول الآيات:(إن كان قميصه قُدّ من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين. وإن كان قميصه قُدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين) ٢٦و٢٧.

قرينة قُدّ القميص ودليل البراءة

الاصل ان المتهم برىء حتى تثبت إدانته ويتطلب افتراض هذه البراءة عدم مطالبته بتقديم أي دليل على براءته فضلا على أن قرينة البراءة ركن من أركان الشرعية الإجرائية (٥) وبما أنها المدعية كان يتعين عليها أن تقدم الدليل على صدق اتهامها وهو مالم يحدث بل ألقت الاتهام على عواهنه قولاً مرسلاً فهي تتهم عبداً هي سيدته فما كان من المحقق إلا اللجوء الى الأدلة غير المباشرة كالقرائن.

والقرينة تتحقق باستنتاج مجهول من معلوم وذلك باستنباط الواقعة المجهولة المراد اثباتها من واقعة اخرى ثابتة(٦) وهي تستخلص بطريق اللزوم العقلي وتعتمد على عملية ذهنية يربط فيها المحقق بين واقعة معينة والواقعة المراد اثباتها(٧).

وقد كان استدلال «الشاهد من أهلها» على هذا النحو استدلالا سائغاً له رجاحته ووجاهته ومستمداً من الواقع متماشيا مع مقتضيات العقل والمنطق ومتلائما مع طبيعة الأحداث موافقاً للحق والصدق وقد انبلج به صبح الحقيقة تقول الآية:(فلما رأى قميصه قُدّ . من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم)الأية/٢٨.

أمر ضمني بالحفظ «لعدم الصحة»

بعد أن انتهى المحقق الى عدم صحة حدوث الواقعة كان قراره ببراءة يوسف والمستفاد ضمنا بحكم اللزوم العقلي من قوله:(إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) أن الأمر بعدم وجود وجه لعدم الصحة قد يستفاد ضمنا من تصرف المحقق في التحقيق على نحو يقطع بحكم اللزوم العقلي بصدور هذا الأمر(٨).

مثال ذلك أن ينتهي المحقق بعد التحقيق في واقعة السرقة بالبلاغ الكاذب مما يقطع بأنه قرر بعدم وقوع جريمة السرقة ومن ثم عدم صحة الواقعة وصيرورة المتهم مجنيا عليه.

وهذا بالفعل ماقرره المحقق في الواقعة إذ اتهمها بالبلاغ الكاذب بقوله لها (واستغفري لذنبك) وأكد جريمتها في حق يوسف بـ (إنك كنت من الخاطئين) ثم طلب من يوسف بعد أن أصبح مجنيا عليه لامتهماً أن يكف عن الحديث في هذا الأمر ويسقطه من ذاكرته:(يوسف أعرض عن هذا) الآية:٢٩.

سلسلة اعترافات

(١) اعتراف امرأة العزيز و«دليل أخر على براءة يوسف»:

وأمام شيوع الخبر في المدينة ولوم النسوة لها على غرامها وصبابتها (وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا)يوسف/٣٠. أرادت أن تثبت لهن بالدليل القاطع أنها معذورة فيما فعلته لانبهارها بجماله وفتنتها بحبه وعليهن أن يظهرن مقاومتهن لحسنه وبهائه عند رؤيته (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئاً وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)الآية/ ٣١ . وهنا اعترفت أمامهم بلوعتها وباحت بما في قلبها من ألم الجوى ولوعة الشوق اليه متذرعة بما حدث لهن عند رؤيته فقالت متهكمة منهن:(فذالكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم)الآية/٣٢ ثم اكدت لهن أنها مازالت تصر على ماتشتهيه منه وسيفعل ماتأمره به قسراً عنه وإلا فالسجن والصَّغار مصيره قالت (ولئن لم يفعل ماآمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين) الاية/٣٢ إنها سجلت بذلك امام النسوة دليلا آخر على براءة يوسف وصدقه وكان هو سنده الرسمي الذي أصر على أن يثبته للملك قبل خروجه من

السجن مسجلاً في صحيفته البيضاء أنه ماسجن إلا ظلماً وعلى الملك أن يتأكد من ذلك بشهادة النسوة تقول الآية:(وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم) الاية/٥٠.

هكذا قدمت له امرأة العزيز بفعلتها مع النسوة خدمة جليلة من حيث لاتدري إذ دعاهن الملك ليتأكد من خلو صحيفة يوسف (قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء) وصدَّقت امرأة العزيز على كلامهن بقولها(الآن حَصْحَصَ الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) ثم وثقت كل ذلك بقولها(وماأبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي)الآية/٥٣ .

(٢) اعتراف إخوة يوسف بجريمتهم.. ولكن:

· بعد خروج يوسف من السجن نقي الصحيفة شامخاً منتصراً قال للملك من موقع القوة ومنطلق الثقة (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)الآية/٥٥. وقد كان له ماطلب وعندما اشتد الجدب في جميع انحاء الارض في السنوات السبع العجاف قدم إخوة يوسف إلى مصر لشراء قوت لأهلهم فلما رآهم يوسف عرفهم وهم له منكرون أعطاهم الطعام بلا ثمن طالباً منهم إحضار أخيهم «بنيامين» وقد فعلوا وعادوا به اليه ثم تمكن من استبقائه عنده بمكيدة ولما عادوا مرة أخرى لطلب القوت ذكرهم يوسف بإساءاتهم له ولأخيه قائلا:(هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون)الآية/٨٩ فأيقنوا بعد حين أنه هو يوسف فقالوا (أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منَّ الله علينا)الآية/٩٠ وهنا جاء اعترافهم بالجريمة التي ارتكبوها في حقه وإلقائه في الجب وتفريقهم بينه وبين أبيه تقول الآية:(تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) الاية:٩١ كما كرروا ذات الاعتراف لأبيهم بقولهم:(ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين)٩٧ ولكن أنى لهذا الاعتراف من قيمة بعد ماذاقه يوسف من شدائد وآلام؟

الحكم بالقرينة الظاهرة

القرينة الظاهرة هي أحد أدلة الثبوت الشرعية والقانونية يقول ابن القيم في «الطرق الحكمية» لم يزل الأئمة والخلفاء يحكمون بالقطع إذ اوجد المال المسروق مع المتهم وهذه القرينة أقوى من البينة والإقرار فانهما خبران يتطرق إليهما الصدق والكذب ووجود المال معه نص صريح لاتتطرق إليه شبهة أ.هـ .

وقد أعمل حكم القرينة الظاهرة مرتين في قصة يوسف (الأولى): وهو طفل صغير كفلته عمته بعد وفاة امه وتعلق قلبها به فلما اشتد قليلا وأراد أبوه ان يأخذه منها ضنت به وحتى تتمكن من ابقائه معها لجأت لحيلة فألبسته مَنْطَقَةً لجده ابراهيم- كانوا يتوارثونها- وجعلتها تحت ثيابه ثم أظهرت سرقتها أمام أبيه وأخذت تبحث عنها في المنزل فلم تجدها ثم أخرجتها من تحت ثيابه(٩) ومن هنا طلبت بقاءه عندها مدة يخدمها جزاء لما صنعه(١٠).. ولم يتمكن يعقوب -عليه السلام- من ضمه إلا بعد وفاتها وهي الواقعة التي عناها إخوته بقولهم (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) الآية:٧٧.

(الثانية):ذات الحيلة لجأ إليها يوسف حتى يتمكن من إبقاء شقيقه «بنيامين» عنده فجعل الخدم يضعون سقايته في رحل «بنيامين» دون رحال إخوته ثم أذّن مؤذن فيهم بعد مغادرتهم بسرقة تلك السقاية وبدأوا في تفتيش أوعيتهم أولاً ثم استخرجوها من رحل «بنيامين» وبذلك تمكن من استبقائه عنده جزاء لسرقته السقاية(١١) بقرينة وجود المال المسروق معه تقول الآية:(فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذّن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون) الآية/٧٠ وقد بدأ التفتيش على نحو(فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله)الآية:٧٦.

وهكذا سيظل القرآن هو النبع الصافي والمنهل العذب والمعين الذي لاينضب لكل من أراد أن يستقي من فضائله ويستضيء بنور مكارمه أو يلتمس الخطى على طريق الحق القويم والصراط المستقيم. كما سيظل أبداً مصدراً لكل العلوم ومنارة لأولي الألباب على مر العصور والأزمان.

قصة يوسف مورد غزير المادة لمن أراد ان يستلهم القيم والأخلاق والأحداث فيها غنية بالقواعد الإجرائية في الاثبات والتحقيق

وقصة يوسف التي عرضتها السورة مورد غزير المادة لمن أراد ان يستلهم القيم الفاضلة والأخلاق الطاهرة كما أن الأحداث فيها غنية بالكثير من القواعد الإجرائية في الاثبات والتحقيق وغيرها وعلينا ان نستخلص منها الفوائد والدروس والعبر يقول تعالى في آخر السورة:

(لقد كان في قصصهم عبرة لأوْلي الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) الآية:١١١. ■

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم
*تفسير القرآن العظيم الإمام ابن كثير.
*قصص الأنبياء ابن كثير.
*قصص الأنبياء د. عبد الوهاب النجار.

الهوامش

١- قصص الأنبياء الإمام ابن كثير، ص٢٣٥.

٢-٣- قصص الأنبياء د. عبد الوهاب النجار، ص:١٥٥ ومابعدها ص:١٥٨.

٤-الوسيط في قانون الاجراءات الجنائية د. فتحي سرور، ص:٣٤٨ ومابعدها.

٥-المرجع السابق ص:٣٤١.

٦-د. فتحي سرور، المرجع السابق ص:٣٣٠.

٧-نقض ١٩٦٧/٥/٣٠- مجموعة الأحكام، س١٨ رقم١٤٧ص٧٣٨.

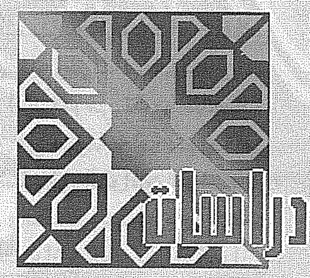
٨- نقض ٣ فبراير ١٩٦٤- مجموعة الأحكام- ش١٥-رقم: ٩٧.

٩-عبد الوهاب النجار،المرجع السابق،ص:١٧٠ وابن كثير، المرجع السابق، ص٢٥٥.

١٠- فقد كانت عقوبة السارق وقتذاك هي استبقاءه عبداً في خدمة المجني عليه مدة معينة.

١١- وهو إنما فعل ذلك من امر الله لانه سيترتب على هذا الأمر مصلحة عظيمة هي قدوم أبيه وقومه عليه ووفودهم اليه.

(كذلك كدنا ليوسف ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله/١) الآية/٧٦.



المنهج الإسلامي

المنهج هو الطريق الواضح الصحيح... والمنهج الإسلامي هو ذلك المنهج القائم على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف... فمثلما الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين فالمنهج الإسلامي هو أقرب وسيلة بين العمل والغاية... ونحن كمسلمين ندعو الله كل يوم أكثر من سبع عشرة مرة على الأقل لأن يهدينا إلى سراطه المستقيم ويبلغنا غايتنا.

بقلم: مطلق القراوي
مدير إدارة التطوير والتدريب في وزارة الأوقاف

المنهج الإسلامي منهج علمي عملي... فهو يبدأ بالهدف... ثم الوسائل التي من شأنها تحقيق هذا الهدف، إذا ما أحسن استخدامها... والهدف في الإسلام هو الغاية التي خلق الله من أجلها الجن والإنس قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ٥٦: الذاريات... فالدين الإسلامي قائم على العبادة وهو الرباط القوي بين العبد وربه ويرفض الرهبانية والعزوف عن الدنيا والتي تقطع الروابط وتثني الهمم وتدعو إلى التواكل والاعتماد على الغير... أما الوسائل فقد اتصفت بالمرونة حتى تواكب العصر ومستجداته... والدقة حتى لا تحيد عن الهدف والغاية.

إن من أهم وسائل المنهج الإسلامي هي أوامر الله ونواهيه... فكل ما فرضه الله تعالى من عبادة، سواء كانت فعلية أو قولية فهي وسيلة تؤدي إلى غاية خلق العباد ويتوقف قبول هذه الوسائل على مدى الإخلاص فيها لله تعالى... وموافقة فعلها لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

مما سبق يتضح لنا معالم المنهج الإسلامي وملامحه... والتي تتبلور في أنه منهج كامل وشامل كما أنه منهج وسط يتفق مع الواقعية ويساير التطور ولا يتعارض مع مسلّمات الحياة على مر العصور بل تتفق معه كل العلوم النافعة والابتكارات الجديدة... فضلاً عن ذلك فإنه منهج روحاني فريد ينظّم السلوك ويهذب الأخلاق ويحافظ على كيان الإنسان في شخصه وأسرته ومجتمعه. كما ينظم علاقات البشر على أساس من الود والمحبة... قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

١ ـ المنهج الإسلامي منهج شامل:

ـ الشمول تعني باللغة الإحاطة بالشيء... والإسلام نظام شامل يتناول جميع جوانب الحياة... التشريعية... والسياسية والاجتماعية والاقتصادية... وينظم أسلوب المعيشة... ويصقل المفاهيم وحسن الخلق... كما يتناول كل العلاقات والنظم التي يعيش من خلالها البشر في جميع الأمصار والقرون... يقول الله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ٣٨: الأنعام... ويقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه «لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله».

فالشمولية خاصية من خصائص الشريعة الإسلامية تميزت بها عما سواها من الشرائع حتى استوعبت هذه الشمولية الأزمنة كافة وشملت آفاق الأمم ومجالات الحياة... يقول الأستاذ عبد الله الوشلي في كتابه النهج المبين «إن من تأمل هذه النصوص أدرك أنه ما من قضية من قضايا المكلفين إلا ولله فيها حكم سواء كانت من العقائد أو العبادات، أو مناهج الحياة في قضايا الدولة أو الوطن أو الأخلاق... أو القضاء، أو الاقتصاد، أو السياسة، أو القانون... إلى غير ذلك».

٢ ـ المنهج الإسلامي منهج وسط:

الوسطية من أهم مزايا المنهج الإسلامي... فالله عز وجل جعل أمة الإسلام أمة وسطاً قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) ١٤٣: البقرة... فالأمة الوسط هي التي تحرص على استغلال جميع طاقاتها وجهودها سواء الفردية أو الجماعية من غير إفراط أو تفريط... وهنا تظهر الوسطية في المنهج الإسلامي في مجالات عدة فهي تحقق التوازن بين الفرد والجماعة، وبين الدين والدنيا، وبين العقل والقوة... وبين المثالية والواقعية... وبين الروحانية والمادية... كما هو بين الحلال والحرام... وغيرها.

يقول الشيخ محمد عبده «لقد ظهر الإسلام لا روحياً مجرداً ولا جسدياً جامداً بل إنسانياً (وسطاً بين ذلك) يأخذ من كل بنصيب، فتوافرت له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوافر لغيره... ولذلك سمي دين الفطرة».

٣ ـ المنهج الإسلامي منهج عملي واقعي:

العمل والواقعية من صفات المنهج الإسلامي... فدائماً ما يحث الإسلام على العمل ويجازي الله العاملين خير الجزاء (فنعم أجر العاملين) ٧٤: الزمر... ويقول عز من قائل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) التوبة ١٠٥... لذا كان العمل من متطلبات العبادة... فالعبادة هي الوسيلة الأساسية في تحقيق هدف المنهج الإسلامي تقوم بالعمل الصادق الخالص لله عز وجل... يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل» ويبدأ العمل بإصلاح النفس في جميع الجوانب إلى فعل الخيرات في شتى صورها.

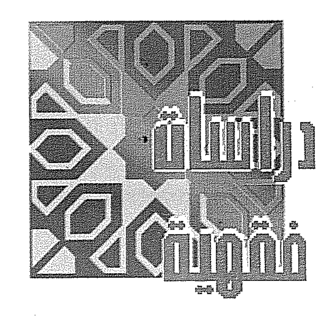
أما واقعية المنهج الإسلامي فهي تتضح في أن الإسلام لم يتجاهل الطبيعة البشرية في كون الإنسان تارة يتأثر بالنزعة الفردية التي يحقق فيها نزواته الفردية وإشباع رغباته والنزعة الجماعية التي ينذر نفسه وجهده كله للتضحية لصالح الآخرين وينسى نصيبه من الدنيا. فيجد المنهج الإسلامي الواقعية في الموازنة بين هاتين النزعتين... حتى يصبح المسلم واقعياً في عمله صحيحاً في ادائه متوازناً في تحقيق المصلحة الخاصة بما يتناسب مع المصالح العامة المفروضة عليه اتجاه اخوانه في الدين والعقيدة.

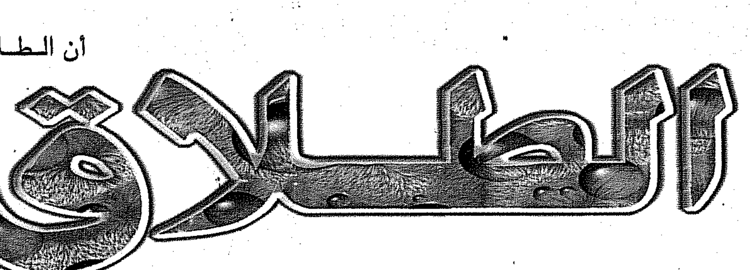
٤ ـ المنهج الإسلامي منهج التطور:

يقول الشيخ محمد عبده «هداية الدين هي الهداية الرابعة التي وهبها الله للإنسان بعد هداية الحواس والوجدان والعقل» فالدين لا يعني مخاصمة العقل وإنكار ما يقدمه من علوم وابتكارات... والإسلام لا يخالف كل ما يقدمه العقل في وضع صحيح وأسلوب علمي سليم بل إن الدين الإسلامي اثبت كثيراً من الحقائق العلمية المهمة والتي لم تكتشف إلا بعد قرون عدة من ذكرها في القرآن... وعلى ذلك نجد أن المنهج الإسلامي منهج متطور في جميع العصور والأزمنة ومعايش لها في كل ما أخرجت من تطورات ومستجدات على عكس الدين المسيحي الذي يتسم بالجمود والوقوف على النصوص... مما حدا رجال الفكر الاجنبي بالمطالبة بفصله عن السياسة حينما شعروا بهذا الجمود المتراكم الذي أعاق طموحاتهم العصرية.

٥ ـ المنهج الإسلامي منهج سلوكي خلقي:

يؤصل المنهج الإسلامي التحلي بالاخلاق الكريمة وتقويم السلوك البشري فقد جعل الله تبارك وتعالى تغيير شئون الأمم وفقاً لتغيير أخلاقها فقال (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) الرعد: ١١... وكذلك وصف القرآن رسول الله بحسن الخلق فقال تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) ٤: القلم... وحسن الخلق صفة من صفات المسلم الصادق... يؤدي بها رسالته في الدنيا من خلال تعامله مع نفسه وأسرته ومجتمعه والناس أجمعين... وترتقي به إلى الجنة فيكون جاراً لنبي الهدى كما قال عليه الصلاة والسلام «أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً».





من قضايا الطلاق في الفقه الإسلامي

بقلم: أ.د. محمد الدسوقي

الأمر الذي لاخلاف عليه بين جمهور الفقهاء أن عقد الزواج يقوم في الأصل على التنجيز والتأبيد، ومن ثم كان التوقيت فيه مفسداً له، وكانت العلاقة الزوجية ممتدة بين الزوجين إلى وفاة أحدهما أو كليهما، ولكن الإسلام وهو دين الفطرة والحياة يعالج المشكلات الإنسانية من منظور واقعي، ولهذا راعى ما قد يعتري الإنسان من تقلبات نفسية، ومعنوية، وقدّر ما قد يجدّ بين الزوجين من خلافات لا يمكن للحياة الزوجية معها أن تستقر أو تستمر، ولذا لم يكن أصل التأبيد في ذلك العقد مانعاً دون انتهائه إذا حالت ظروف دون بقائه على الوجه الذي يحقق رسالة الزواج ومهمة الأسرة في المجتمع.

والأصل في انتهاء عقد الزواج أو انحلاله أن يكون بالطلاق وهو يعرف بحل العصمة المنعقدة بين الزوجين، أو رفع قيد النكاح في الحال أو في المآل بلفظ مشتق من مادة الطلاق أو في معناها.

والمراد برفع قيد النكاح رفع أحكامه وعدم استمراره، لأن عقد النكاح بعد وقوعه لايمكن رفعه.

ورفع القيد في الحال يكون بالطلاق البائن، وأما رفعه في المآل فسبيله الطلاق الرجعي، وقد جعل الله أمر الطلاق بأيدي الأزواج، وملكهم إياه دون الزوجات (١)، فقال (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) البقرة: ٢٣٢، وقال: (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) البقرة - ٢٣٧.

ويلاحظ على ما ورد في الكتاب والسنة حول أحكام الطلاق وقضاياه أنه جاء مقروناً بالأمر بتقوى الله ومراعاة حدوده، وعدم تجاوزها، وهذا بعض خصائص منهج الإسلام في تقرير الأحكام، فكل التشريعات في هذا المنهج لم تتقرر في صيغة جافة مجردة من معاني الترغيب والترهيب، كما هو الشأن في القوانين الوضعية، وإنما وردت في صيغة تخاطب العقل والقلب، وتجمع بين الحكم وثمرته، ومن هنا تطاع هذه التشريعات بوازع الضمير قبل وازع السلطان.

كذلك يلاحظ أنه لم يرد في القرآن الكريم أو في كتب السنة أمر الطلاق، وإنما هو الحديث عنه، وما ينبغي أن يكون عليه، وهذا يومئ إلى أن الطلاق في التشريع الإسلامي لايباح إلا عند الضرورة، ومن ثم كان أبغض الحلال عند الله.

ومع هذا اختلف الفقهاء في الأصل في مشروعية الطلاق، فبعضهم يرى أن الأصل فيها المنع حتى توجد حاجة أو ضرورة، لقوله تعالى: (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً) (النساء: ٣٤)، أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها، فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها، ومن باب أولى ليس له طلاقها دون حاجة، فالطلاق دون حجة بَغْيٌ عليها وظلمٌ لها، واتخاذه سبيلاً للفراق الظالم حمق، وجحود بنعمة الزواج.

وجاء ختام الآية تهديداً للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فلا يجوز أن يستعلي الرجل على امرأته، فالله بالمرصاد، وهو العلي الكبير ينتقم ممن ظلم وبغى.(٢)

وروى أبو داود أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما أحل الله شيئاً أبغض من الطلاق» كما روي أنه قال: «لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات».

ومن الفقهاء من يذهب إلى أن الأصل في مشروعية الطلاق الإباحة، ويحتج بقوله تعالى: (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) البقرة: ٢٣٦.

ونفي الجناح معناه نفي الإثم، وذلك يقتضي الإباحة، كذلك يحتجون بأن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كانوا يطلقون ولا يسألون عن وجه الحاجة.(٣)

والراجح أن الأصل في مشروعية الطلاق الحظر، وأن الإباحة مقيدة بالضرورة، والدليل على ذلك أن الطلاق علق بإذا الشرطية في قوله تعالى: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) الطلاق - ١، وفي هذا إشارة إلى أن الطلاق خلاف الأصل في العلاقة الزوجية، فالزواج أبدي لازم.

وإذا كان كل عقد لا يصح أن ينفرد أحد العاقدين بإنهائه، فإن عقد الزواج أجيز للحاجة أن يستقل الزوج بإنهائه، فإذا لم تكن ثمة حاجة كان المنع من الطلاق هو الأصل.

وما استدل به القائلون بغير ذلك يرد عليه بأن نفي الجناح في الآية منصبٌ على الطلاق قبل التسمية والدخول، فالقيد هو الملاحظ، لأن نفي شيء مقيد بقيد يكون القيد ملاحظاً في النفي.

أما طلاق أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يمكن أن يكون لغير حاجة، والحاجة التي يُباح لها الطلاق هي الحاجة النفسية ونحوها مما لا يقع تحت سلطان القضاء.(٤)

وما دام الأصل في تشريع الطلاق هو الحظر، فإنه لايقع شرعاً ـ مع وجود الحاجة إليه ـ إلا إذا كان ترجمة مادية عما يعزم عليه الإنسان، فإن ظل مجرد هاجس أو حديث نفسي دون تعبير عنه، فإنه لا يعتد به، وفي هذا يروى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إن الله تجاوز لأمتي عما لم تتكلم به، أو تعمل به، وبما حدثت به أنفسها»(٥).

وإذا كان بعض الفقهاء قد ذهب إلى أن من عزم على الطلاق وقع طلاقه لفظ به أو لم يلفظ(٦)، فإن هذا رأي لا يعوّل عليه ولا يؤخذ به، لمخالفته للنص والعقل.

ويشمل التعبير المادي عما يعزم عليه الزوج في مفارقة زوجته ألفاظ الطلاق وصيغته، أو ما يحل محلها كالإشارة والكتابة وذلك عند العجز عن الكلام.

ويقتضي الحديث عن ذلك التعبير المادي بشقيه أن أعرض في هذه الكلمة لألفاظ الطلاق، وأتناول في كلمة أخرى ـ إن شاء الله ـ الكلام عن الصيغة.

ألفاظ الطلاق

قسّم الفقهاء اللفظ الذي يدل على حل عقدة النكاح قسمين: صريحاً وكناية(٧)، ويقصد بالصريح كل لفظ لايستعمل في العرف إلا للتفريق بين الزوجين، عربياً كان هذا اللفظ أو غير عربي، وهو في العربية لدى الإمامين: الشافعي وأحمد ثلاثة: الطلاق والفراق والسراح، وما تصرف منها، فهذه الألفاظ وردت في القرآن الكريم بمعنى الفرقة بين الزوجين، وقال بعض أهل الظاهر: لا يقع طلاق إلا بهذه الثلاث.(٨)

وذهب الإمامان: أبو حنيفة، ومالك إلى أن صريح الطلاق هو لفظ الطلاق فقط، وما سوى ذلك كناية.(٩)

ورجّح ابن قدامة(١٠) أن صريح الطلاق هو لفظ الطلاق وحده وما تصرف فيه، لأن دلالة هذا اللفظ على حل عقدة النكاح دلالة وضعية بالشرع، فصار أصلاً في هذا الباب.

وأما ألفاظ الفراق والسراح فهي مترددة بين أن تدل بعرف الشرع على المعنى الذي يدل عليه الطلاق، أو هي باقية على دلالتها اللغوية فإذا استعملت في معنى الطلاق كانت مجازاً.(١١)

ويقوم مقام اللفظ الصريح الكتابة المستبينة إذا كانت برسم الزوجة «أي بعنوانها» بأن يكتب إليها الزوج كتاباً يتضمن عبارة موجهة إلى زوجته مضيفاً فيها الطلاق إليها، فهذه الكتابة يكون الطلاق بها صريحاً.

كذلك يقوم مقام اللفظ الصريح إشارة الأخرس الدالة على الطلاق بشرط ألا تحتمل سواه في عرفه الذي يعلمه المتصلون به، فإن هذه الإشارة أقصى ما يمكنه أداء المعنى بها، فتعتبر بالنسبة له كاللفظ الصريح للقادر عليه.(١٢)

وأما الكناية في ألفاظ الطلاق تشمل كل لفظ يحتمل الطلاق وغيره، ولم يقصره العرف على الطلاق.

وكما اختلف الفقهاء في تحديد اللفظ الصريح في الطلاق اختلفوا أكثر في بيان ألفاظ الكناية ومنهم من ذهب إلى تقسيمها أقساماً عدة بحسب الخفاء والظهور، وما تحتمله من الطلاق والتبعيد، أو السب والشتم، أو يكون الطلاق بها بائناً أو رجعياً، وهي كلها لا تعبّر عن واقع في التطبيق بقدر ما تعبّر عن نظر افتراضي، وتأثر أحياناً بالعرف اللغوي.

وألفاظ الكناية لايمكن حصرها في عدد معين، ومما ذكره الفقهاء منها: أنت بائن وحرام وخلية وبريئة وبتة، وأمرك بيدك، واعتدّي، وخليت سبيلك، ولا سبيل لي عليك، وأنت حرّة، واخرجي والحقي بأهلك ونحو ذلك.(١٣)

فقول الزوج لزوجته: أنت بائن يحتمل بينونة النكاح، ويحتمل بينونة عن الخير والشر، وقوله: حرام يحتمل حرمة الاستمتاع، ويحتمل حرمة الأكل والبيع ونحو ذلك، وقوله: خلية، مأخوذة من الخلو، فيحتمل الخلو عن الزوج والنكاح، ويحتمل الخلو عن الخير والشر، وقوله: بريئة من البراءة، فيحتمل البراءة من النكاح، ويحتمل البراءة من الخير والشر، وقوله: بتة من البت وهو القطع، فيحتمل القطع عن النكاح، ويحتمل القطع عن الخير والشر، وقوله: أمرك بيدك، يحتمل الطلاق، ويحتمل أمراً آخر من الخروج والانتقال، وما إلى ذلك، وقوله: اعتدّي، أمر بالاعتداد، فهو يحتمل الاعتداد الذي هو من العدة، ويحتمل الاعتداد الذي هو من العدَد، أي اعتدي نعمتي التي أنعمت عليك.

وقوله: خليت سبيلك يحتمل سبيل النكاح، ويحتمل سبيل الخروج من البيت لزيارة الأبوين أو لأمر آخر، وقوله: لا سبيل لي عليك يحتمل سبيل النكاح، ويحتمل سبيل البيع، ونحو ذلك، وقوله: أنت حرة يحتمل الخلوص عن ملك النكاح، ويحتمل الخلوص عن ملك اليمين، وقوله: اخرجي أو الحقي بأهلك، يحتمل الطلاق، لأنها إذا طلقت من زوجها تقوم وتخرج من بيته وتلحق بأهلها، وتذهب حيث تشاء، ويحتمل الانتقال والانطلاق إلى بيت أبويها للزيارة.(١٤)

ويعد من الكناية، الكتابة غير المرسومة، وهي التي لم توجه إلى المرأة، ولو كان المكتوب صريحاً، إذ يحتمل أن يُراد بها تجربة قلم أو تحسين خط.(١٥)

حكم الطلاق باللفظ الصريح والكناية:

يذهب جمهور(١٦) الفقهاء إلى أن من تكلم بلفظ الطلاق الصريح قصداً، وأضافه إلى المرأة، وفاهماً معناه فهماً صحيحاً، فإن طلاقه يقع سواء نوى به الطلاق أو لم ينو، فصريح الطلاق لا يحتاج إلى نية، اللهم إلا إذا دلت قرائن تصرف هذا اللفظ عن معناه، كمن قال

بحضرة امرأته: أنت طالق، حاكياً طلاق غيره، أو مقرراً بعض مسائل الطلاق العلمية، أو قارئاً لها من كتاب، فإن هذا الطلاق لايعتد به.(١٧)

وأما غير الصريح من الألفاظ فلا يقع الطلاق بها إلا بنية كما يرى المالكية والشافعية، أو بدلالة الحال أو النية، إذ لم تدل قرينة على أن الزوج يريد الطلاق كما يرى الحنفية وبعض الحنابلة، فإن دل الحال على إرادة الطلاق كمن قال لزوجته: أنت بائن بعد سؤالها الطلاق وقع، وإن لم يدل الحال رجع إلى نية الزوج، ولكن الشافعية والمالكية لايعتدون بدلالة الحال، ويقصرون الطلاق بألفاظ الكناية على النية، وهذا ما أخذت به بعض قوانين الأسرة المعاصرة.(١٨)

ولايعترف الظاهرية بتقسيم ألفاظ الطلاق إلى صريح وكناية، ويرفضون أن يقع الطلاق بألفاظ الكناية دون نظر إلى النية وعدمها.(١٩)

وحديث الفقهاء عن ألفاظ الطلاق وتقسيمها إلى صريح وكناية، وأن الصريح يقع به الطلاق دون نية على حين أن لفظ الكناية لا يقع الطلاق به إلا بالنية أو بدلالة الحال على اختلاف بين الفقهاء، كما ذكرت آنفاً - يفتح مجالاً للأخذ والرد حوله للأسباب التالية:

أولاً: إن الشريعة التي أباحت الطلاق عند الضرورة لم تحدد لفظاً معيناً له، فلم يرد في الكتاب أو السنة أن الرجل إذا رغب في تطليق زوجته لمسوغ شرعي أن يقول لها لفظاً أو صيغة خاصة، وكل ما جاء في النص الشرعي حديث عن الطلاق ومراحله وآثاره، وفي هذا يقول ابن القيم: والله سبحانه ذكر الطلاق، ولم يعين له لفظاً، فعلم أنه رد الناس إلى ما يتعارفونه طلاقاً، فأي لفظ جرى عرفهم به وقع به الطلاق مع النية، والألفاظ لا تراد لعينها، بل للدلالة على مقاصد لافظها، فإذا تكلم بلفظ دال على معنى، وقصد به ذلك المعنى ترتب عليه حكمه، ولهذا يقع الطلاق من العجمي والتركي والهندي، بألسنتهم، بل لو طلق أحدهم بصريح الطلاق بالعربية ولم يفهم معناه لم يقع به شيء قطعاً، فإنه تكلم بما لا يفهم معناه ولا قصده.(٢٠)

ثانياً: ومادامت الشريعة قد ردت الناس في ألفاظ الطلاق إلى ما يتعارفونه طلاقاً، فإن ما اشتملت عليه كتب الفقه من ألفاظ وبخاصة ألفاظ الكناية يعبر عما كان في عصر الفقهاء مما كان متداولاً بين الناس، فهو من ثم يمثل مرحلة تاريخية من حيث العرف اللغوي، فذلك التقسيم أي تقسيم الألفاظ إلى صريح وكناية، وإن كان صحيحاً في أصل الوضع يختلف باختلاف الأشخاص والأزمنة والأمكنة، فليس حكماً ثابتاً للفظ لذاته، فرب لفظ صريح عند قوم كناية عند آخرين، أو صريح في زمان أو مكان كناية في غير ذلك الزمان والمكان.(٢١)

وقد دعا الفقهاء والأصوليون إلى مراعاة العرف اللغوي في استنباط الحكام وأكدوا أن من خالف هذا العرف لا تصح فتواه، وأن من يأخذ بما هو مسطور في الكتب دون أن يقف على العرف يخطئ فيما يقول به، جاء في أصول(٢٢) السرخسي في «كتاب الأيمان»: الأيمان مبنية على العرف والعادة، فما تعارف الناس الحلف به يكون يميناً، وما لم يتعارف الحلف به لا يكون يميناً، ولهذا قال محمد بن الحسن الشيباني - رحمه الله - في قوله: وأمانة الله، إنه يمين، ثم سئل عن معناه، فقال: لا أدري، فكأنه قال: وجد العرب يحلفون بأمانة الله عادة فجعله يميناً».

وقال القرافي في كتابه «الأحكام» عند كلامه في الأحكام التي مدركها العرف والعادة: الحكم الثالث: ما وقع في المدوّنة إذا قال الرجل لامرأته: أنت عليّ حرام أو خلية أو برية أو وهبتك لأهلك يلزم الطلاق الثلاث إذا كان مدخولاً بها، وهذا بناء على أن اللفظ في عرف الاستعمال اشتهر في إزالة العصمة، واشتهر في العدد الذي هو الثلاث... ثم قال: فأنت تعلم لا تجد الناس يستعملون هذه الصيغ المتقدمة في ذلك، بل تمضي الأعمار ولا يسمع أحد يقول لامرأته إذا أراد تطليقها: أنت خلية، أو وهبتك لأهلك، ولا تستعمل هذه الألفاظ في إزالة العصمة ولا في عدد الطلقات، فالعرف حينئذ في هذه الألفاظ منفي قطعاً، وإذا انتفى العرف لم يبق إلا اللغة، ولم توضع هذه الألفاظ لغة لهذه المعاني التي قررها مالك في المدونة، وإذا لم تغد هذه الألفاظ لغة ولا عرفاً لهذه المعاني، فهذه الأحكام حينئذ بلا مستند، والفتوى بغير مستند باطلة شرعاً، نعم لفظ الحرام في عرفنا اليوم لإزالة العصمة، دون عددها، وهي مشتهرة في ذلك.(٢٣)

ثالثاً: إن من يطلّق لا يعرف فرقاً بين صريح وكناية، وإنما يعرف هذا الفرق من درس اللغة وأدبها وبلاغتها، أما عامة الناس فيطلقون بما يشيع في مجتمعهم أو بيئاتهم من ألفاظ وعبارات، ولو سألت واحداً منهم عن المدلول اللغوي لما نطق به، فإنه لا يستطيع أن يجيبك إجابة سديدة، وكل ما يعرفه أنه أراد تطليق زوجته بما صدر عنه.

ويتضح بعد بيان هذه الأسباب أن ما ذهب إليه الجمهور من أن صريح الطلاق يقع دون نية، وأن الكناية في الطلاق لابد فيها من نية حتى يقع الطلاق، لا ينهض على أساس صحيح، وأن تقسيم ألفاظ الطلاق إلى صريح وكناية غير مسلم، وأن الطلاق يقع بكل لفظ يعبّر عن إرادة الزوج في مفارقة زوجته، وأن الشريعة السمحة لم تحدد لفظاً معيناً للطلاق، وأن المرجع فيما يقع به الطلاق من ألفاظ العرف.

إن الحديث النبوي الشريف: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» (٢٤) يرد القول الذي يذهب إلى أن الطلاق بصريح اللفظ يقع دون نية، فالأعمال إذا خلت من النية لم يكن لها في الشرع اعتبار(٢٥)، يقول ابن رشد الجد: وقد وقع في كتاب التنجيز والتمليك من المدونة ما ظاهره أن الطلاق يلزم باللفظ دون النية، وهو خلاف المنصوص فيه وفي غيره، وبعيد في المعنى، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إنما الأعمال بالنيات(٢٦)».

وقد أورد ابن القيم في أعلام(٢٧) الموقعين قصة المرأة التي تحايلت على زوجها ليطلق عليها اسم «خلية» فلما صدر منه هذا اللفظ قالت له: لقد طُلّقت منك، وذهب الرجل والمرأة إلى عمر بن

الخطاب، ولما عرف حقيقة ما جرى بين الزوجين قال للزوج: خذ بيد امرأتك وأوجع رأسها، وعلق ابن القيم على هذا بقوله: وهذا هو الفقه الحي الذي يدخل على القلوب بغير استئذان، وإن تلفظ بصريح الطلاق، ثم قال أيضاً: ولا يجوز أن يفرق بين المسلم وامرأته بلفظ لم يوضع للطلاق ولا نواه.

فالنية إذاً شرط لوقوع الطلاق دون نظر إلى صريح أو كناية من الألفاظ، فمن يطلق بأي لفظ ولا نية له في طلاق زوجته فهو مسيء، بيد أن طلاقه لا يقع، ولذلك كان طلاق الهازل والجاهل والمخطئ والسكران لا يعتد به ولا يقع في أصح الآراء أو الراجح منها.(٢٨)

والخلاصة: إن تقسيم ألفاظ الطلاق إلى صريح وكناية غير مسلم، ولا ينبغي الحديث عن هذه الألفاظ كقسم من أقسام الطلاق، وإن الشريعة السمحة لم تحدد لفظاً معيناً للطلاق، وردّت الناس إلى ما تعارفوا عليه من الألفاظ، وأنه لا يقع الطلاق بغير نية، وإن ما ينوب عن الكلام في التطليق يقصر عن الحاجة، ولا يجوز التوسع فيه. ■

الهوامش

١ ـ انظر: المقدمات الممهدات لابن رشد الجد ج١/٤٩٧ ط. دار الغرب الإسلامي.

٢ ـ انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ج٤ ص٤٧ ط قطر.

٣ ـ انظر: الأحوال الشخصية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٨٤ ط. دار الكتاب العربي القاهرة.

٤ ـ انظر: محمد أبو زهرة، المرجع السابق.

٥ ـ رواه البخاري.

٦ ـ انظر: مواهب الجليل من أدلة خليل للشيخ أحمد الشنقيطي ج٣ ص ١٥٩ ط: قطر، ونيل الأوطار للشوكاني ج٧ ص ٣٤ ط: بيروت.

٧ ـ انظر المغني ج٧ ص ١٢١ ط: القاهرة.

٨ ـ انظر: مغني المحتاج للخطيب الشربيني ج٣ ص ٢٨٠ ط: القاهرة وبداية المجتهد لابن رشد الحفيد ج٢ ص ٦١ ط: القاهرة.

٩ ـ انظر: بدائع الصنائع للكاساني ج٣ ص ٩٣ القاهرة.

١٠ ـ انظر: المغني ج٧ ص ٣١٩.

١١ انظر: بداية المجتهد ج٢ ص ٦٢.

١٢ ـ انظر: محمد أبو زهرة ص ٣٤٥ مرجع سابق.

١٣ ـ انظر بدائع الصنائع ج٣ ص ٩٣.

١٤ ـ انظر: المصدر السابق ص ١٠٥.

١٥ ـ انظر: الفرقة بين الزوجين للشيخ علي حسب الله ص ٤٥ ط: القاهرة.

١٦ ـ انظر: المغني ج٧/١٢٣ وبدائع الصنائع ٣/١٠١ وبداية المجتهد ج٢ ص ٧٥، ومواهب الجليل من أدلة خليل ج٣ ص ١٥٣.

١٧ ـ انظر: الفرقة بين الزوجين ص ٤٥.

١٨ ـ انظر: محمد أبو زهرة ص ٢٩٦ مرجع سابق، وأحكام الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية للشيخ عمر عبدالله ص ٤٣١ ط: دار المعارف بالقاهرة.

١٩ ـ انظر: المحلى لابن حزم ج١١ ص ٤٩٦.

٢٠ ـ انظر: زاد المعاد ج٤ ط: القاهرة.

٢١ ـ انظر: المصدر السابق ص ٨١.

٢٢ ـ المصدر السابق ج١ ص ١٧٢، ط: دار الكتاب العربي، القاهرة.

٢٣ ـ نقلاً عن كتاب أحكام الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية ص ٤٣٠، هامش.

٢٤ ـ رواه الإمام مسلم.

٢٥ ـ انظر: الأمنية في إدارك النية للقرافي، تحقيق الدكتور عبدالله صلاح ص ٥ ط: الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس.

٢٦ ـ انظر: المقدمات الممهدات ج١ ص ٤٩٨.

٢٧ ـ ج٣ ص ٧٦ ـ ٧٧ بتحقيق الشيخ محيي الدين عبدالحميد.

٢٨ ـ الهازل هو من يتكلم فاهماً لما يتكلم به، غير أنه لا يقصد حقيقته لهواً ولعباً، وقد اختلف الفقهاء في وقوع طلاقه، فذهب الجمهور إلى أن طلاقه يقع، وحجة الجمهور فيما ذهب إليه أحاديث عدة رواها الشوكاني في نيل الأوطار، منها ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة.

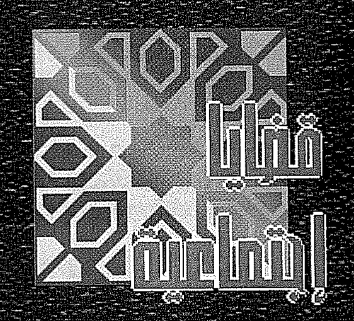
ويرى بعض الفقهاء أن طلاق الهازل لا يقع، ومنهم مالك وهو قول في مذهب أحمد، إذ يشترط هؤلاء لوقوع الطلاق عدم الإكراه، والنطق اللساني مع العلم بمعناه وإرادة مقتضاه، فإذا انتفت النية اعتبر اليمين لغواً.

وأما الأحاديث التي استدل بها الجمهور فقد اعترض عليها بأن في سند بعضها من هو مختلف فيه، أو منكر الحديث وفي سند البعض الآخر انقطاع (انظر: نيل الأوطار ج٧ ص٢٠).

وأما الجاهل والمخطئ فلا يقع طلاقهما لعدم القصد أو العزم، وهذا رأي الجمهور، وذهب الأحناف إلى أن من تلفظ بالطلاق غافلاً أو مخطئاً فطلاقه واقع (انظر بدائع الصنائع ج٣ ص ١٠٠).

وذهب الشافعي إلى أن المكره لايلزمه شيء، وقال أبو حنيفة: طلاق المكره يلزم (وانظر الأشباه والنظائر لابن النجيم ص ٢٤).

وأما السكران فقد قال فيه الشوكاني: إن السكران الذي لا يعقل لا حكم لطلاقه، لعدم المناط التي تدور عليه الأحكام، وقد عين الشارع عقوبته، فليس لنا أن نجاوزها برأينا، ونقول: يقع طلاقه، عقوبة له، فيجمع له بين غرمين (انظر نيل الأوطار ج٧ ص ٢٤).



الإدمان.. وظاهرة انحراف الشباب

بقلم: د. إبراهيم طالب عيسى

(ياأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين. إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) البقرة/١٦٨و١٦٩.

هذا النداء الإلهي من الخالق العظيم محذراً الناس جميعاً من مغبة اتباع عدونا الأبدي إبليس عليه لعنة الله. فالشيطان حينما يدخل الى النفس البشرية لايأخذها مرة واحدة لكن يستدرجها على خطوات، خطوة.. فخطوة. كما أوضح ذلك النداء الإلهي في ذلك التعبير الرقيق للبشر جميعا.. ثم لايلبث المتتبع لخطوات الشيطان أن يجد نفسه في النهاية وقد سقط في الهاوية التي لامنجاة منها إلا بإذن الله.

والمتتبع لخطوات الشيطان يبتعد تدريجياً عن الطريق المستقيم فلايرى في النهاية غير الحسرة والندامة. ومن هنا أيضا كان النداء الإلهي الأزلي للبشر جميعا: (ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) يس/٦٠و٦١.

والمخدرات ماهي إلا أحدى وسائل الشيطان لاستدارج النفس البشرية. فالسائر في هذا الطريق المظلم يمر بخطوات عدة أو مراحل تبدأ بالتجربة والتقليد مروراً بمرحلة التعود إلى أن يسقط المتعاطي في المرحلة الأخيرة وهي فخ الإدمان.

تبدأ المرحلة الأولى بحثا عن متعة كاذبة أو للتجربة أو تشبهاً بالجماعة أو الصحبة وهي المرحلة الأولى لتأثير المخدرات.

وعندما يصل المتعاطي إلى درجة التعود وهي الحال التي يتكون فيها شوق لتعاطي المخدرات. وهذا الشوق ليس من ورائه قوة مكرهة.

وخصائص التعود هي:

١-استمرار استعمال المخدر والرغبة في تناوله لما يسببه من شعور بالراحة.

٢-عدم تناول جرعات زائدة.

٣-يحدث قدراً معينا من الاعتماد النفسي ولايحدث اعتماداً عضوياً.

٤-أضرار المخدر عكسية على المتعاطي ولايضار منها المجتمع.

وعندما يفشل المتعاطي في الحصول على الأثر نفسه بعد تكرار التعاطي يضطر الى اللجوء لجرعات أكبر فأكبر لكي يحصل على هذه الحال. وإذا أصبح التعاطي بصورة منتظمة متكررة فيعمل ذلك على اضطراب الجسم عند انقطاع تعاطي العقار وذلك هو الإدمان.

فالإدمان حسب تعريف هيئة الصحة العالمية (WOH) في سنة ١٩٧٣م هو: الحال النفسية أو العضوية التي تنتج من تفاعل العقار في جسم الكائن الحي.

وقد يعرف الإدمان أيضا على أنه حال تسمم مزمنة ناتجة من الاستعمال المتكرر للمخدر. ومن علامات الإدمان أنماط سلوكية واستجابات مختلفة تشمل دائماً الرغبة الملحة في تعاطي العقار بصورة متصلة أو غير متصلة «دورية» للشعور بآثاره النفسية أو لملاقاة الآثار المقلقة نتيجة لعدم توافره. وقد يدمن المتعاطي أكثر من مادة واحدة.

خصائص الإدمان

١- الإلحاح والرغبة في الاستمرار على تعاطي المخدر والحصول عليه بأي وسيلة، والحاجة هنا مكرهة للمتعاطي في الحصول على المخدر بجميع الطرق والوسائل.

٢-الرغبة في زيادة الجرعات.

٣-الاعتماد النفسي والعضوي على المخدر. أي الخضوع والتبعية النفسية والعضوية لمفعول المخدر.

٤-ظهور أعراض نفسية وجسمية عند الامتناع المفاجئ أو الانقطاع الفوري عن المخدر «ردود النقص».

٥-الآثار الناجمة الضارة والمؤذية على الفرد والمجتمع.

والآن سوف أتعرض لأنماط مختلفة من الإدمان وتأثيراتها الضارة على جميع أجهزة الجسم حتى تكون منها على حذر وهي: البانغو- الخمور- التدخين.

الإدمان حال تسمم مزمنة ناتجة من الاستعمال المتكرر للمخدر

أولا: البانغو

هو مخدر قديم جديد أصبح نجم نجوم «الكيف» الآن يظهر على شكل وريقات جافة تخلط مع التبغ وتدخل في لفائف. وهو نبات وحيد الجنس في الزراعة،تنمو الذكور بعيداً عن الإناث، وتطرح الإناث من شجيراته نسباً كبيرة منه. ويُعد من فصيلة نبات القنب الهندي الذي يستخرج منه الحشيش. وينمو بكثرة في فصل الصيف ويحتاج الى خليط من التربة الطينية والصفراء. تشبه بذوره حبات القمح. ويزرع في المناطق الحارة وينسب مياه عادية، ويحصد بمجرد ارتفاع الشجرة الى ستة أمتار وزيادة لمعانها، وهو نبات وردي ومزهر. يزرع بكميات كبيرة في المناطق البعيدة عن العمران. ومتعدمو الضمير يزرعونه فوق أسطح المنازل. يعد من أرخص أنواع المخدرات وأخطرها ولذلك يسهل ترويجه لدرجة أنه انتشر بين الأطفال، والمواد الفعالة التي يحويها مثل مادة «الكابيونز» تصيب الإنسان بمجموعة من الأمراض والأعراض «ايفوريا» يشعر الشخص بالسعادة الكاذبة والزائفة وعندما يتوقف عن التعاطي يعود الإحساس بالرغبة في ذلك الشعور فيلجأ للتعاطي بكميات زائدة. وكلما زادت حدة التسمم زادت فرص حدوث الوفاة.

تأثيرات البانغو على المدى البعيد

الجهاز الهضمي

- تدمير خلايا الكبد.
- يقلل الشهية ويقلل امتصاص الأطعمة.
- يؤثر على فاعلية الأدوية التي يتعاطاها المدمن لعلاج أمراض معينة مثل الربو والاكتئاب والسكر فلا يفيد من هذه الأدوية.

الجهاز الدوري

- يرفع ضغط الدم ويزيد ضربات القلب وسرعتها

إلى حد الإصابة بالأزمة القلبية التي غالبا ماتؤدي إلى الوفاة.

الجهاز التنفسي:

- وسيلة ممتازة لنقل عدوى مرض السل والالتهاب الرئوي.
- وسيلة خصبة لإحداث مايسمى بمرض المياه على الرئة «انفريما» ويسبب الربو فيؤدي إلى تفتت الشعيبات الهوائية فينتج عنها حدوث التهابات مزمنة تؤدي إلى الوفاة.

الجهاز التناسلي:

- يؤثر على هرمون الذكورة فيؤدي إلى العقم.
- إذا استخدم في سن مبكرة يحدث تدميراً في تكوين الأعضاء التناسلية للإنسان.
- مدمنوا الحشيش والبانغو لديهم استعداد للإصابة بالسرطان بنسبة ٢ : ١.
- اذا تعاطاه الأب في حضور الأم الحامل يؤثر على وزن الجنين، وإذا تعاطاه الأب بشراهة أثناء حمل الأم فكثيرا مايؤدي إلى الإجهاض.

الجهاز العصبي:

- تدمير الخلايا العصبية.
- إذا تم التعاطي ولو لمرة واحدة فقد يصاب بمرض الفصام والأزمات السمعية والبصرية. وتبدأ هذه الأمراض بعد أسبوعين أو شهر أو أكثر.. وقد تحدث حالات صرع وجنون..!

ومن المعروف أن خلايا الجهاز العصبي والمخ تفرز مواد تُسمى «الأندورفينات» وهي عبارة عن أفيونات طبيعية وجودها أساسي لكي يصبح الإنسان في حال نفسية ومزاجية وسلوكية طبيعية. وأظهرت الدراسات أيضا أنها تفرز عن طريق خلايا الجهاز المناعي بنسب قد تزيد عما تفرزه خلايا الجهاز العصبي. ولذلك فإن ادمان الأفيون والكوكايين والمواد المخدرة يثبط ويمنع الإفراز الداخلي لهذه المواد والأفيونات الطبيعية التي يفرزها الجسم اعتماداً على مايأتي من الخارج، وبالتالي فإن المدمن عندما يتوقف عن إدمانه فإنه يصاب بأعراض الانسحاب المرضية -التي تكون نتيجة طبيعية لنقص الأندروفينات الحادة من الجسم، ولذلك فإن هذه المخدرات تؤثر على جهاز المناعة وتثبطه أيضا ولايكون تأثيرها على خلايا المخ والأعصاب فقط.

المخدرات تؤثر على جهاز المناعة وتثبطه ولايكون تأثيرها على خلايا المخ والأعصاب

ثانيا: الخمور

لوحظ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين إدمان الخمر والإصابة ببعض الأورام الخبيثة كسرطان تجويف الفم وسرطان اللسان وسرطان المرىء وسرطان المعدة، كما يؤدي أيضا إلى حدوث سرطان الكبد في المرضى المصابين بالتشمع الكبدي، ويزيد التدخين من فرص إصابة المدمنين على شرب الخمور بالأورام الخبيثة، وقد حذرنا القرآن الكريم من ذلك وأمرنا باجتناب الخمور منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان بقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) المائدة/ ٩٠. فتبارك الله رب العالمين!

ثالثا: التدخين

أثبتت الدراسات الحديثة وجود ارتباط وثيق بين الاصابة بأورام خبيثة في الرئة والحنجرة وتجويف الفم واللسان والبلعوم والمرىء والإدمان على التدخين كمالوحظ أن التدخين هو المسؤول عن حدوث مابين ٢٥ ٪ إلى ٣٠ ٪ من مجموع حالات السرطان في الرجال ومابين ٥٪ إلى ١٠٪ من مجموع حالات السرطان في النساء.

واحتراق سيجارة واحدة ينتج عنه ٤ آلاف مركب ضار مثل مادة 3.4 Benspyaime التي تؤدي الى الإصابة بسرطان الرئة فالتدخين يؤدي إلى تغيرات مزمنة في الأغشية المخاطية للجهاز التنفسي والشعب الهوائية فيفقد قدرته الدفاعية ويصبح عرضة للالتهابات المزمنة مثل الربو الشعبي والأزمات الربوية.

كما يؤثر النيكوتين- الموجود في التدخين- على الجهاز العصبي والجهاز الدوري والقلب فيعمل على ارتفاع ضغط الدم وهبوط القلب. كما يؤدي التدخين إلى برود الأطراف نتيجة انقباض الأوعية الدموية وانخفاض تدفق الدم.

كما لوحظ أن تدخين السيدات الحوامل والمرضعات يؤدي الى الإصابة بالربو لدى الأطفال. كما يؤدي إلى نقص وزن المولود لأنه يعاني قبل أن يولد من نقص الأكسجين لأن النيكوتين يعمل على انقباض الأوعية الدموية التي تصل إلى المشيمة فتقل

الكفاءة الحيوية للمولود. كما تتأثر أسنان المولود فتكون الأسنان اللبنية ضعيفة وكذلك الأسنان الدائمة. حيث إن بعض تيجان هذه الأسنان تتكون أثناء الشهر الخامس للحمل.

وطفل الأم المدخنة يتأثر أكثر من غيره بسرطان الدم والغدد اللمفاوية وأورام المخ لأن عوادم السيجارة تتحد مع الحمض النووي فيحدث طفرات تؤثر على المدى البعيد.

كما يؤثر التدخين على الأنسجة تحت الجلد ويصاب الجلد بالتجاعيد فيؤدي إلى الشيخوخة المبكرة «تكون في المدخن خمسة أضعاف غير المدخن». كما أن انقباض أوعية الجلد - بسبب النيكوتين - يؤدي إلى عدم تغذية الجلد فيتأخر التئام الجروح نتيجة انخفاض الأكسجين بالأنسجة كما يؤدي التدخين إلى الاصابة بسرطان الجلد.

كما أن المعدة تتأثر أيضا بالتدخين فقد وجد أن هناك ارتباطا كبيرا بين الإصابة بقرحة المعدة والتدخين التي مالبث أن تتحول فيما بعد إلى قرحة خبيثة (سرطان المعدة)!

والآن بعد ذكرنا أنماطا مختلفة من الإدمان وآثارها المدمرة على الفرد والمجتمع فلابد من وقفة جادة للقضاء على ذلك الخطر الذي يهدد المجتمع الإسلامي. وقد تعرضت مجلة «الوعي الإسلامي» الغراء في عددي رمضان وشوال ١٤١٨هـ لهذا الموضوع المهم في ندوتها عن ظاهرة انحراف الشباب. فلابد من تعاون جميع الهيئات الاجتماعية مع بعضها بعضاً للقضاء على المخدرات ونوجز ذلك في الخطوات التالية:

أولاً: مراقبة جميع الهيئات الأمنية المسؤولة عن المجتمع كوزارة الداخلية جميع الأبنية وأماكن الزراعات والطرق والموانىء وأوكار المخدرات.

ثانيا: التوعية الصحية والإعلامية عن طريق المذياع والتلفاز والجرائد وعدم عرض الأفلام والتمثيليات التي تبث روح الاستهتار والتي تجعل من مطرب أو ممثل يؤدي دور المستهتر قدوة للناس. والعمل على بث القيم والمبادىء في النفوس واستغلال دور ومراكز الشباب في هذه التوعية وكيفية ملء الفراغ فيما يفيد.

ثالثا: التوعية الدينية. وتتمثل في أسلوب الدعوة

طفل الأم المدخنة يتأثر أكثر من غيره بسرطان الدم والغدد اللمفاوية وأورام المخ

وعدم المبالغة في التخويف والتهديد حتى تزرع الثقة في النفس والتذكير بآيات الله تعالى بعدم إلقاء النفس إلى التهلكة، والمحافظة على المال وعدم التبذير، وخشية الله في السر والعلن، وتجنب الخمر وكل ماحرم الله، والتذكير بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يتخذ كقاعدة فقهية عامة «لاضرر ولاضرار».

رابعاً: مسؤولية البيئات الاجتماعية وتتمثل في الأسرة ودورها في الرقابة داخل المنزل وخارجه واختيار الرفاق ومراقبة سلوكياتهم والاتصال المستمر بين المدرسة والمنزل، وكذلك متابعة الأجهزة الحكومية والمترددين عليها.

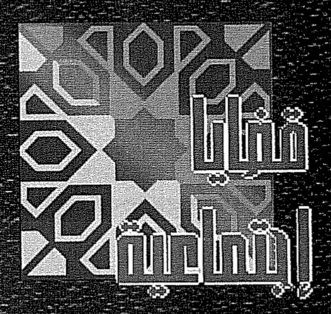
خامساً: متابعة الهيئات القضائية لقضايا المخدرات وتنفيذ الأحكام هذا ولابد من معالجة المدمنين في المراكز المتخصصة للعلاج، وبحث كل شيء عن المريض والدافع إلى الإدمان وتهيئة الاستقرار النفسي والاجتماعي والصحي، ولابد أن نجعل من المريض مشاركة إيجابية لمراقبة نفسه وإعطاء تقارير عنها وذلك لبناء إرادته من جديد عن طريق إنسان يحبه ويثق فيه، وتسهيل اجازات علاج المدمن إذا كان طالباً أو موظفاً في الدولة وعدم الاستهانة بكرامة هؤلاء المرضى حتى يكون المريض مستعداً لتلقي العلاج. ويجب أن تكون تكاليف العلاج بسيطة ومتناسبة مع دخل المواطن، ومجانا لغير القادرين فلابد إذن في كل مركز متخصص لعلاج الادمان من وجود الاختصاصي الاجتماعي والنفسي والطبيب ورجل الدين حتى يتكاتف الجميع في إعادة بناء الشخصية السوية والمحافظة على أبناء الأمة الإسلامية. ■

المصادر

١- CECIL : GENERAI INTERNAI MEDICINE

٢- كتاب الإدمان إعداد: د.عبد المجيد سيد أحمد منصور - سلسلة كتب مكافحة الجريمة - وزارة الداخلية - المملكة العربية السعودية - الكتاب الخامس

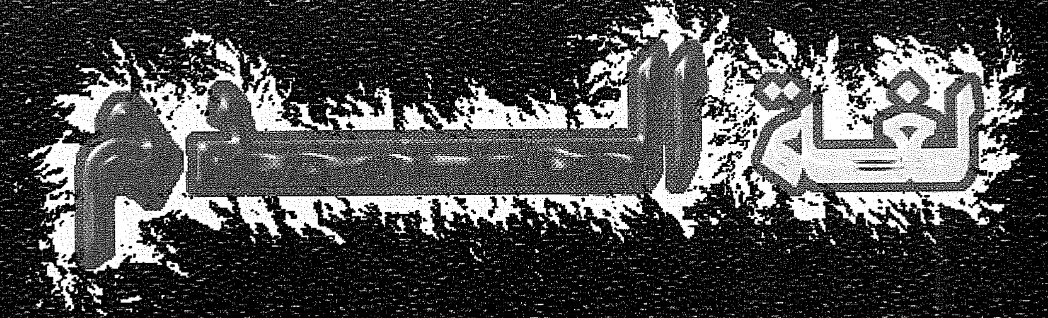
٣- مجلة طبيبك الخاص «المصرية» عددا نوفمبر وديسمبر ١٩٩٦م.







عبدالباقي يوسف



عندما يلجأ أي إنسان في العالم إلى عالم المخدرات، فإنه يبين لنفسه أولاً وللآخرين - سواء الذين يتعامل معهم أو الذين خفي عنهم سلوكه المنحرف - بأنه خرج عن واقعه وأعلن عجزه الكامل في المشاركة الفعلية للحياة وانهيار الإرادة لديه وهذه قضية بالغة الخطورة لدى الإنسان، إذ تجر معها الانسلاخ الكلي عن الأسرة والأقرباء والمجتمع فيبقى متقوقعاً في دائرة مغلقة، فوضعه الجديد يرغم عليه هذه العزلة المميتة فتراه يتنازل عن كل شيء في القيم والمبادئ والأموال والشرف والعقيدة في سبيل البقاء في العالم المظلم البعيد كل البعد عن واقع الحياة الحقيقية، الحياة - التي تعني الكفاح والتفوق والعمل والشرف والأخلاق والنزاهة والحب والعلاقات الإنسانية والروابط الاجتماعية... إنه يدرك تماماً الوضع الذي آل إليه... يدرك تماماً وضعه السيئ، لذلك عندما يخرج من عالم السواد يقع في عالم النواح وتعذيب الضمير والكآبة، عندما يرى اجتهاد الآخرين وكفاحهم من أجل أسرهم ومجتمعهم وأخلاقهم وعفتهم ينهار أمام تلك اللوحات الإنسانية البهيمية، كثيراً ما نتعرض لنماذج مدمنة على المخدرات في كتبنا سواء الروائية أو القصصية أو الأفلام السينمائية أو التمثيليات والمسلسلات التلفزيونية وبالنسبة لتجربتي الأدبية أستعين بالواقع لمثل هذه النماذج، فالخيال يصلح لمعظم المواضيع باستثناء هذه القضية التي ينبغي أن تكون صورة شبه فوتوغرافية عن الواقع الحقيقي للشخص، ولذلك فشخصياتي التي قدمتها في كتبي هي نفسها التي تمشي في الواقع الذي أراه واعتقد بأنني استطعت إلى درجة ما في تقديم تحليلي ووجهة نظري عن هذه القضية المربكة، وكان اللقاء

بشخص مدمن يبهرني سواء في مصحة أو أي مكان حكومي أو على المستوى الشخصي، فكنت أغوص في أعماقه لساعات طويلة وأحاول التعرف على عالمه المظلم وعلى تفاصيل حياته، وبكل أسف فإن الإنسان المدمن على المخدرات هو شخص غير موثوق به مادام يواصل التعاطي فمن الممكن أن يسرق بسهولة وأن يتنازل عن أخلاقه وأن يكون شاذاً جنسياً، فهو يجمع النقيض في داخله «الشيزوفيرنيا» فمن الممكن أن يكون لبضعة أيام «سيكوباتياً» ولبعضة أيام «سادياً» ولأيام أخرى «مازوشياً»، إنه يعيش في عالم من الهذيان والتناقضات المرضية.

نماذج متنوعة في عالم الإدمان

بطبيعة لحال، فإن أي شخص عندما يخطو الخطوة الأولى باتجاه هذا العالم المظلم يدرك تماماً النتائج السلبية على مختلف الأصعدة النفسية والجسمية والروحية والأخلاقية والاجتماعية وهو لا ينقاد إلى ذاك العالم مرغماً، فلايوجد قانون أو نظام في الكون يعاقب على تعاطي المخدرات، بل يلجأ الشخص بمحض إرادته الفردية مثلما يتحمل هو نفسه جميع العواقب الوخيمة ورغم ذلك فهو يدرك بأنه يلجأ إلى كل هذه السلبيات فتراه حزيناً غير ضاحك، وللعلم فهو يدرك في حقيقته بأنه يهرب من الحياة وليس كما يتصور البعض بأنه يبحث عن مزيد من المتع والرفاهية من خلال الكوكائيين أو الهيروين أو الأفيون أو الماريغوانا أو الحشيش إلى آخر القائمة، وليس الغرض تعداد الأسماء مادامت النتائج متقاربة، على الأغلب فهو يهرب من حقيقته، ويهرب من الواقع بدل أن يتصدى له ويعالجه فهو شخص هارب أولاً وأخيراً، ومن يهرب من الواقع يستعد للهروب من أي شيء آخر... أنا هنا ومن خلال لقاءاتي العميقة ومحاوراتي الدائمة ومتابعتي الدؤوبة أرى أن التعاطي ليس متعة ولا بحثاً عن متعة ولا يمكن له أن يقدم متعة حقيقية، بل هو إعلان الإفلاس الكامل تجاه التعامل مع تفاصيل الحياة اليومية.

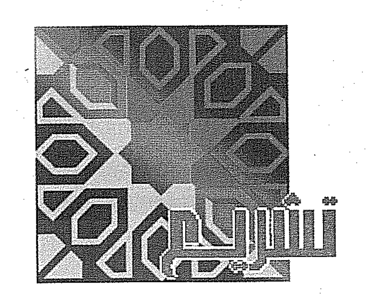
فالمتعة الحقيقية التي يدركها الجميع هي في مداعبة أطفالنا الصغار بعد العودة من العمل والجد والجلوس أمام التلفاز مساء وربما بشرب كأس من الشاي الساخن في ليلة شتاء باردة أو بارتداء ثوب جديد أو بتناول طعام لذيذ أو بإجازة سفر أو بالزواج ممن نحب أو بالحصول على امتيازات ومكافآت ودرجات تثبت تفوقنا في الحياة والعمل أو بما يكنه الآخرون لنا من احترام ومحبة ولذلك عندما يضحك المدمن يتذكر في الوقت نفسه بأنه خسر كل تلك الأشياء والتفاصيل الممتعة فيكون ضحكه على شكل نحيب، ويكون صوته على شكل اختناق وكذلك حتى صمته يكون شبيهاً بصمت المقابر وفي عالم المدمنين نعثر على نماذج عدة مما ذكرنا، قد نعثر على شخص توهم بأن التعاطي يحقق متعة وهو شخص سعيد في حياته وناجح في عمله فينزلق وعندما يكتشف الحقيقة يعلن عن ذلك ويسلم أمره للأطباء على أن ينقذوه من الإدمان فيكون قد خسر سنة أو سنتين من حياته وتاب نهائياً بعد أن تعلم درساً لن ينساه ومنهم من يدخل عالم الإدمان لطمع في نفسه فيحاول أن يكون تاجراً فرهياً ببيع الكميات الصغيرة على مستوى المنطقة أو الناحية، وقد تحول إلى مدمن ولأقل وخزة يلجأ إلى المخدر.

وكلمة أخيرة في النهاية أوصي بها:

علينا أن ندرك جيداً أن المخدرات لا يمكن لها أن تشفي من أي مرض ولا يمكن لها أن تساعد على مجابهة الظروف، فالمخدرات هي في حقيقتها ولدت لتأخذ لا لتعطي، تأخذ الصحة والمال والعقل والأخلاق ولا تعطي غير الهذيان والجنون والفصام، وفي بعض المراحل المتطورة تؤدي إلى الانتحار وارتكاب الجرائم البشعة، وتاريخ الإدمان تاريخ مشبوه أسود غير مشرف مليء بالضحايا والخسارات والأسر في السجون والجرائم ودماء الأبرياء والفشل والهوس والأمراض المرعبة، إن المخدرات هي لغة الدم. ■

تعاطي المخدرات هو اعلان الافلاس الكامل تجاه التعامل مع تفاصيل الحياة اليومية





البيولوجيا الجزيئية وتجاذب الخلود الإنساني

دكتور: رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان

من حقوق المسلمين في المعمورة، أياً كانت أجناسهم، أن يتم تزويدهم بما تسجله العلوم التجريبية المعاصرة... إنه عالم شديد الاتصال كثيف المعلومات... في كل يوم نسمع ونرى ونقرأ، مستجدات علمية... وهنا يقع على عاتق علماء المسلمين ضرورة ملاحقة أي إنتاج علمي يصنعه العلماء التجريبيون في تخصصاتهم المتنوعة... بتنوع الأقسام والفروع العلمية المنتمية إليها... أياً كان نوع المادة المعروضة.

نقول: إن إسلامية المعارف المستحدثة.... فرض واجب يتحمله الاجتهاد الإسلامي المعاصر..... وهي تبعة لا عزوف فيها ولا تهاون كما أمرنا المعصوم صلى الله عليه وسلم.....

إن العلم يرفض أن يتوقف.... وعلماء الغرب - وتلك حقيقة - قد امتلكوا زمام القياد المعرفي العلمي تجريبياً وتقنياً، مستخدمين فيه جميع عناصر التكنولوجيا الحديثة... ويكفي ما أثارته قضايا الاستنساخ الجيني والتحكم في درجات النمو والتحويل الجنسي، من تساؤلات شرعية حول هذه القدرات العلمية التي خرج بها الغرب علينا.

والقضية التي حبذنا إلقاء الضوء عليها... الآن.... هي أحدث القضايا العلمية التي تثيرها تكنولوجيا الجينات.

إنهم ينشدون الخلود الإنساني ..... ووسيلتهم في ذلك التحكم الجيني في آلية تقدم الطور الإنساني إلى مرحلة الشيخوخة....؟!

فما الذي هم عليه مُقدمون وما موقف الشريعة مما يفعلون؟!

تخليد الإنسان ووسائل البيولوجيا الجزيئية

البيولوجيا الجزيئية فرع لعلم حديث La Biologie Moléculaire، ويمكن تسميته كذلك علم الأحياء الجزيئي... وصلة هذا العلم صلة وثيقة بما تقدمه وسائط العلوم التجريبية الإحيائية.... من أهم أقسام هذا العلم دراسة الدورة الإحيائية لمخلوقات الطبيعة Cycle Biologique .... ولرواد هذا العلم دراسات وأبحاث... ما يهمنا - في محور دراستنا - أساليب بحوثهم في مواد قياس الحياة ولها تسميتان علميتان Biométrie ou Biométrique... إنه تخصص علمي يدور حول: «حسبان الديمومة المحتملة للحياة البشرية»(١).

والمسجل علمياً هو تطوير التقنية الحديثة للعلاج بالجينات Gene therapy والمدخل قطعاً هو مدخل طبي ينشد استئصال الأمراض الخبيثة، من خلال تعقب الجين أو الجينات التي تسببه.(٢)

فطبقاً لأصول علم الوراثة إن الخصائص الجسدية للإنسان تحمل نحو مئة ألف جين والجينات مقاطع من الـ DNA تعمل كحاسوب بيولوجي يصدر أوامره للخلايا المكونة للجسد وهي لا تحصى ولا تعد، فتبني البروتينات والأنزيمات اللازمة للجسد والحفاظ عليه... ويعزى للجينات تحديد لون الشعر والعين والجلد وجميع الخصائص التكوينية لجسم الإنسان... إن مرضاً مثل السرطان وأمراض القلب المتزنة وغيرها... قطعاً له مدخل جيني، وبقدر النجاح العلمي في كشف ذلك الجين الذي يدخل منه المرض... بقدر ما يتوفر للعلماء وسيلة إيقاف مسببات المرض وانتشاره.

في غمرة تحقيق تلك الإنجازات الطبية العظيمة... اهتم علماء البيولوجيا الجزيئية بالجين الذي يبني انزيم الشيخوخة وسماه: التيلوميريز Telomerase مما يعد فتحاً علمياً بتقديم وسائط تقوض، ليس فقط الأمراض السرطانية بل جميع أمراض الشيخوخة.

يُجرى تقويض الأمراض السرطانية بإيقاف جين الشيخوخة عن بناء وإنتاج إنزيم التيلوميريز، فتهرم خلايا السرطان وتموت ... إنه علاج جيني قوي يصيب جميع أنواع السرطانات.

وبالتدخل الجيني - طبقاً لأحدث رؤية علمية - يمكن بالنسبة للخلايا البشرية غير المصابة بالسرطان، أن تحفظ عند حد مُعين فلا تشيخ .... وتصبح أمراض الشيخوخة في ذمة التاريخ.

وفي أمريكا تقرر العالمة جرايدر أنه يوجد حوالي ٣٠ أو ٤٠ مختبراً تجرى فيها أبحاث التيلوميرزات.

يرى الدكتور ميكائيل فوسيل M. Fossel وغيره من العلماء أن انزيم التيلوميريز يضفي صفة الخلود على الخلية «الخلية الجرثومية» بأن يعيد بناء التيلوميرازت، فيمنع الخلية بذلك من أن تشيخ، فإذا أوقفنا جين التيلوميريز عن إنتاج هذا الإنزيم، فستهرم خلايا السرطان وتموت، وهذا ينسحب على كل أنواع السرطانات، ليجعله أقوى العلاجات الجينية.... لكن الأكثر إثارة هو أن فوسيل وغيره، يعتقدون أننا إذا استطعنا أن نستغل هذا الجين في الخلايا البشرية غير السرطانية فسنمنعها من أن تشيخ، ومن ثم نمنع الأمراض المرتبطة بالشيخوخة، مثل تصلب الشرايين والزهايمر والفصال

العظمي وترهف العظام».

تلك النظرية العلمية المختصة بأبحاث التيلوميريز تمتد بجذورها إلى دراسات العالم واطسون j. Watson وهو مكتشف تركيب الـ DNA الذي مُنح على أثر دراساته المتخصصة وأبحاثه العلمية جائزة نوبل العالمية العام ١٩٦٢ في الفسيولوجيا والطب.... وهي أبحاث تنشد فك الشفرة الوراثية للإنسان... من أجل الإحاطة بشبكة الجينات التي يتكون منها الكيان الجسدي البشري.

وهكذا فقد صار الجينيون التيلوميريزيون هم أمل البشرية في امتداد عمر الإنسان، نعم سيوقفون عملية الشيخوخة في البشر؟.... هكذا يزعمون؟... وكان هذا الموضوع محور حديث العلماء المطورين للبيولوجيا الجزيئية في أغسطس العام ١٩٩٦م داخل قاعة مختبر كولا سبرنج هاربور بنيويورك.

إذن فقد وجد العلماء مخرجاً للإنسان من مصيره المحتوم؟.... هكذا يزعم التيلوميريزيون... فمن خلال أبحاث المستقبل سيصلون إلى إيقاف سير الطور المتتالي للبنية الإنسانية، فلا تحيق الشيخوخة به، لتعطيل الآليات الجينية المؤدية إلى ظهور بوادرها المرضية....؟!

الخلود الإنساني في العلوم الشرعية

«الخُلْد» دوام البقاء وبابه خلد و «أخلده» الله «وخلده تخليداً»(٣).

(أخلد) فلان: أسنَّ ولم يشب، ودار الخلد: الجنة.... «المخلد» من الرجال: الذي أبطأ عنه المشيب.(٤)يقول تبارك وتعالى في محكم آياته: (قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا. لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعداً مسؤولاً) الفرقان: ١٥ ـ ١٦... ويقول جل شأنه: (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالِدَين فيها وذلك جزاء الظالمين) الحشر ـ ١٧.

إذاً الخلود حقيقة شرعية، وميراث قادم واقع لا محالة، وميقاته يبدأ بالبعث بعد الموت والفناء البدني للجسد الإنساني، يقول الحق (وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) الأنعام/٧٣.

هذا الخلود هو المنتهى إليه مآل الإنسان، فإما أن يكون مستقره ناراً تلظى أو جنة عرضها السماوات والأرض... وسيجزى الإنسان الجزاء الأوفى، فإما أن يكون في صحبة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وإما أن يقاسم إبليس اللعين العذاب المهين....

والأبدية منظومة لكل فريق... مخلد فيما أوى إليه، فأنصار الشيطان هم معه يقول الجبار تبارك وتعالى: (وجوه يومئذ خاشعة. عاملة ناصبة. تصلى ناراً حامية. تسقى من عين آنية. ليس لهم طعام إلا من ضريع. لا يسمن ولا يغني من جوع) الغاشية/٢:٧، والأحياء في زمرة المعصوم صلى الله عليه وسلم في النعيم، يقول الحق: (وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية. في جنة عالية. لا تسمع فيها لاغية. فيها عين جارية. فيها سرر مرفوعة. وأكواب موضوعة. ونمارق مصفوفة. وزرابي مبثوثة) الغاشية/٨:١٦.

الفناء قدر محتوم، يقول رب العالمين: (فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) يونس/ ٢٤، والموت قادم لا مناص، يقول الباقي: (كل نفس ذائقة الموت) آل عمران/ ١٨٥، له اليد الطولى فلا بقاء حتى لأحسن الخلق أجمعين، يقول المتعال: (إنك ميت وإنهم ميتون) الزمر/٣٠.

والبعث حق، يقول الرحمن: (إنه على رجعه لقادر) الطارق/٨، وقوله سبحانه (أيحسب الإنسان ألَّن نجمع عظامه. بلى قادرين على أن نسوي بنانه) القيامة/ ٣ و٤، فإذا صدر الأمر بالبعث، تصديقاً لذكره (وإذا القبور بعثرت) الانفطار/٤، جُمع الجمع لتبدأ من هنا... من هذه اللحظة فقط الحياة الأبدية، يقول الرحيم: (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) الكهف/٩٩، لتجرى المحاكمات الإلهية، فيساق كل بحسب ما اطلع به من أعمال في دنياه، وكذب من قال فيهم الحق تبارك وتعالى: (إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) الصافات/٥٩.

التتالي الزمني والعمر الإنساني

(الزمن)، (الزمان) اسم لقليل الوقت وكثيره وجمعه (أزمان) و (أزمنة) و(أَزْمُن)، يقال: «أزمن» بالمكان: أقام عليه زمناً و الشيء طال عليه الزمن.... و(الزمن) مدة الدنيا كلها.

إنه تبارك وتعالى جلت قدرته نظم الوجود طور بعد طور، يقول المعصوم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ «كان الله عز وجل على العرش، وكان قبل كل شيء، وكتب في اللوح كل شيء يكون»(٥)، عن ابن عباس (٦) قال: «أول ما خلق الله تعالى القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، فخلقت منه السماوات، ثم خلق النون، فبسطت الأرض على ظهر النون، فتحرك النون، فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض... وقرأ (ن والقلم وما يسطرون) القلم/١.

والمتكبر الجبار سبحانه يقول: (الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام) الفرقان/٥٩، يذكر الطبري(٧): «وأمر الله عز وجل إذا أراد شيئاً أن يكونه أنفذ وأمضى من أن يوصف بأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، مقدارهن ستة آلاف عام من أعوام الدنيا، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له، كن فيكون، وذلك كما قال ربنا تبارك وتعالى: (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) القمر/٥٠.

بدأ خلق المتعال.... بالزمن... يقول الطبري(٨)، ما خلق من الأشياء قبل خلق الأوقات والأزمنة، وإن الأوقات والأزمنة إنما هي ساعات الليل والنهار، وإن ذلك إنما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك.

وفي الزمن، يسير الوجود بنظمه جل شأنه، موجود ثم يتلوه موجود، فبعزته وجلاله يضبط لمخلوقاته مسيراتها الزمنية.... وكل موجود هو موقوت إلا وجهه الكريم... إنه الزمن آلية إلهية منبثقة من حركة هذا الكون المنظوم في حركة دائبة، يقول رب العرش (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يس/٤٠.

والإنسان ـ ذلك الموجود المؤقت ـ أخضعه المتعال لنظام فطري، يقول سبحانه: (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) الروم/٣٠، مؤدى هذه الفطرة أن الإنسان مسير سيرة متتالية

التكوين... مرتبطة غير منفصلة عن عبور الوقت والزمن، والوقت غير موقوف، يحدث آثاره في كل طور من أطواره المقدرة له، يقول رب العزة: «فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) الحج/٥).

عمَّر آدم - عليه السلام - ألف عام ... عن سعيد ذكر - في قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الأعراف/١٧٢... أخرج ذريته من ظهره في صورة كهيئة الذر، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم، قال: فعرض عليه روح داود في نور ساطع، فقال: من هذا؟ قال: هذا من ذريتك، نبي خلقته، قال: كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: زيدوه من عمري أربعين سنة، قال: والأقلام رطبة تجري، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعون، وكان عمر آدم ألف سنة، فلما استكملها إلا الأربعين سنة بعث إليه ملك الموت قال: يا آدم أمرت أن أقبضك، قال: ألم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: فرجع ملك الموت إلى ربه عز وجل، فقال: إن آدم يدعي من عمره أربعين سنة، قال: اخبر آدم أنه جعلها لابنه داود، والأقلام رطبة، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعين»(٩).

قدر تبارك وتعالى لآدم عمراً يمتد ألف سنة ... أنفذ الله له طلبه بإنقاصها أربعين سنة أضيفت لولده داود - عليهما السلام - فلما أمضى زمن العمر فبلغ ما هو أدنى من الألف بأربعين.... فبصره البصير سبحانه بما سلف ... تلك هي التوجيهات الغريزية المخصوص بها الإنسان، إنها غريزة حب البقاء، والموت يخشاه بنو آدم سنتهم في ذلك سنة أبيهم ... هكذا فطروا على ذلك إنهم يتهيبون الموت، يريدون الفكاك منه ... وما هم بقادرين.

خص تبارك نوح عليه السلام - بطول العمر ... ذكر الطبري ما قاله ابن حميد قال عن غيره: وعُمر نوح - فيما يزعم أهل التوراه - بعد أن أهبط من الفلك ثلاثمئة سنة وثمان وأربعون سنة، قال: فكان جميع عمر نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم قبضه الله عز وجل إليه(١٠).

إيقاف الزمن

إنهم يتمنون ذلك ... ويعلمون أنهم ميتون، وسيلحقون أسلافهم ... نعم هم متأكدون من عودتهم إلى التراب والفناء ومآلهم ... ولما كانت الأبدية والخلود وَهْمٌ شديد ... يواجه فكرهم العنيد ... فإن اغتنام طول الأجل - على الأقل - مطلب منشود، وإن كان موقوتاً، إلا أن امتداد العمر أمل للشيخ عندهم قبل الوليد، أخبرنا عنهم الحق عظم ذكره: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) البقرة/٩٦.

يقول القرطبي(١١): والضمير في أحدهم يعود في هذا القول على اليهود، وقيل: إن الكلام تم في حياة، ثم استؤنف الإخبار عن طائفة من المشركين، قيل: هم المجوس، وذلك بين في أدعياتهم للعاطس بلغاتهم بما معناه «عش ألف سنة»، وخص الألف بالذكر لأنها نهاية العقد في الحساب، وذهب الحسن إلى أن الذين أشركوا هم مشركو العرب، خصوا بذلك لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فهم يتمنون طول العمر، وأصل سنة سنهة، وقيل: سنوة، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى لتجدنهم وطائفة من المشركين احرص الناس على الحياة.

وهل يملك أن يوقف الزمن إلا خالق هذا الزمن؟!

نعم وقد تحقق ذلك... حققه بقدرته.... وهناك قصص موثوق بذكره الحكيم... نكتفي بقصتين أوقف فيهما رب الزمان زمانه آية للعالمين:

أهل الكهف

يقول الجبار جل وتكبر: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً. إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً. فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً. ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً. نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ولن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً. وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً. وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً. إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً. وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً. سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً) الكهف/٩:٢٢.

في تفسير ابن كثير(١٢): يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه فهربوا منهم فلجأوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، ألقى الله عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف فناموا سنين كثيرة، ثم بعثهم من رقدتهم تلك... إنهم كانوا فتية شباباً ألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم فآمنوا بربهم معترفين له بالوحدانية، مخالفين ملة قومهم عبدة الأصنام والطواغيت يذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يُقال له دقيانوس، توافق هؤلاء المؤمنون كلهم على كلمة واحدة فصاروا يداً واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فباشر سلطانه عليهم بالتهديد والوعيد وكانوا قد دعوه للإيمان فطغى فهربوا إلى الكهف فأووا إليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم ولم يظفر بهم الملك فقد أعماه الله.

والمأوى كهف مهيئ حافظ لأبدانهم، تدخل فيه الشمس في تسع مداخل منه بحيث لا تصيبهم إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم، قال هذا ابن عباس: حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم.

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلى فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها، قال بعض السلف يقلبون في العام مرتين قال ابن عباس لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض، وكلبهم رابض على الباب كما جرت عادة الكلاب، وقد ألقى الله عليهم مهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم لما ألبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد، ولا تمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم لما له في ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة.

يقول تعالى كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبصارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهيأتهم شيئاً وذلك بعد ثلاثمئة وتسع سنين، ولهذا تساءلوا فيما بينهم كم رقدتم «قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم»، لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار واستيقاظهم كان في آخر نهار ولذا استدركوا فقالوا: (أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم)، وطلبوا الطعام فبذل المال الذي كان معهم لأحدهم ليحضر القوت، مع استشعاره الحذر كي لا يدركهم الملك، لم ير الرسول شيئاً من معالم البلد التي يعرفها ولا يعرف أحداً من أهلها لا خواصها ولا عوامها، فجعل يتحير في نفسه ويقول لعل بي جنوناً أو مساً أو أنا حالم ويقول: والله ما بي شيء من ذلك وإن عهدي بهذه البلد عشية أمس على غير هذه الصفة، ثم قال: إن تعجيل الخروج من ههنا لأولى لي، ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه ما معه وسأله أن يبيعه الطعام فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولون بينهم يقولون لعل هذا وجد كنزاً فسألوه عن أمره من أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز وممن أنت؟ فجعل يقول أنا من أهل هذه البلدة وعهدي بها عشية أمس وفيها دقيانوس فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى ولي أمرهم فسأله عن شأنه وخبره حتى أخبرهم بأمره وهو متحير في حاله وما هو فيه فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف - ملك البلد وأهلها - حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم دعوني حتى أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي فدخل، ويقال سلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلماً فيما قيل واسمه تندوسيس ففرحوا به وآنسوه الكلام ثم ودعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل.

زمن يتحكم فيه خالقه.... الميقات المنظوم سائر سيرته الطبيعية يوم بعد يوم وشهر بعد شهر وسنة وراء سنة وعقد يتلوه عقد وقرن فيعقبه قرن... ليمر عليهم ثلاثة قرون وهم نائمون أحياء مرزوقين نعمة التنفس والبقاء، يتقلبون يمنة ويسرة، حفظهم الله فلم يحدث فيهم الزمن تأثيره في أعمارهم، فهم كما هم بأبدانهم التي ناموا بها بكامل خصائصها.... لم يصلوا إلى أرذل العمر طبقاً للناموس الفطري المسير لحلقات عمر الإنسان فهم شباب كما هم.... أوقف المتكبر الجبار الزمن وتأثيره فيهم، فخرجوا على قوم جدد عبرة للعالمين وآية للمتقين، ثم أماتهم الله.

الإسراء والمعراج

يقول رب السموات والأرض: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الإسراء/١.

ويقول جل شأنه: (والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وماطغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى) النجم/١:١٨.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: لما كان ليلة أسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يقال له باب محمد - صلى الله عليه وسلم - أتى إلى الحجر الذي ثمه فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟ فقال «نعم» فقال فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة، فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن عليَّ السلام فقلت «من أنتن» فقلن نحن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا، وأقاموا فلم يظعنوا، وخلدوا فلم يموتوا، قال ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم، فلما انصرفت قال جبريل يا محمد أتدري من صلى خلفك؟ قال قلت: «لا» قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل، قال ثم أخذ بيدي جبريل فصعد بي إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب استفتح فقالوا من أنت؟ قال أنا جبريل، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم، قال ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك، قال فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم فقال لي جبريل يا محمد ألا تسلم على أبيك آدم؟ قال قلت بلى فأتيته فسلمت عليه فرد عليَّ وقال مرحباً بابني الصالح والنبي الصالح(١٣)، ويشير حديث أنس - رضي الله عنه - أنه ...... ثم عُرج بالحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء الثانية وفيها عيسى ابن مريم ويحيى عليهما السلام، وفي الثالثة يوسف عليه السلام، وفي الرابعة إدريس عليه السلام، وفي الخامسة هارون عليه السلام، وفي السادسة موسى عليه السلام، وفي السابعة إبراهيم عليه السلام.... وفي الحديث: ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى بي إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير أخضر أنعم طير.

رحلة عظيمة ذكر فيها ما ذكر بألسنة الطاهرين رضوان الله عليهم أجمعين فيها تقررت الصلوات الخمس.... وفيها رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم نور ربه..... وفي رواية أنس عن أبي ذر، سُئل الحبيب - صلى الله عليه وسلم - هل رأيت ربك قال: «نوراً أنى أراه»(١٤)....

نعم وهناك سمع - صلى الله عليه وسلم - صريف الأقلام... انطلق - صلى الله عليه وسلم - حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا يدريها صلى الله عليه وسلم.(١٥)

وقال أبو جعفر الرازي: لما أسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - انتهى إلى السدرة فقيل له إن هذه السدرة، فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر.... وفي حديث آخر: قال - صلى الله عليه وسلم - «رأيت يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله عز وجل»(١٦).

يقول ابن كثير(١٧) ثم اختلف الناس هل كان الإسراء ببدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط، على قولين فالأكثرون من العلماء أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا مناماً، ولا ينكرون أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه يقظة لأنه كان - عليه السلام - لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح والدليل على هذا قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال (أسرى بعبده) وقد قال تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس).

وعن المدة الزمنية التي قضاها المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في رحلته ... كانت ليلة... عن عروة عن عائشة قالت لما أسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوه أو روحه.(١٨)

قالت العرب المسلمون الأوائل هذا.... ولم يكن بعد لديهم علم بالسنين الضوئية التي يسبرها المسافر عبر نجمين فقط من منظومة النجوم التي يتكون منها جزء يسير من أجزاء السماء الأول... وإن كان للإنسان وسائله في السفر بين النجوم فضلاً عن الآلة العظمى يلزمه ملايين السنين.... وهل يقدر على ذلك ومتوسط عمره الآن ستون عاماً.

إن رفيق الرحلة كان جبريل - عليه السلام - خصه القادر بإمكانات عبور وسفر، فكان له ستمئة جناح سد طرف من أجنحته شرق الأرض ومغربها.... صحب جبريل عليه السلام سيد ولد آدم - صلى الله عليه وسلم - فأراه من آيات ربه الكبرى.... كل هذا حدث في ليلة واحدة حسم رب العالمين ما آراه لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ومكنه منه في بضع ساعات معدودات في دنيانا في حين أن زمن طويل ودهر ماله نهاية.... نعم قوض تبارك وتعالى الزمن وأوقف عجلته ليُري المعصوم - صلوات الله وسلامه عليه - قدراً من علوم الغيب. ■

الهوامش ومصادر الدراسة

١ - المهل، قاموس فرنسي - عربي، للدكتور جبور عبدالنور، والدكتور سهيل إدريس، دار العلم للملايين، بيروت، دار الآداب، ابحث في مادة : Bimétallisme ص ١١٨.

٢ - على نحو خاص ... يراجع : بحث بعنوان «وقف سير الزمان - ربما» بقلم جون هاندز ترجمة د. أحمد مستجير، منشور بمجلة الثقافة العالمية العدد رقم ٨٠ يناير ١٩٩١م ص ١٣: ١٨.

العنوان الأصلي للمقال : Holding Back the years (maybe) المصدر : (independent on sunday, 20 oct, 1996.

ولمزيد من التفصيلات : يراجع للدكتور أحمد مستجير «الشفرة الوراثية للإنسان»، عالم المعرفة، العدد ٢١٧، كذلك مشاركة مع هاني رزق في بحث بعنوان «اتجاهات في علم الوراثة البشري» مجلة العلوم المجد ١٣ العدد الأول يناير ١٩٩٧م، وعبدالباسط الجمل «الهندسة الوراثية ومصير الإنسان» الهيئة العامة لتصور الثقافة، مكتبة الشباب العدد: ٥١.

١ - مختار الصحاح لعبدالقادر الرازي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٢م ط٩، ص ١٨٤.

٤ - المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٠٦.

٥ - محمد بن جرير الطبري «تاريخ الطبري - تاريخ الأمم والملوك»، مكتبة التراث الإسلامي، ج١، فقرة٦٠ ص ٦١.

٦ - الطبري ج١، فقرة ٨٩ ص ٧١.

٧ - الطبري ج١ فقرة ١٠٣ ص ٧٩.

٨ - الطبري ج١ فقرة ١٠٩ ص ٧٩.

٩ - الطبري ج٢ ص ٢٧٧ ص ١٥٩.

١٠ - الطبري ج٣ فقرة ٣٣٩ ص ١٨٩.

١١ - تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن، الناشر دار الغد العربي، المجلد الأول ص ٥٣٢.

١٢ - تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، ج٣ ص ٧١ : ٧٧.

١٣ - تفسير ابن كثير ج٣ ص ٧.

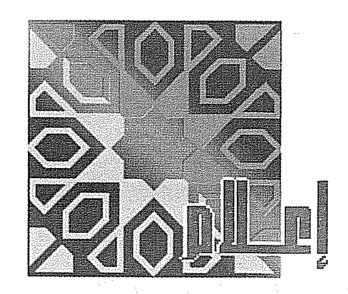
١٤ - تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٠.

١٥ - تفسير ابن كثير ج٣ ص ١١.

١٦ - تفسير ابن كثير ج٤ ص ٢٥٤.

١٧ - تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢٣.

١٨ - تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢٢.



الحقيقة أن عالم اليوم يعاني كثيراً من الصراعات السياسية والحضارية، ومن مشكلات عدة من أهمها على الصعيد العربي والإسلامي الصراع العربي الإسرائيلي، وتأتي في مقدم تلك المشكلات، مشكلة القدس لما لها من وضع متميز لدى المسلمين جميعاً بحكم مكانتها الدينية والتاريخية والسياسية.

وبالتالي فإن إدارة الصراع في هذه المشكلة لابد أن تقوم على مرتكزات أساسية ومتشعبة ترتبط بأبعاد عسكرية وحضارية في المقام الأول، ولا يكفي فيها مجرد الاعتماد على قدرة المفاوض العربي أو الرسالة الإعلامية على الصعيدين المحلي والعالمي، فمن قراءة التاريخ يتبين لنا أن لكل صراع أبعاده الداخلية والإقليمية والدولية مع ضرورة مراعاة التفاعل بين عناصر القوى المتوافرة لدى طرفي الصراع المتمثلة في القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية والمعنوية.

الإعلام وإدارة الصراع في مشكلة القدس

بقلم د. عبدالصبور فاضل

أساليب متطورة

ومن الممكن استخدام أساليب متطورة كالرياضيات والحاسبات الإلكترونية في تحديد هذه العناصر، إلا أن ذلك يظل غير دقيق نظراً لوجود عناصر أخرى يصعب قياسها كالقوة المعنوية والمفاجأة وتطوير الاستراتيجية والتكتيك واللجوء إلى بدائل أخرى لم تستخدم من قبل.

وإذا كنا اليوم نعيش ثورة اتصال لم تشهدها البشرية من قبل، فإن أحداً لا ينكر دور الاتصال في ترجمة هذه العناصر وتحويلها إلى مؤثرات فعّالة على الصعيدين الداخلي والخارجي، لأن أبرز التطورات في العلاقات الدولية المعاصرة هو الاعتراف بالدعاية الدولية كعمل منتظم ودائم من أعمال الحكومات في زمن السلم والحرب على السواء.

ومن هنا كان اهتمام الدول والمنظمات التي تقوم بالدعاية الدولية ببذل الجهود لدراسة الجماهير التي توجه إليها الرسالة الإعلامية والإفادة القصوى من وسائل الاتصال المتاح لها مخاطبة تلك الجماهير واستمالتها للسياسة الخارجية للدولة أو الدول أو المنظمات المعنية.

إحصاء ١٩٦٧م

ومن ثمَّ نلاحظ أن الصهيونية كرَّست جهودها الإعلامية منذ زمن طويل، وبصفة خاصة منذ بداية الصراع في المنطقة، فطبقاً لإحصاء العام ١٩٦٧م بلغ عدد الصحف والمجلات اليهودية خارج إسرائيل نحو (٧٦٠) صحيفة ومجلة منها (٣٤٤) صحيفة في أمريكا و (٣٠) دورية في كندا منها (٩) باللغة الإنكليزية و(١١٨) صحيفة في أمريكا اللاتينية منها (٤٧) صحيفة باللغة الأسبانية وغيرها من الدوريات التي تغطي معظم اللغات الأوروبية بجانب الصحافة والمطبوعات الصحافية الأخرى والإنتاج السينمائي وتسويقه عالمياً، ومراكز الاستعلامات والإذاعة والتلفاز والمحطات الفضائية إضافة إلى مساندة الإعلام العربي والأمريكي.

وفي الوقت نفسه، فإن إسرائيل لا تكتفي في منطقها الدعائي بالإعلام المكتوب والمرئي والمسموع لبيان وجهة نظرها، وتحقيق أهدافها الدعائية، ولكنها تهتم بالاتصال المواجهي «المقابلة وجهاً لوجه» لما له من أهمية بالغة في التأثير على الرأي العام وقادة الرأي وصانعي القرار.

وإذا كان بعض خبراء الإعلام يرون أن الدعاية هي الفرع الرابع للحكومة الذي تستعين به لتحقيق سياستها الخارجية، فإن الدول الصغيرة ذات القدرات العسكرية والدبلوماسية المحدودة تجد في الدعاية وسيلتها لمتابعة مصالحها القومية على الصعيد الدولي، ولكن الأمر حتماً سيختلف تماماً في حال قيام وحدة مشتركة بين مثل هذه الدول، حيث إنها تلعب دوراً أكثر فاعلية وتفرض وجودها في الساحة الدولية، فقد استخدم العرب بحكمة إمكاناتهم الاقتصادية والعسكرية في حرب العاشر من رمضان أكتوبر ١٩٧٣م الأمر الذي أزال الصورة المشوهة للإنسان العربي، وفي الوقت نفسه حطم الصورة الذهنية لدى الرأي العام العالمي عن الأسطورة الإسرائيلية.

العرب ... والدعاية الدولية

ولا جدال أن العالم اليوم يعيش ثورة اتصال لم تشهدها البشرية من قبل وبالتالي فإن العالم العربي والإسلامي له نصيب منها، يتمثل ذلك في أجهزة ووسائل الاتصال المتقدمة التي نمتلكها، فلدينا الصحافة الدولية ونحو (٣٠) قناة فضائية يمكن التنسيق بينها ـ لو خلصت النوايا ـ لتوظيفها في الدعاية الدولية لمشكلاتنا عن طريق الاعتماد على الأساليب الفنية في الدعاية.

ومع كل هذا وذاك، فإن معالجة الصراع قد تقتضي الاعتماد على العقلانية واستبعاد العواطف والانفعالات، وقد تقتضي اللجوء إلى القوة العسكرية أو التلويح بها بقدر معين، ثم استخدام القوة الاقتصادية، واللجوء إلى الدبلوماسية أو استخدام العناصر الثلاثة معاً في وقت واحد، أو تقديم عنصر على آخر أو إلغاء وسيلة معينة ثم

العودة إليها إذا اقتضى الأمر.

وتعد القوة المعنوية عنصراً مهماً في إدارة الصراع، وهذا الدور منوط أساساً بالإعلام الداخلي والخارجي الذي من مهامه نقل عناصر القوى التي يتمتع بها طرف معين في الصراع ويصيغها في منطق إعلامي ملائم على المستوى الدولي، واضعاً في حسبانه خصائص المستقبل الأجنبي للرسالة الإعلامية وقياس المردود الإعلامي لتلك الرسالة.

وهكذا ينقل الإعلام الدولي طريقة إدارة الصراع من جانب الطرف المعني في مواجهة الطرف الآخر، فكلما كانت هذه الإدارة قوية كلما ساعد ذلك الإعلام الدولي على أن يعكس تلك القوة إذا تمتع إعلامنا الدولي في الوقت نفسه بالقوة، فقوة إدارة الصراع تعني قوة إعلامنا الدولي، وضعف إدارة الصراع تعني ضعف إعلامنا الدولي حتى لو تمتع بالقوة وفي الوقت نفسه، فإن قوة إدارة الصراع مع ضعف إعلامنا الدولي تؤدي إلى نتائج سلبية حتماً.

قراءة التاريخ

فقد أثبتت التجارب أن الاعتماد على الإعلام كوسيلة للاستغاثة والتنديد والاستنكار لا يحقق الأهداف المنشودة لأنها لاتعزو أن تكون مجرد مظاهر عاطفية انفعالية سرعان ما تندثر، فبقراءة التاريخ نجد أن مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي تداولت في المحافل الدولية منذ زمان طويل، ولم تسفر عن تقدم ملموس إلا عندما استعاد العرب قوتهم واستخدموا إمكاناتهم العسكرية والاقتصادية في حرب العاشر من رمضان، فعلى سبيل المثال، شكلت الأمم المتحدة في أول دورة استثنائية لها في ٢٨ أبريل ١٩٤٧م لجنة خاصة بفلسطين، ثم تطورت الأوضاع إلى مشروع التقسيم وإنهاء الانتداب البريطاني إلى الاعتراف بحقوق الفلسطينيين وتبني مشكلة اللاجئين ... إلخ.

وأصدر مجلس الأمن القرار رقم ٤٧٦ بتاريخ ٣٠ يونيو ١٩٨٠م ببطلان قرار إسرائيل في جعل القدس الموحدة عاصمة لها، ونظراً لعدم امتثال إسرائيل للقرار، كرر المجلس موقفه بالقرار ٤٧٨ بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٨٠م والذي يقضي بأن جميع الإجراءات التي من شأنها تغيير مركز المدينة باطلة ولاغية.



ورغم ذلك، فإن إسرائيل ماضية في تهويد القدس، كلما سنحت لها الفرصة، فقد استغلت تمزق العرب بعد أزمة الخليج المريرة وأصدرت قرارها في يناير ١٩٩٥م بمصادرة نحو ١٣١ فداناً من الأراضي الفلسطينية في القدس الشرقية لإنشاء حي يهودي جديد يضم ٢٥٠٠ وحدة سكنية، وفي ديسمبر ١٩٩٦م قامت حكومة نتنياهو بإنشاء أول وزارة جديدة باسم «البنية التحتية»، مهمتها إنشاء المستوطنات والطرق برئاسة «اريل شارون» صاحب مشروع النجوم السبع لمصادرة الأراضي العربية، وقام «إيلي سويا» وزير داخلية إسرائيل بإعداد خطة استيطانية - تعد الأولى من نوعها منذ احتلال المدينة العام ١٩٦٧م - تقضي ببناء ١٣٢ وحدة سكنية لليهود في حي «باب العمود» حيث أقرت الحكومة هذه الخطة في ١٢ ديسمبر ١٩٩٦م بعد قيام «ارفينج موسكوتيز - أبرز الممولين لأنشطة جماعة استيطانية متطرفة تدعى «عتريت كوهانيم» - بشراء الأراضي اللازمة لبناء تلك الوحدات.

إغلاق القدس

وفي ١٨ مارس ١٩٩٧م بدأت إسرائيل في بناء مستوطنة «هار حوما» في جبل أبو غنيم، وتعد المستوطنة الأخيرة التي تكمل بها إسرائيل حلقة المستوطنات التي تشكل دائرة مغلقة حول القدس بحيث يصبح من غير الممكن الانتقال من وإلى المدينة إلا عبر الحواجز البشرية والأمنية الإسرائيلية، فقد تمكنت إسرائيل خلال العقود الثلاثة الماضية من تحويل ملكية أراضي القدس الشرقية من ٩٠٪ للفلسطينيين إلى ١٣٪ فقط، ويخطط نتنياهو ليصل بعدد اليهود في القدس العام ٢٠٠٠م إلى ٧٥٠ ألف يهودي يسكنون في ١٨٠ ألف وحدة سكنية على أن تصبح مساحة القدس ١٠٨ كم مربعاً بإضافة ٥٠ كم مربعاً من قرى وأراضي الضفة المحيطة بها.

وسبق ذلك تهديد إسرائيل للعرب والمسلمين، حيث أعلن نتنياهو في حديثه لصحيفة «لوفيغارو» الفرنسية في ١٨ يناير ١٩٩٧م أنه لا تفاوض على القدس، وإسرائيل ستحتفظ بالجولان لأسباب استراتيجية وتاريخية.

إن الأمل الوحيد في إنقاذ القدس الشريف هو وحدة العرب سياسياً واقتصادياً وعسكرياً لأن أي مفاوضات أو قرارات أو اتفاقات دولية بحاجة إلى قوة تنفذها وتحميها بحيث لا يشترط استخدام تلك القوة، بل يكفي وجودها فقط لأن توازنات القوى بل تفوقها هي السبيل الوحيد لردع المعتدين. ■

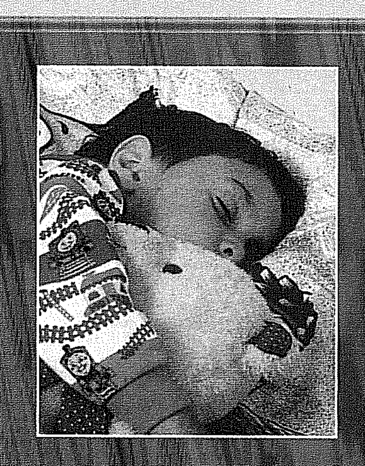
البيت المسلم

العدد ٣٩١ - الوعي الإسلامي - ربيع الأول ١٤١٩ هـ - يونيو / يوليو ١٩٩٨ م

الإسلام يحرر المرأة من الفاحشة



الطفل وعملية التطبيع الاجتماعي



مشكلات النوم عند الأطفال

زوجتك أمانة عندك بعقد ميثاق غليظ

اللقاءات التلفازية وراء هروب الفتيات

الحرية الجنسية ... قيد !!

رب قائل يقول: كيف تحرر المرأة من الفاحشة، والفاحشة لون من ألوان الحرية؟

وأقول: إن الفاحشة مثل طعام شهي لذيذ، لكن السم دُسَّ فيه، فإذا حلنا بين الناس وأكله. أنكون قد سلبناهم حرياتهم؟

لماذا لا نقول إن لذة الطعام، وكونه شهياً، قيدان يسوقان المرء إلى تناوله... ثم إلى هلاكه! فأين الحرية في هذا؟

إذاً، فحين يحول الإسلام بين المرأة وبين الفاحشة، فإنه يحول بينها وبين الهلاك، إنه يحفظ لها كرامتها، ويعلي من شأنها، ويرفع لها قدرها.

الإسلام يحرر المرأة من الفاحشة

محمد رشيد العويد

تحرير المرأة

إنه أوصى بها زوجة غاية الإيصاء، وأمر بمعاشرتها بالمعروف، وحرّم أخذ حق من حقوقها المالية، وجعلها مصدراً لثواب الرجل حين يرعاها ويحسن إليها، ووعدها بما يحصل عليه الرجل من أجر الجهاد والجمع والجماعات، إذا أحسنت تبعلها لزوجها... أفيقال، بعد هذا، إن الإسلام يسلبها حريتها إذا حال بينها وبين الفاحشة وهو يعطيها هذا الأجر كله... وينزلها هذه المنزلة العالية؟

إحسان إليهن

وما أجمل كلمات الإمام الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً) النساء: ١٤.

لماذا أمر تعالى بحبس اللاتي يأتين الفاحشة في البيوت ؟

يقول رحمه الله: «اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة الأمر بالإحسان إلى النساء ومعاشرتهن بالجميل، وما يتصل في هذا الباب، ضم إلى ذلك التغليظ عليهن فيما يأتينه من الفاحشة، فإن ذلك في الحقيقة إحسان إليهن، ونظر في أمر آخرتهن، وأيضاً ففيه فائدة أخرى: وهو ألا يجعل أمر الله الرجال بالإحسان إليهن سبباً لترك إقامة الحدود عليهن، فيصير ذلك سبباً لوقوعهن في أنواع المفاسد والمهالك، وأيضاً فيه فائدة ثالثة، وهي بيان أن الله تعالى كما يستوفي لخلقه، فكذلك يستوفي عليهم، وأنه ليس في أحكامه محاباة، ولا بينه وبين أحد قرابة، وأن مدار هذا الشرع الإنصاف والاحتراز في كل باب عن طرفي الإفراط والتفريط، فقال: (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم)(١).

لا إفراط ولا تفريط

ويقول القرطبي: «لما ذكرالله تعالى في هذه السورة الإحسان إلى النساء، وإيصال صدقاتهن إليهن، وأنجرّ الأمر إلى ذكر ميراثهن مع مواريث الرجال، ذكر أيضاً التغليظ عليهن فيما يأتين به من الفاحشة، لئلا تتوهم المرأة أنه يسوغ لها ترك التعفف»(٢).

ويوضح هذا المعنى أيضاً الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره إذا يقول:

«بعد أن أوصى سبحانه إلى النساء ومعاشرتهن بالمعروف، والمحافظة على أموالهن، وعدم أخذ شيء منها إلا إذا طابت نفسهن بذلك، ذكر هنا التشديد عليهن فيما يأتين من الفاحشة، وهو في الحقيقة إحسان إليهن، إذ الإحسان في الدنيا تارة يكون بالثواب، وأخرى بالزجر والعقاب، لكفّ العاصي عن العصيان الذي يوقعه في الدمار والبوار، ومبنى الشرائع على العدل والإنصاف والابتعاد عن طرفي الإفراط والتفريط،

الرازي: التغليظ على النساء إحسان إلهي ونظر في أمر آخرتهن

ومن أقبح العصيان الزنا، ولا سيما من النساء، لأن الفتنة بهن أكثر، والضرر منهن خطر، لما يفضي إليه من توريث أولاد الزنا وانتسابهم إلى غير آبائهم»(٣).

ثم نلحظ ملمحاً آخر من ملامح الحفظ للمرأة في هذه الآية الكريمة، والتخفيف من التكاليف عنها، وذلك في قوله تعالى: (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) «أي اطلبوا شهادة أربعة رجال أحرار منكم، قال الزهري: «مضت السنة من رسول الله والخليفتين بعده ألا تقبل شهادة النساء في الحدود»، والحكمة في هذا إبعاد النساء عن مواقع الفواحش والجرائم والعقاب والتعذيب رغبة في «أن يكنّ دائماً غافلات عن القبائح، لا يفكرن فيها، ولا يخضن مع أربابها» (٤).

إنه تخفيف من قيود قد تأخذ من وقت المرأة، وتشغلها عن أداء رسالتها، حيث تهتم بهذه الشهادات، وتضطر إلى الإدلاء بها للمحققين، ثم أمام المحاكم.

حماية العفيفات

وأخيراً، فإننا لو تدبرنا في هذا التشديد على المرأة التي تأتي الفاحشة، والتضييق عليها فيها، لوجدنا فيهما، أي التشديد والتضييق، حماية للنساء العفيفات، وحماية لبيوتهن وأزواجهن، لأن المرأة سترتكب فاحشة الزنا مع رجل، وقد يكون هذا الرجل متزوجا، والأذى الناتج عن هذه الجريمة سيلحق بزوجته العفيفة، وبأولادها إلى وقد يؤدي هدم أسرة ودمار بيت.

ولعل هذا يوضح لماذا أمر الله تعالى في نهاية الآية نفسها، بحبس المرأة التي ترتكب الفاحشة في البيت، حتى يتوفاها الموت: (... فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً) النساء: ١٥، لأن في خروج المرأة المرتكبة للفاحشة من البيت، إتاحة لفرصة جديدة أمامها قد تكرر فيها ارتكاب الفاحشة، يقول الإمام الرازي: «والحكمة فيه (أي الحبس في البيت) أن المرأة إنما تقع في الزنا عند الخروج والبروز، فإذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا، وإذا استمرت على هذه الحال تعودت العفاف والفرار من الزنا»(٥).

حماية من وجهين

حتى مع القول إن هذه الآية منسوخة بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً: الثيب بالثيب جلد مئة ورجم بالحجارة، والبكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام».

وبقوله تعالى في سورة «النور» (الزانيةوالزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) النور: ٢، فإن الآية والحديث حماية للمرأة العفيفة من المرأة الزانية من وجهين:

المرأة المنحرفة تشكل خطراً على المرأة العفيفة وعلى حريتها

١ - في إقامة الحد على المرأة الزانية ألم جسدي وألم نفسي، فالألم الجسدي ظاهر في عملية الجلد والدعوة إلى عدم أخذ الرأفة في تنفيذها، والألم النفسي في إحساس المرأة بأنها ذُلّت وفُضحت، وهذان الأمران يجعلان المرأة تخشى الزنا وتبتعد عنه.

٢ - شهود طائفة من المؤمنين عذاب الزانية فيه إغلاظ عليها وتوبيخ بحضرة الناس، وأن ذلك يردع المحدود، ومن شهده وحضره يتعظ به ويزدجر لأجله، ويشيع حديثه فيعتبر به من بعده»(٦)، كذلك فإنها تعرف لدى النساء فيحذرنها، ويحذرن مخالطتها واقترابها من أزواجهن.

وهكذا، فالتضييق على المرأة حتى لا ترتكب فاحشة الزنا، والتشديد عليها في العقوبة، ليس سلباً لحريتها، بل هو حفظ لها، وصيانة لنفسها، وتوفير لأمنها.

فالمرأة المتزوجة السعيدة الآمنة، الذي يوفر لها زوجها الحماية والنفقة والرعاية، تمتلك حرية حقيقية في تلبية فطرتها، والاستمتاع بحياتها، لكن هذه المرأة ستفقد حريتها حين يبدأ زوجها بالتقليل من النفقة، والتهرب من المسؤوليات، وعدم معاشرتها، لأنه بدأ يزني بامرأة اتخذها عشيقة، ينفق عليها من مال هو من حق زوجته وأولاده، ويمضي معها وقتاً هو من حق زوجته وأولاده، ويعاشرها معاشرة هي من حق زوجته... أفليس ارتكاب تلك المرأة لفاحشة الزنا مع زوج المرأة العفيفة، قد سلب هذه الأخيرة حريتها، وأمنها، ونفقتها...! ■

الهوامش

(١) التفسير الكبير - ج٩ - ص ٢٢٩، ٢٣٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن - ج٥ - ص٨٢.
(٣) (٤) تفسير المراغي - ص ٢٠٥.
(٥) التفسير الكبير - ج٩ - ص٢٣٣.
(٦) الجامع لأحكام القرآن - ج١٢ - ص ١٦٧.

زوجتك أمانة عندك بعقد ميثاق غليظ

عزيزي الزوج

صحبة ٢٠ يوماً قرابة... فكيف بما يجري بين الزوجين؟

«ميثاق غليظ»

لم يوصف ميثاق في القرآن الكريم بأنه غليظ إلا ثلاث مرات، مرة في الحديث عن الميثاق الذي أخذه الله تعالى من الأنبياء عليهم السلام، ومرة في الحديث الذي أخذه الله من بني إسرائيل، ومرة في الحديث عن الميثاق الذي تأخذه الزوجة من زوجها.

يقول تعالى في الميثاق الذي أخذه من الأنبياء عليهم السلام: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) الأحزاب: ٧.

ويقول الله عن الميثاق الذي أخذه من بني إسرائيل:

(ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) ١٥٤: النساء.

ويقول سبحانه عن الميثاق الذي تأخذه الزوجة من زوجها:

(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) النساء: ٢٠ - ٢١.

فهلا تأملت الأخت المسلمة، كيف وصف الله تعالى الميثاق الذي تأخذه من زوجها، بعقد الزواج، بأنه غليظ، تماماً كما وصف سبحانه الميثاق الذي أخذه من الأنبياء عليهم السلام، والميثاق الذي أخذه سبحانه من بني إسرائيل!

إنه تعظيم لعقد الزواج، الذي يستحل به الرجل المرأة التي يتزوجها، ومن ثم تشديد من الله وإنذار للأزواج الذين لا يكترثون بهذا الميثاق الغليظ، فيحاولون أن يأخذوا من المهر الذي أعطوه لزوجاتهم.

قوامة الأنبياء وقوامة الأزواج

إن الله تعالى هو الذي أخذ ا لميثاق الغليظ في الآيتين الأولين، والمرأة هي التي أخذته من زوجها في الآية الثالثة، فكأنما على الرجل أن يحذر أن يستغل المرأة ويستهين بهذا الميثاق الغليظ ناسياً أن الله شاهد على هذا الميثاق، وقادر على أن يعجّل له العقاب كما عجّله لبني إسرائيل حين نقضوا ميثاقهم.

لم يوصف ميثاق في القرآن بأنه غليظ إلا ثلاث مرات

كما أنه تعالى سيسأل الأنبياء عن هذا الميثاق الغليظ، وسيسأل بني إسرائيل عنه ويحاسبهم عليه، فإنه تعالى سيسأل الأزواج عن الميثاق الغليظ الذي باتت به الزوجات في رعايتهم وأصبحن به حليلات لهم، وتركن قيادهن لأمرهم.

يقول الرازي: «غِلَظ الميثاق هو سؤالهم «أي الأنبياء» عما فعلوا في الإرسال كما قال تعالى (ولنسألن المرسلين)، وهذا لأن الملك إذا أرسل رسولاً وأمره بشيء وقبله، فهو ميثاق، فإذا أعلمه بأنه يسأل عن حاله في أفعاله وأقواله، يكون ذلك تغليظاً في الميثاق عليه، حتى لا يزيد ولا ينقص في الرسالة، وعلى هذا يمكن أن يقال إن المراد من قوله تعالى - في خطاب الأزواج - : (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) هو الإخبار بأنهم - أي الأزواج - مسؤولون عنها - أي رسالة الزواج - كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وكما أن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء... جعل الأنبياء قائمين بأمور أمتهم وإرشادهم إلى سبيل الرشاد»(١)

لماذا وصف الميثاق بالغلظة؟

وفي تفسير هذا الميثاق الغليظ - الذي أخذته الزوجة من زوجها - وجوه:

الأول: هو قولهم: زوجتك هذه المرأة على ما أخذه الله للنساء على الرجل، من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ومعلوم أنه إذا ألجأها إلى أن بذلت المهر، فما

سرحها بالإحسان، بل سرحها بالإساءة.

الثاني: الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقودة على الصداق، وتلك الكلمة تُستحل بها فروج النساء، قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله». الثالث: قوله (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) أي أخذن منكم، بسبب إفضاء بعضكم إلى بعض، ميثاقاً غليظاً، ووصفه بالغلظة لقوته وعظمته، وقالوا: «صحبة عشرين يوماً قرابة، فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج»!(٢).

هلا تأملت الزوجات كيف يحميهن الإسلام ويأمر بالإحسان إليهن ؟

هلا أدرك الأزواج وتأملت الزوجات؟

كيف، هل بعد هذا كله، يستهين الزوج بهذا الميثاق الغليظ، ولا يخشى الله تعالى في زوجته، وفي رعايتها، وحفظ حقوقها، وأداء أمانة قوامته عليها، وحرصه على توجيهها وتعليمها، بالرفق واللين، والقدوة الحسنة؟

وكيف يتعجل بعض الأزواج الطلاق، غير مدركين غلظ الميثاق الذي جمع بهم زوجاتهم، وجعلهن أمانة عندهم...؟

إن مبادرة كثير من الأزواج إلى الطلاق، دون صبر طويل على زوجاتهم، تشير إلى جهل بعضهم في هذا الميثاق الغليظ، وعدم فهمهم لما يعنيه غلظ هذا الميثاق.

فهلا أدرك الأزواج أن زواجهم يحمل رسالة عظيمة، تشبه رسالة الأنبياء، فهم أيضاً مسؤولون عن دعوة زوجاتهم وأولادهم إلى دين الله وشرعه، وتربيتهم عليه، وجعل أعمالهم موافقة لما أمر الله، وأخلاقهم وأشخاصهم مثلما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهلا تأملت الزوجات كيف يحميهن الإسلام ويأمر بالإحسان إليهن، وينهى عن أكل حقوقهن، إنه نهي شديد، وزجر ووعيد يجعل الزوج يفكر ألف مرة قبل أن تمتد يده إلى درهم من دراهم مهر زوجته! ■

أسائل جدتي

للشاعرة : نجلاء الأسطل

أسائلُ جدتي عن ذا الحدادِ
وما هذا السوادُ على السوادِ

فردتْ جدتي: أبكي لهيباً
تحول بالسنين إلى رمادِ

فما عادَ المؤذنُ فينا يدعو
عبادَ الله حيّ على الجهادِ

وأطهرُ بقعة في الأرض صارتْ
لملعونٍ تأزّر بالفسادِ

فمن منّا لصوتِ القدس لبّى
وشدّ على السواعد والزنادِ

فيا وطني عليك العمر أبكي
ويا وطني نحيبي في ازديادِ

ويا وطني صحيح ما ادّعوه؟
سلام في ربوع القدس بادِ!

سلام زائف هذا لعمري
وايمُ اللهِ جمْعٌ للفسادِ

فلسطينُ جراحك فيَّ تدْمي
وظلمكِ كم ينال من الفؤادِ

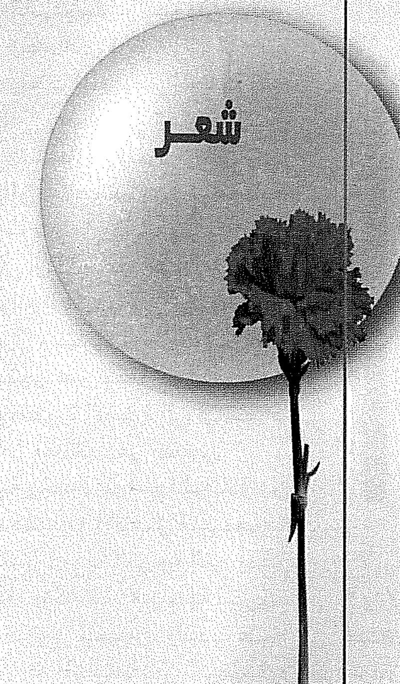
أشاحتْ جدتي عني بوجهٍ
أزالتْ سحرهُ نُوَبُ البِعادِ

عجبتُ من المهازل كيف عادت
تؤرق جفنَ مستلبِ الرقادِ

ونيراناً بصدري قد تعالت
لتنذر باشتعالِ واتّقادِ

فلن أبقى طوال العمر أبكي
وأترك مهجتي بيد الأعادي

فما نفع الحياة إذا دُعينا
ولم ننهض فداء يا بلادي



الحرية الجنسية ... قيد !

شهادات غربيه

دعت «الجمعية النسائية لمكافحة الاغتصاب»، ومقرها العاصمة الفرنسية باريس، إلى إخضاع مرتكبي الجرائم الجنسية لعلاج إلزامي قبل سنة على الأقل من مغادرتهم السجن، وإلى اتخاذ تدابير متابعة قضائية وعلاجية بعد الإفراج عنهم.

وأعلنت الجمعية أن الوقاية من الاعتداءات الجنسية، ومنع تكرارها على الأقل، باتت أمراً ملحاً.

وطالبت الجمعية - التي تتلقى سنوياً من ألف إلى ألفين ومئتي اتصال من ضحايا الجرائم الجنسية - بإعداد برامج للوقاية من التجاوزات الجنسية وتلقينها للأطفال منذ نعومة أظفارهم.(١)

واضح، مما جاء في هذا الخبر، أن معاناة المرأة الفرنسية من الاغتصاب، ومن جميع أشكال الاعتداء الجنسي، معاناة كبيرة، وحادة، وهائلة، إلى درجة أن النساء الفرنسيات طلبن تأسيس جمعية نسائية لها مهمة واحدة تبذل من أجلها كل جهودها، وهي مهمة «مكافحة الاغتصاب».

وإن الدعوة إلى «إخضاع مرتكبي الجرائم الجنسية لعلاج إلزامي قبل سنة على الأقل من مغادرتهم السجن، تشير بوضوح إلى الخوف والقلق اللذين يملآن نفوس النساء من تكرار ارتكاب جرائم الاغتصاب من مجرمين سبق ارتكابهم لها.

وهذا بدوره يؤكد أن العقاب لم يكن رادعاً وأن الخطر مازال قائماً، بينما الحد الذي فرضه الإسلام على مثل هذا العمل يجتث المجرم من المجتمع كله، والعقاب الرادع يعيش في تصور كل من تسول له نفسه الأمارة بالسوء ارتكاب جرم الاغتصاب أن يبتعد عنه، ويخوّفه منه، ويكون - من ثمَّ - عامل وقاية مهماً وفاعلاً.

ولا شك في أن أكثر من ألف اتصال من ضحايا الجرائم الجنسية في الجمعية، يدل على استمرار معاناة النساء من آثار الاغتصاب، وبحثهن عمن يكفل لهن الحماية، ويوفر لهن الأمان، مع ضرورة الإشارة إلى أن كثيرات لا يقمن بهذا الاتصال ويكتمن معاناتهن في أنفسهن.

ثم إن مطالبة الجمعية بإعداد برامج للوقاية من التجاوزات الجنسية، وتلقينها الأطفال منذ نعومة أظفارهم مادة الجنس، لتبين أهمية التربية التي يدعو إليها الإسلام، ويلّح عليها، وتكشف - من جهة أخرى - بطلان تلك الدعوات إلى تدريس الجنس، والحث عليه، وما جرّه على الغرب من انفلات يقطفون الآن ثماره الفجّة.

وما أعلنته الجمعية، من أن الوقاية من الاعتداءات الجنسية باتت أمراً ملحاً، ليشهد لشريعة الإسلام شهادة بالغة، فهي التي توفر مبادئها خير وقاية من الاغتصاب، بدءاً من الحجاب الذي يستر المرأة منذ بلوغها، ومروراً بمنع الاختلاط، وانتهاء بالحدود الزاجرة.

«الانفلات الجنسي» سلب المرأة حريتها

وأرجو ألا يغيب عنا معنى مهم نخرج به من هذا الخبر، وهو أن ما سمّوه بـ «الحرية الجنسية» ليس إلا «قيد» رهيب خانق سلب المرأة حريتها الحقيقية! ذلك أن «الاغتصاب الجنسي» بأي صورة كان، إنما هو قيد قاس، فهو يحرم المرأة من أن تكون آمنة ويجعلها خائفة، مهانة، مرغمة، على عمل لم تختره... فهل في هذا شيء من الحرية؟!

فلنصحح إذاً التسمية من «الحرية الجنسية إلى «الانفلات الجنسي» ولنقل، ونحن مطمئنون، إن «الانفلات الجنسي» قيد من القيود الخطيرة التي تسلب المرأة حريتها، وأمنها، وتجرح أحاسيسها ومشاعرها.

١٢٠٠ اتصال هاتفي نتيجة ضحايا الاعتداءات الجنسية

تبقى كلمة لأولئك الذين مازالوا يدعوننا إلى دفع مجتمعاتنا المسلمة إلى أتون مجتمعات الغرب: هل تريدوننا أن نعيش مثلما يعيش هؤلاء الذين فقدوا الأمن؟! هل تريدون أن يحلّ بنسائنا ما حلّ بنساء الغرب؟!

هل تريدون المرأة المسلمة الآمنة المطمئنة الحرة... أن تصبح خائفة، قلقة، مكبّلة؟!! ■

هامش:

١ - نقلت الخبر وكالة الأنباء الفرنسية في ١٩٩٥/٨/٢م، كما نشرته جريدة السياسة الكويتية في عددها رقم ٩٥٨٧، الصادر في ٦ ربيع الأول ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٥/٨/٣م.

اللقاءات التلفازية وراء هروب الفتيات

دراسه اجتماعيه

اتهمت دراسة اجتماعية، صادرة عن مباحث القاهرة، اللقاءات التلفازية مع بعض الفنانات الشهيرات، التي يعرضها التلفاز، بالتسبب في هروب الفتيات الصغيرات من منازلهن.

وقالت الدراسة: إن هذه اللقاءات تؤثر سلباً على الفتيات في سن المراهقة، وتدفعهن إلى الهروب من الأسرة لتحقيق الشهرة والثراء السريع، خصوصاً أن الفنانات يحكين قصة هروبهن من منازلهن ليبدأن مشوارهن الفني.

وألمحت الدراسة، التي أعدتها الباحثة الاجتماعية، «عطيات صالح»، إلى أن ٧٠٪ من الفتيات الهاربات أكدن أن حديث الراقصة «فيفي عبده» في التلفاز المصري، وقصة هروبها من أسرتها واحترافها الرقص وتحقيقها الشهرة والثراء، كانا الدافع الأساسي للهروب واعتبارها قدوة يحتذى بها!»(١).

بُحَّت منا الحناجر، وانبرت فينا الألسنة، وكلَّت منا الأقلام ونحن نحذر من تزيين أولئك الرجال والنسوة المنسوبين إلى الفن، في عيون أبنائنا وبناتنا، وجعلهم نماذج يُقتدى بها، ويُقتفى أثرها.

ولم يكن يصدقنا واحد، بل لم يكن يستمع إلينا واحد، كنا نُسفه، ونتهم بضيق الأفق، والرجعية، والانغلاق.

قبل عشر سنوات تقريباً، وتحت عنوان «قمة المجد» كتبت أحذّر من تلك المقابلات التي تجرى مع من يُدعين فنانات، وتذاع من محطات تلفاز رسمية، وكان مما كتبته: «ومن خلال الحوار الذي دار بين «الفنانة» ومقدمة البرنامج، سألت الأخيرة ضيفتها: «كيف وصلت إلى قمة المجد»؟... فانظر يا صديقي كيف يفهمون «المجد» وكيف يفهمون «قمته»...!، بل كيف يصورون المجد لهؤلاء الفتيات الصغيرات، اللواتي يتلقين هذه المفاهيم المقلوبة... على مرأى ومسمع من المربين والموجهين، «المجد» أن تكون هذه راقصة، تسحر الناس برقصها، و«المجد» أن تكون تلك ممثلة، تفتن الرجال بجمالها، ويدفع لها المنتجون عشرات الآلاف من الجنيهات

ولم يعد علم «عائشة» وإيمان «خديجة» وشجاعة «خولة» وثبات «أسماء»... ما عادت هذه أمجاداً!

يا قوم إنكم تخربون بيوتكم بأيديكم، وتهدمون بناء أمتكم من أركانه ودعائمه، وأنت غافلون فهلا أفقتم؟؟!!(٢)

هذا ما كتبته قبل عشر سنوات، وهذه هي الدراسة الاجتماعية تؤكد ما تم التحذير منه، فهل لأحد أن يتهمنا بالتحامل أو الانغلاق أو الرجعية؟!

أي تناقض خطير أن تقوم يد إنسان بهدم ما تبنيه يده الأخرى؟! هذا ما يحدث حينما يهدم مثل هذا اللقاء في التلفاز الرسمي ما يبنيه المربون والآباء في الأبناء والبنات...!

يعلّم الأبناء والبنات أن الفضيلة هي الرابحة، ويعلّمهم التلفاز أن الرقص يربح أكثر!

يعلّمهم الآباء أن الالتزام بالأسرة هو العمل الصحيح، ويفهمهم التلفاز أن الهرب من الأسرة طريق إلى الشهرة والمال.

ويربيهم المربون في المدارس على أن قدواتهم هم النبي وصحابته، ويوحي إليهم الإعلام أن الاقتداء بذاك الممثل أو تلك الراقصة أنفع وأجدى.

أخيراً أذكر أن بداية خبر الدراسة الاجتماعية أشارت إلى أنها صادرة عن مباحث القاهرة، وليس من هيئة دينية أو جمعية إسلامية فيقول من يقول إن المشايخ وجهوا الدراسة لتكون نتائجها في خدمة دعوتهم. ■

الهوامش:

١ ـ جريدة الشرق الأوسط ١٤١٥/١١/١٥هـ ـ ١٩٩٥/٤/١٥، العدد ٩٥٨٢.

٢ ـ كتاب رسالة إلى حواء ـ الجزء الثالث ـ ص ٥٥.

... كان يبدأ بأهله

من مذكرات زوجة سعيدة



لا أنكر أنني كثيراً ما كنت أتأخر في اغتسالي بعد طهري من حيضي فتفوتني صلاة أو صلاتان.

كان عبدالرحمن يلاحظ هذا ويتجاهله في البداية، حتى كنت أحسب أنه غافل عن إهمالي... غير منتبه إليه.

وكانت هذه عادته في كثير من ملاحظاته على خطيآتي، حيث يتجاهل أولاً أملاً في أن أصحح خطيآتي بنفسي... فإذا تماديت فيها... بادر إلى مراجعتي منبهاً ناصحاً.

وحين بقيت يومين بعد طهري من حيضي الأخير دون أن أغتسل... بادرني قائلاً:

- هل تعلمين أنك تضيعين حقوق الله عليك في الصلاة... حين تؤجلين اغتسالك وتؤخرينه؟

قلت: أنا لا أحب أن تعلمني أمور ديني... أنا أعرف ما يجب عليّ فيه... فلا تجعل من نفسك واعظاً ومعلماً.

قال: لقد تكرر هذا منك... وأردت أن أنبهك إلى عظم إهمالك ولو فرضاً واحداً من الصلاة.

قلت: لو صبرت ساعة واحدة، لقد كنت أنوي الاغتسال بعد قليل.

قال: وما أدراني بنيتك...؟

قلت: كان عليك أن تصبر.

قال: قلت لك لقد تكرر هذا منك، كنت تضيعين صلاة ثم صرت تضيعين صلاتين ثم ثلاث صلوات، وها أنت اليوم تضيعين عشر صلوات!.

قلت: أنا أضعت عشر صلوات؟

قال: احسبي لنفسك، ألم تطهري صباح البارحة... ونحن اليوم بعد العشاء؟

قلت: صلاة فجر البارحة لم أكن أدركها لأني طهرت بعد شروق الشمس... وصلاة العشاء اليوم لم تفتني بعد... فأدركها حين اغتسل بعد قليل.

قال: تبقين ثماني صلوات هل تستهينين بثماني صلوات؟!

قلت: إذا كنت ستحسب هكذا فإني إذاً أضعت أكثر من ثلاثين صلاة لم تحسبها.

قال مدهوشاً: أنت أضعت ثلاثين صلاة لم أحسبها؟ متى وكيف؟

قلت: ألم أنقطع عن الصلاة طوال أيام حيضي؟

نظر إليّ وبدأ يشك بأني جادة في محاورته.

قال: أتعنين ما تقولين؟!

قلت متصنّعة الجد: قل... أجب ألم تضع صلوات عليَّ أيام حيضي؟

قال: لا... لم تضع هذه الصلوات عليك؟

قلت: كيف لم تضع؟

قال: الله سبحانه أسقطها عنك وليس عليك قضاؤها ولن يحاسبك عليها.

قلت: ولكني أفقد ثوابها!

قال: عدم صلاتك في أيام حيضك طاعة لله... لأنك بهذا تطيعين أمره سبحانه... أما عدم صلاتك بعد طهرك فمعصية له جلّ شأنه.

قلت ضاحكة: هل رأيت كيف تخرج الحكمة من فمك حينما أحاورك؟!

استرخت ملامح وجهه وأخذ نفساً عميقاً وقال:

- والله لقد شككت في أنك جادة في كلامك!

قلت وقد زاد ضحكي: لقد نجحت في تمثيل دور الزوجة المماحكة المجادلة... أليس كذلك؟

قال: كنت أتساءل في نفسي: ماذا جرى لسارة؟ سرعان ما كانت تقتنع؟

قلت: أي والله... لقد قنعت بكلماتك الأولى... وأدركت تقصيري منذ البداية... وإني لأرجو الله أن يعينني على عدم تكرار هذا بعد اليوم.

قال: الحمد لله... ما رأيك لو ننظر في كتب التفسير نقرأ فيها ما جاء في تفسير قوله تعالى مادحاً إسماعيل عليه السلام: (وكان يأمر أهله بالصلاة)؟

قلت مرحبة: موافقة.

أمسك عبدالرحمن بيدي وأخذني برفق إلى غرفة المكتبة وقال لي:

- استريحي هنا.

وتوجه إلى أرفف المكتبة وبدأ يبحث في تفسير الرازي... وبعد قراءة قصيرة لمعت عينا عبدالرحمن وهو يقول:

- اسمعي ما يقوله الرازي رحمه الله.

قلت: ها أنا مصغية.

قال وهو يقرأ في تفسير الرازي: «يأمر أهله، أي من كان في داره في ذلك الوقت بذلك، وكان نظره لهم في الدين يغلب على شفقته عليهم في الدنيا... بخلاف ما عليه أكثر الناس».

قلت: ماذا يريد الرازي بكلامه؟

قال: لقد لفت النظر إلى أمر عظيم، ذلك إن معظم الأزواج إذا أحبوا زوجاتهم وأرادوا إكرامهن اهتموا بأمور دنياهن ولبّوا لهن رغباتهن المادية... دون أن ينتبهوا إلى أن حقيقة الحب والإكرام تقتضي أن يهتموا بدين زوجاتهم، فالدين هو الذي يجعلهن يفزن بالجنة ويتقين النار، والفوز بالجنة والنجاة من النار أهم من حصول الزوجة من زوجها على ذهب أو أثاث جديد أو غيرها.

قلت: والزوجات أيضاً غافلات عن هذا، فإذا أهداهن الأزواج شيئاً من أشياء الدنيا فرحن به وشكرن أزواجهن عليه... أما إذا أهدوهن نصيحة من نصائح الدين فإنهن يضقن بها ويتبرمن من أزواجهن بسببها.

قال: وللأسف... فأكثر الناس على هذا... كما قال الرازي رحمه الله.

قلت: هل يذكر الرازي شيئاً آخر في تفسيره؟

قال: تأملي هذه اللفتة الفطنة أيضاً.

يقول رحمه الله: «وقيل كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم».

قلت: لا كما نجد عند بعض الناس الذين يأمرون بالمعروف وأهلهم بعيدون عنه.

قال: ألا نجد من يقول: لينصحوا أهاليهم قبل أن ينصحوا أهالينا ؟ ■

اتخذت مكاني في حلقة الدرس، وكنت حريصاً على أن أكون في مواجهة الشيخ، إنني شغوف للاستماع إليه، إنه دائماً ما يمتعنا بأفكار في غاية الشفافية، لا تناقض المنطق، ولا تعارض روح الإسلام... لم يكن ليسمعنا النصوص، بل يفسر ويشرح ويعقب ويبرز ما وراء النص، وهذا مطلب عقول العصر، فهناك الكثير من الأفكار والأطاريح والآراء والمفاهيم. وجاء دور الأسئلة ...

قال أحد الحضور: يا شيخنا، شاب تزوج، وبعد شهر من الدخول مرضت زوجته بالفشل الكلوي، فأصبحت لا تصلح كزوجة، وأصبح الزوج في حاجة إلى زواج جديد، ولا يقدر على كفالة زوجتين، فسعى للانفصال بالحسنى، وأصرّ على أن يأخذ الجهاز الذي أعده لبيت الزوجية، ولا يعطيها إلا ما اشترته لنفسها، ولكن أهل الزوجة أصروا على أخذ جميع المكتوب في قائمة جهاز العرس، فما رأي الدين في ذلك؟

تتبعت عناصر السؤال، فقد نقش في خاطري وعقلي، وأبصرت الجميع ينظرون إلى الشيخ... إنها مسألة اجتماعية، والناس في زماننا هذا أسرى المادة... ما تكلفة هذا؟، كم تدفع؟، لماذا أخسر، ولماذا أترك؟... وكأن الحياة أصبحت نقوداً وأموالاً، بالمال تتحرك العقول والعواطف

ولا تنسوا الفضل بينكم

كما تحرك الخيوط عرائس المسرح، وهذا واقع، وليس لنا أن نتغافل الواقع أو نتجاهله...

تنفس الشيخ الصعداء، ثم بدأ الإجابة: سبحان الله... الزوجة مرضت، وهذا أمر طارئ، وما كانت تتمنى هذا على الإطلاق، وبالطبع الزوج كان يرغب السلامة لها، وأن يسعد معها في حياته الزوجية، وأن تدوم العشرة بينهما، ولكن هذا أمر الله، وليس لنا اعتراض على أمر الله.



المهم، أن الزوجة تستحق المهر كاملاً بالدخول، أي أنها صاحبة الحق في كل ما هو مدون في قائمة الجهاز، إضافة إلى المؤخر والنفقة (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) أي فريضة وهذا حقها، والحق لا نقاش فيه.

قال أحد الحضور: يا شيخنا، العريس يعتبر بهذا مظلوماً، فالعشرة لم تدم طويلاً، ربما تكلف عشرة آلاف جنيه، وما رغب في الطلاق، وما فكر فيه، ولكن المرض أمر طارئ على الجميع، أفلا يكون هناك حل وسط؟

صمت الشيخ برهة، ثم تابع القول: نحن أولاً نبيّن الحكم، والحكم الشرعي لا نقاش فيه، ثم بعد ذلك نعرض متعلقات الحكم... ليست أحكام الإسلام جامدة ولا متحجرة، ولكنها تتوافق مع كل الظروف والملابسات، أي أنها مرنة.

وقد أجمعت المذاهب الفقهية على أن كل المهر يتأكد للزوجة بالوطء، ولكننا لو أعطينا الزوجة جميع الجهاز لظلم الزوج بما لا دخل له فيه، ولا ذنب عليه، ولنا في هذا الموقف تعريج على قول الله تعالى: (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى) البقرة: ٢٣٧، فالآية أثبتت الحق للمرأة، ولا ينازعها في هذا الحق أحد، وبخاصة أن الحق مقرر شرعاً، وثابت قانوناً، ولكن الآية حثت صاحب الحق على التنازل عن بعض الحق لإبقاء روح الود والاتصال الاجتماعي بعد الطلاق، فإذا كانت الحياة الزوجية غير قابلة للاستمرار، فإن الحياة الاجتماعية بين الأفراد والأسر مستمرة بالحتم والقطع، وإن شذت الحياة في طرف، فعلينا المحافظة على الاتصال والوصال في طرف آخر... وعليه، فيكون الحل الوسط، أن تأخذ الزوجة كل ما اشترته لنفسها، وتأخذ الشبكة - التي غالباً ما تمثل في الذهب - ثم يأخذ الزوج الأثاث، على أن تتنازل عن الحقوق التبعية اللاحقة، لماذا؟... لأنه لن يطلقها بغضاً ولا نكاية بها، وهي لا ترضى أن تظلم رجلاً كانت تتمنى أن تدوم العشرة معه، فالنفوس غير متنافرة، ولا يجب أن نتغير بسبب المال، ولهذا قال الله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي الود والمحبة واستدامة الحياة ولقاء الوجوه ببعضها بعضاًانتهى الدرس، وسرت في طريق العودة إلى البيت وأنا أردد (ولا تنسوا الفضل بينكم)، فهناك الحكم، ولا حكم من دون روح، وهذا هو روح الحكم لتستمر الحياة الفردية والأسرية والدولية، إذ الرفق مطلب إسلامي لكل الأمور. ■

مشكلات النوم عند الأطفال

صحة الطفل

د. مها محمد أحمد

* قال تعالى: (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً) الفرقان: ٤٧.

لقد جعل الله سبحانه وتعالى النوم للإنسان، مثله مثل جميع أنشطة الحياة بالنسبة له، فهو كالعمل والمأكل والمشرب، ضروري ومهم في حياتنا، ولابد من أن نقوم بفعله حتى نريح أجسامنا من عناء العمل، ونعطي لأجسادنا الفرصة لكي تعيد تجديد نشاطها، وتبدأ العمل من جديد في نشاط وحيوية.

وإذا تحدثنا هنا عن الطفل ومشكلات النوم، فسنجد أن هذا الموضوع يسبب القلق لدى الكثير من الآباء والأمهات، ولذلك نعرض على الآباء والأمهات أن يتعاملوا مع ذلك الأمر بكل هدوء، ولكن باهتمام، فإذا أصابك أيتها الأم القلق لأن طفلك لا ينام نوماً هادئاً أثناء الليل فتذكري هذين الأمرين:

أولاً: إن النوم المضطرب أثناء الليل أمر عادي جداً خلال السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل.

ثانياً: ما من طفلين اثنين يتشابهان في نمط نومهما.

مثلاً: قد يقضي بعض الأطفال مدة ١٦ ـ ١٨ ساعة في النوم من أصل ٢٤ ساعة وهم في شهرهم الرابع، بينما قد ينام بعضهم الآخر ١٠ ـ ١٢ ساعة فقط، وطالما أن طفلك يتمتع بالنشاط والحيوية فإنه يكون قد حصل على القدر الكافي من النوم.

يتعرض بعض الأطفال، وبخاصة الذين يبلغون الشهر الرابع إلى السادس، يتعرضون إلى الميل إلى الاستيقاظ في الليل أحياناً والصراخ بصوت عال... وعندما تذهبين إليه تجدينه مرعوباً ويحتاج إلى التهدئة، وهذا أمر عادي تماماً، ولكن إذا تكرر هذا الأمر كثيراً بالنسبة لطفلك فمن الأفضل أن تستشيري الطبيب لتعرفي السبب.

هناك فرق كبير بين منح الأطفال الرعاية

ماذا لو نام طفلك عشر ساعات فقط ؟

والحنان وبين البدء بتكوين عادات من الصعب التخلص منها فيما بعد.

ومثل هذه العادات يمكن أن تتكون عندما يصبح الطفل في سن تؤهله لأن يدرك ردود الفعل التي تجبرك على القيام بها استجابة لرغباته، ويكون ذلك في الشهر التاسع أو العاشر، فإذا عودت طفلك على الاستجابة له كلما بكى قليلاً فسرعان ما تكثر طلباته واحتياجاته.

لذلك فإن هذا الطفل يعود إلى النوم، إذا أُخذ إلى غرفة الجلوس، أو إلى سريرك، هذه أمور من الممكن أن تصبح كلها عادات من الصعب التخلص منها، لأن نوم الطفل يتقطع باستمرار الأمر الذي لا يتيح لك المجال للاسترخاء، وإن فعلت ذلك من حين لآخر فإنه لا يضر، ولكن تذكري دائماً أن التخلص من العادة أصعب بكثير من منع نشوئها.

تذكري : التخلص من العادة أصعب كثيراً من منع نشوئها

إنه من الأفضل لدى كل أمّ أن تضع طفلها في غرفة منفصلة للنوم بعد الأسابيع الأولى، إن كان ذلك متيسراً للأم، فسرعان ما يدرك الأطفال أن باستطاعتهم لفت انتباه والديهم بسهولة إن كانوا ينامون في الغرفة نفسها أثناء الليل.

يتعود بعض الأطفال أن يلهوا خلال النهار الأمر الذي يجعلهم سعداء وقانعين، ولكن قد يضيقون في الليل لأسباب بسيطة إلا أنها تأخذ بُعداً مزعجاً فيما بعد.

مثلاً: قد يكون الطفل يعاني من ابتلال حفاظته أو اتساخها، وفي كلتا الحالين يمكن أن يهدأ ويعود للنوم من جديد إذا غُيرت الحفاظة، وقد يكون عطشاناً ويحتاج إلى الماء وربما يشعر بالبرد أو الحرارة الشديدة.

غير أن المشكلة الحقيقية تكمن في الحال التي يفيق فيها الطفل أثناء الليل دون سبب واضح ظاهر.

ومما لا شك فيه أن نوم معظم الأطفال خفيف، ويستيقظون لأقل صوت، ومن الأطفال من لا يستطيع النوم لأكثر من ثلاث أو أربع ساعات دفعة واحدة، ويستيقظ عدد كبير منهم أثناء الليل من أجل الشعور بالاطمئنان لوجودهم في حضن أمهاتهم.

لذلك فإن بقاءك بضع دقائق خلال الليل تحتضنين طفلك وتحادثينه يؤدي إلى حصولك على طفل هادئ وراض وبخاصة في الأشهر الأولى، ولن يحدث أي ضرر من الاعتناء بالطفل ورعايته رعاية إضافية خلال السنة الأولى من حياته.

أخيراً فعلى كل أمّ أن تلاحظ طفلها في نومه، وأن تحاول أن توفر له الهدوء والجو الصحي للنوم حتى ينعم بالنوم الهادئ، من دون أي مؤثرات تؤدي إلى استيقاظه وبالتالي إشاعة القلق في البيت كله.

كما أن الأم يجب أن تراعي طفلها في نظافته فهذا يجعل الطفل يشعر بالراحة والهدوء الأمر الذي يساعده على النوم الهادئ، وهنا نأمل أن تدرك كل أمّ أهمية النوم بالنسبة للطفل فقد ذكره سبحانه وتعالى في كثير من آياته موضحاً أهميته للإنسان وفوائده لصحة الجسم، قال تعالى: (وجعلنا نومكم سباتاً) النبأ: ٩.

وقوله تعالى: (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) الروم: ٢٣. ■



مما لا شك فيه ان مرحلة الطفولة هي المرحلة التكوينية لكثير من الخصائص الجسمية والنفسية، فكثير من الاتجاهات والعادات وأنماط السلوك تتكون الى حد كبير خلال السنوات المبكرة من حياة الإنسان، كما أن انماط السلوك تتعرض للتعديل على الرغم من ترسيخ دعائم الشخصية الأساسية في الطفولة.. فإن هذه الدعائم ليست جامدة ثابتة لاتتغير.

بقلم : محمد عبد العزيز حمزة

الطفل وعملية التطبيع الاجتماعي

طفولة

ويعتبر «حامد زهران» أن هذه المرحلة هي أنسب المراحل التعليمية التي يتم فيها التطبيع الاجتماعي للطفل حيث نجد الأطفال يحاولون التخلص من الطفولة ويشعرون بأنهم كبار ،وهم في هذا السن واقعيون وعمليون لأنهم بعيدون عن اللعب الايهامي والخيالي ويبدأون اللعب المنظم مع الأصدقاء وله أغراض معينة.. وعمليون لأنهم يخضعون أنفسهم لقواعد النظام ويميلون للمنافسة وتبرز فيهم ملكات اجتماعية مثل: الزعامة والسيطرة وهذا مايدعو المربين إلى تنظيمها.

والمرحلة التي يقصدها حامد زهران هي مرحلة انتقال الطفل من مجال الحياة الأسرية إلى نوع آخر من الحياة وهي حياة المدرسة.. والمعروف أن مراحل الانتقال في حياة الفرد مراحل حرجة يتعرض فيها الفرد للأزمات والتوترات والانفعالات الحادة.. وعلى الأسرة أن تعد الطفل للحياة المدرسية لأنه من خلال هذا الانتقال يوضع في حياة يعامل فيها كفرد وسط عدد كبير من الافراد، «اي حياة الجماعة» فلابد ان يعد الآباء العدة لتزويده بالخبرة اللازمة لتقبل نوع الحياة الجديدة المقبل عليها.

وكثيرا ما تشكو الأسر أن أطفالها يفتقدون الحس المرهف ولايراعون مشاعر الآخرين فلايختارون كلماتهم بعناية أو يحرجون أصدقاءهم دون قصد ويتعاملون معهم بخشونة وأنانية وعدوانية دون مراعاة لشعورهم.

يقول المتخصصون ان الطفل لايولد متعلماً المهارات الاجتماعية اللازمة للتعامل مع الآخرين فتكوين الصداقات يحتاج إلى مهارات لايكتسبها معظم الأطفال بطريقة طبيعية.. وحين يتصرفون بهذه الطريقة الفظة مع أطفال آخرين فإنهم لايقصدون ذلك، كل مافي الأمر ان الذكاء الاجتماعي لديهم لم ينم بالقدر الكافي.

يقول د. مايكل شوارتزمان استاذ علم نفس الاطفال والمراهقين في جامعة كولومبيا ان الطفل يحتاج -لكي يكوِّن صداقات متينة -إلى ان يتعلم بعض المهارات الاجتماعية التي تعده للتعامل مع الآخرين وأهمها القدرة على الاستماع وفن التفاوض والتوصل إلى حل وسط لأي خلاف ثم نأتي إلى مرحلة النظر إلى المواقف من وجهة نظر الآخرين حتى يمكن رؤية الأمور والحكم عليها بموضوعية.

جدير بالذكر أن بعض الأطفال يولدون ولديهم موهبة تكوين الصداقات أو يتعلمونها بمفردهم مثلما يولد آخرون ولديهم موهبة طبيعية للرسم أو الموسيقا أو الرياضات أما الأطفال الذين يفتقدون هذه المهارات فمن السهل جدا على الأسرة تعليمها لهم وغرسها في نفوسهم.

وعموما نستطيع القول أنه عند دخول الطفل المدرسة يتسع عالمه وتتزايد ميوله ومع تنوع ميوله وألعابه يزداد فهمه للناس والأشياء التي لم يكن لها معنى في المراحل السابقة ولايزيد فهمه للبيئة عن طريق التعليم الرسمي الذي يتلقاه في المدرسة فحسب.. ولكه يزيد ايضا من خلال وسائل الاعلام وبخاصة السينما والتلفاز والفيديو ومن تبادل الافكار مع اقرانه ومن قدرته على القراءة.. وبالنمو السريع في تكوين مفاهيم جديدة في هذا العمر- مع عدم وجود وفرة كافية من المعلومات تقوم بدور المراجعة النقدية على تكوين هذه المفاهيم - تكثر لدى الطفل الأخطاء.. فكثيرا مايخطيء في تقدير الزمن كما قد يكوِّن مفهوماً خاطئا عن الذات اذا قللت الجماعة من قدراته أو بالغت في تقديرها.

وقد يمارس حاسة الفكاهة بشكل فج، وقد يحكم على الشخصية الكلية للآخر في ضوء سمة أو سمتين فقط وليس في ضوء نمط الشخصية ككل.

وتقول د. ليان دوماش في كتابها: «كيف تنمين مهارات طفلك الاجتماعية» إن الاطفال الذين تتراوح اعمارهم مابين ٦و٧ سنوات يكونون الصداقات عادة عند طريق الاشتراك في الألعاب المختلفة ولايهتمون كثيرا بالمشاعر لأن هذه الفترة يزداد فيها النمو الحسي عند الطفل بقدر ملحوظ للغاية وهذه الفترة تتميز بقوة التعبير عن الانفعالات وعادة ماتكون كالضحك بصوت عال والجري والقفز والارتماء على الأرض.

وفي المرحلة من ٨ الى ١٠ سنوات يكون الأطفال عادة أقل انانية ولديهم القدرة على تفهم مشاعر الآخرين ولكنهم لايزالون يتميزون بالقسوة والغلظة في التعامل.

أما ابتداء من سن ١٢ سنة فيستطيع الطفل ان ينظر إلى الأمور من وجهة نظر الآخرين ويمكنه ان يتسامح في أخطائهم ويتعاطف معهم.

ومن الأمور المهمة التي يجب مراعاتها في هذه المرحلة أنه يجب احترام اسلوب الطفل في المعاملة فمن المعروف أن بعض الاطفال يكونون غير مستعدين للتكيف الاجتماعي السريع فإذا لوحظ ان الطفل تظهر عليه امارات القلق في وسط مجموعة كبيرة من الناس ولايحبذ الوجود في الحفلات العامة.. هنا يجب احترام رغبته ولايجب الضغط عليه حتى لايضطر ان ينزوي ويبتعد اكثر، ولكن يأتي هذا تدريجيا كأن نوجده مع طفل أو اثنين على الأكثر، وعندما يتعود على هذا الوضع وتزداد ثقته في نفسه يستطيع مواجهة عدد أكبر دون إحساس بالخوف أو الحرج.

أيضا عدم تجاهل مشاعره وتحليلها عن طريق اختيار كتاب أو برنامج تليفزيوني يحبه الطفل واجراء المناقشات والحوار الهادىء حول رأيه فيما يقرؤه أو يشاهده ،فهذا النوع من المناقشات يساعد على التفكير في الدوافع التي تحرك الآخرين وتدربه على النظر إلى الأمور من وجهة نظر الآخرين لكي يستطيع فهم دوافعهم.

ايضا يجب العمل علي توسيع دائرة لغة المشاعرعند الطفل فسوء معاملة الآخرين عمداً اثناء اللعب، هنا يجب التوقف ومبادرة الطفل بسؤاله.. لماذا فعل ذلك هل لأن الطفل الآخر محبوب اجتماعيا.. هل لأنه يغار منه.. وهكذا نكون قد أعطينا الطفل فرصة حقيقية للتنفيس عن مشاعره الداخلية.. وعندما نعرفه الوصف الحقيقي للاشياء والمشاعر فإننا نساعده على تفهم أسباب ردود فعله، وبالتالي ردود فعل الآخرين.

كما يجب الاعتراف بإنجازاته ولو كانت صغيرة تافهة فيجب ألا نقصر في الثناء عليه مثلا اذا حصل على درجات دراسية مرتفعة.. وكذلك إذا أجاد اللعب مع صديق وأمضيا الساعات الطويلة دون خلافات أو مشاجرات.. أو اذا شوهد وهو يعتذر عن خطأ ارتكبه دون قصد أو تنازله عن شيء يخصه لإسعاد الآخرين.. إنه يحتاج دائماً إلى الثناء والمدح على كل سلوك طيب.

ويجب مساعدته على قراءة الوجوه فالذكاء الاجتماعي يعني سرعة فهم التعبيرات والتلميحات من خلال صور يدرب عليها ويضع رأيه الخاص وكذلك فهم تعبيرات الناس التي يراها واقعية.. فالطفل محتاج إلى ان يتعلم ان هناك اختيارات في الحياة، وعليه ان يعرف كيف يختار منها مايناسبه. ■

الهوامش:

١- نمو الإنسان من مرحلة الجنين الى مرحلة المسنين د. آمال صادق

٢- مشكلات الطفولة والمراهقة د. عبد الرحمن عيسوي

٣- العلاج السلوكي للطفل د. عبد الستار ابراهيم

٤- كيف تنمين مهارات طفلك الاجتماعية د. ليان دوماش

الإسلام دعا إلى التراحم بين الناس

بقلم: ماجد أحمد المومني

دعوة الإسلام إلى الوحدة الإنسانية كما دعا إليها القرآن، وكما طبقها بالفعل سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في حياته وأصبحت شريعة إسلامية بعد وفاته يقول سبحانه وتعالى:

(... يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) النساء: ١، وهكذا قرر الأصل المشترك لبني الإنسان ودعا إلى التراحم بين سائر بني البشر، وقد انبنى على هذا الأصل المشترك، المساواة في الطبيعة الإنسانية فلا مجال للتعصب للجنس أو الاستعلاء ولا سبيل للتفاضل بين أفراد البشر إلا بالعمل الصالح وتقوى الله: (... يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات: ١٣.

ويوضح سيدنا محمد هذا المبدأ فيقول عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع:

«... أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى... ألا هل بلغت اللهم فاشهد...» صحيح مسلم.

وانطلقت هذه الدعوة وسط مجتمع يقوم على التعصب القبلي، فكل قبيلة تعتبر نفسها هي وحدها الشريفة بالنسب وتدعي أنها خير البشر وما عداها سواد من رعاع البشر.

دعوة

وأحاط بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي برسول الله في الصف الأول بالصحابة مقدمين على أئمة قريش وأعلامهم - الذين ظلوا على كفرهم.

ولم يعرف المجتمع الإسلامي عبر التاريخ حاجز اللون أو ما أصبحنا نطلق عليه اسم التمييز العنصري، وهو ما اعترفت به كل الأبحاث الحديثة التي كتبت عن الإسلام في دنيا الغرب.

تقول «دائرة المعارف للعلوم الاجتماعية الإنكليزية» وهي تتحدث عن التمييز العنصري: «... إن الإسلام من الناحية العقائدية ومن الناحية الواقعية لم يعرف حاجز اللون وهو ما يفسر سرعة انتشاره في أفريقيا، بينما لم تستطع المسيحية أن تنهض إلى مستوى دعوتها...»

حقوق الإنسان في الإسلام:

وإذا كانت الدول في العصر الحديث قد قررت في ميثاق جماعي ما يسمى «حقوق الإنسان» فقد سبق القرآن الكريم وسبقت سنة رسول الله هذه المواثيق العصرية بأربعة عشر قرناً.

أ- الإسلام أقر حق الحياة

وإذا كان حق الحياة قد قدسته الأديان كلها، واعتبرته المواثيق الحديثة الأصل الذي تتفرع منه باقي حقوق الإنسان، فإنه لا يوجد في القديم كما لا يوجد في الحديث من جعل حق الحياة لكل إنسان هو حق الإنسانية كلها، فمن قتل إنساناً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً.

يقول الله سبحانه وتعالى:

(... من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً...) المائدة ٣٢.

ب - حق الحرية:

ولم تعرف البشرية مصلحاً أو زعيماً أو قائداً جاء يدعو لمذهب جديد ودين جديد وسلوك جديد ثم ترك الناس أحراراً في اتباع ما يدعو إليه، عن طواعية ورضا لا عن إكراه وضغط مثل نبينا محمد عليه أفضل ا لصلاة والسلام.

(... لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة: ٢٥٦، (... أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يونس: ٩٩، (... فذكر إنما أنت مذكّر. لست عليهم بمصيطر) الغاشية: ٢١.

ج - الإسلام يقرر حرية الإنسان في اختيار أفعاله:

(... فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الكهف: ٢٩.

ومرة أخرى نقول، لم تكن دعوة الإسلام نظرية، ولكنها دعوة عملية تطبيقية ولذلك فقد عايش الإسلام النصرانية واليهودية والزرادشتية في فارس، ويصل هذا التعايش ذروته عندما نرى الإسلام يبيح للمسلم أن يتزوج بكتابية من غير دينه، فإذا علمنا أن الدين في القديم كان هو كل حياة البشر، أدركنا مدى ما وصل إليه الإسلام من احترام حرية الإنسان وعقيدته.

ومن هنا قال عمر بن الخطاب كلمته المدوية لعامله على مصر:

«عمرو بن العاص» عندما بلغ مسامعه أنه آذى قبطياً بغير حق: «... يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً...»

التكافل الاجتماعي في الإسلام:

وإذا كان يحلو لدعاة الثورة الفرنسية أن يقولوا إنها أوَّل من نطقت بالحرية والمساواة والأخوة والتكافل الاجتماعي بين الناس، فقد رأينا كيف سبقها القرآن باثنى عشر قرناً حينما نصّ بصريح اللفظ بقوله تعالى: «... إنما المؤمنون إخوة...» ويصور سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ما يجب أن يكون عليه التضامن والتكافل في المجتمع الإسلامي بقوله: «... مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه أحمد ومسلم.

العدل أساس الملك في الإسلام:

وإذا كان حق الحياة والحرية والتكافل الاجتماعي حق من حقوق الإنسان، فإن هذه الحقوق لا يمكن أن تُصان إلا من خلال حكم صالح، والحكم الصالح له أساس يقوم عليه، ومنهاج يعمل من خلاله، فأما الأساس فهو العدل وأما المنهاج فهو الشورى.

جاء في القرآن الكريم قوله سبحانه:

(... إن الله يأمر بالعدل...)، (... وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...) النساء: ٥٨، (... وأمرت لأعدل بينكم) الشورى: ١٥.

ويصل القرآن إلى الذروة في غرس وجوب العدل مع كل البشر حتى لو كانوا أعداء!

(... ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) المائدة:٨.

وينهى القرآن عن الحكم المطلق، ويدعو للشورى فيصف المؤمنين بأن: (... أمرهم شورى بينهم...)، ويأمر الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أن يستشير أصحابه ليكون قدوتهم في ذلك فيقول سبحانه: (... فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) آل عمران: ١٥٩.

ويضاعف في خطورة هذا التكليف لسيدنا محمد أن يشاور أصحابه بعد أن انهزم المسلمون في غزوة أحد، وكان انهزامهم نتيجة مخالفتهم لرأي رسول الله قبل المعركة وأثناءها، فجاء القرآن يطلب من سيدنا محمد أن يعفو عنهم ويستغفر لخطئهم ولا يكف عن استشارتهم، ولا يكتفي القرآن بجعل التشاور منهاجاً للحكم والحكام، بل إنه فرضه على الفرد العادي مع أسرته في بعض الظروف.

(... فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما) البقرة: ٢٣٣.

وكان الرسول يستشير أصحابه في مختلف الشؤون العامة في السلم والحرب... بل إنه كان يستشيرهم في أخص خصائصه كما حدث في موضوع الإفك وما دار حول السيدة عائشة من أقاويل إلى أن نزلت الآيات المحكمات وبرأت عائشة مما دار حولها من أباطيل.

العلاقات الدولية وفض المنازعات:

ووضع القرآن الكريم أسس العلاقات بين المجتمعات مما نطلق عليه في العصر الحديث اسم القانون الدولي، فلكل دولة أو جماعة بشرية حق البقاء في سلم وأمان ويحذر القرآن من الاعتداء على الآخرين بقوله تعالى: (... ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين...).

وحرص الإسلام على تقديس المعاهدات والمواثيق، فإذا أبرم مجتمع عهداً مع مجتمع آخر فإن هذا العهد يجب أن يكون مقدساً، وهو ما يحاول المجتمع الحديث أن يصل إليه دون أن يوفق لذلك، فالمعاهدات تنقض بمجرد أن يقوى أحد الطرفين على نقضها، أما الإسلام فيجعل ذلك في الأمور المحظورة:

(... وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) النحل: ٩١، (... وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا) الإسراء: ٣٤، (... إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم...) التوبة: ٧، والسلام هو الأصل في علاقة المجتمعات ببعضها بعضاً، يقول الله سبحانه: (... وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) الأنفال: ٦١.

وقال تعالى:

(... فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَّلَمَ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا...) النساء: ٩٠.

ونجد في القرآن آخر ما انتهى إليه الفكر البشري في فض المنازعات الدولية، عن طريق التحكيم والمصالحة، والقضاء بموجب الحق والقانون والاتفاقات الدولية، فإن أبى أحد الطرفين إلا أن يمضي في اعتدائه لأخذ ما ليس من حقه فقد أصبح على الأسرة الدولية أن تتدخل لردع العدوان فإذا تم ردع المعتدي، فقد وجب الفصل في النزاع على أساس من الحق والعدل.

(... وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) الحجرات: ٩.

وإذا كان هذا هو مدى جلال المبادئ الإسلامية في حكم العلاقات العامة فباستطاعتنا تصور الأحكام التي نظم بها أدق العلاقات الشخصية والمعاملات المدنية، فجعل الباحثين يقفون مذهولين من عظمة هذا التشريع واتساع مداه، وحسبنا في ذلك أن معظم القوانين والتشريعات في أحكام الطلاق والميراث والزواج في جميع أنحاء العالم المتحضر مستمدة من تعاليم الإسلام وأحكام القرآن.

وليس هناك أدنى مجال للشك في أن تعاليم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام قادرة في كل زمان ومكان ليس فقط على مواجهة التطور الحضاري، بل على التحرك المستمر للأمام وعدم الاستكانة، وإن الضعف الذي أصاب أمة الإسلام كان مصدره العوامل المختلفة التي تتصل بالبعد عن جوهر وروح القرآن والاكتفاء بالشكليات والقوانين الوضعية بدلاً من المبادئ الربانية وإقفال باب الاجتهاد مع التواكل والجمود والابتعاد عن الدين.

تصور معي جلال المبادئ ودقة الأحكام العامة والخاصة وتدبر معنى هذه الآيات : (... وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً. والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً. إنها ساءت مستقراً ومقاماً. والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً. والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا. إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً. ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا. والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً. والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يَخِرُّوا عليها صماً وعميانا. والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً. أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً. خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما...) الفرقان : ٦٣ - ٧٧.

تلك مبادئ سماوية سامية تنظم علاقات الأفراد والمجتمعات وتصف أخلاقيات التعامل بين الناس ... إنها مبادئ تعد أصولاً لكثير من القوانين الوضعية الدولية وقوانين الأحوال الشخصية في كثير من بلدان العلام.

سماحة الإسلام مع مخالفيه:

وكما أن الإسلام دين الرحمة والهداية والحق والعدالة فهو دين العقل والمنطق والفطرة حتى مع مخالفيه ومن شواهد ذلك:

١ - أنه لا يمثل بعدوه ولا يتشفى منه إذا ظفر به... ومعارك الإسلام الفاصلة شاهد على ذلك والتاريخ وحده يشهد بحسن معاملة صلاح الدين الأيوبي للصليبيين المهزومين... بينما يذكر فواجع الوطن الإسلامي على يدهم قبل الهزيمة.

٢ - أنه لا يكرههم على اعتناق عقيدته، بل يدع لهم حرية العبادة معها، (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (البقرة: ٢٥٦)، (... فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...) الكهف: ٢٩.

٣ - أنه يحافظ على دمائهم وأموالهم وأعراضهم وحياتهم، وجميع حقوقهم الإنسانية.

٤ - أنه يمتعهم بخير الوطن الإسلامي بلا تمييز بينهم وبين أهل الإسلام.

٥ - أنه يدعهم يتحاكمون إلى شريعتهم في غير ما يتعلق بالنظام والأمن العام.

٦ - أنه لا يجندهم ولا يسخرهم في خدمة أهدافه، بينما كان الرومان واليونان والفرس يسخرون المغلوبين قسراً لخدمة أراضيهم وأطماعهم.

شهادات الأجانب بتسامح الإسلام:

يقول روبرتسوف: «.... إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وأنهم مع امتشاقهم الحسام تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بدينهم....».(١)

ويقول الراهب «ميشو»:

«إن القرآن الذي أمر بالجهاد متسامح مع أتباع الأديان الأخرى وقد أعفى البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرّم قتلهم لعكوفهم على العبادة»(٢)

وروى غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»: إن «ريتشارد قلب الأسد» قائد الحملة الصليبية الثالثة قد قتل ثلاثة آلاف مسلم بعد أن أعطاهم الأمان واستسلموا فخان العهد الموثق بحقن دمائهم.

بينما ذُكر عن صلاح الدين أنه لم يمس النصارى بأذى وأمد ريكادروس وفيليب أوغسطس بالزاد والمرطبات وبعث طبيبه الخاص لعلاج قادة الفرنجة.

وتقول الدكتورة: «زيجريد هونكه» في كتابها: «شمس العرب تسطع على الغرب»:

«... لعل أهم عوامل انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب في سماحتهم حتى أن الملك الفارسي «كيروس» قال: إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخربين، فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب إن هو إلا أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف الأدلة.

هذه هي سماحة الإسلام ومبادئه وأحكامه... وهي سماحة لا يوازيها شيء في العقائد الأخرى». ■

الهوامش :

١ - من كتاب «حضارة العرب» لمؤلفه «غوستاف لوبون».

٢ - المصدر السابق.

المراجع :

١ - أصول الدين الإسلامي/ الأستاذ الدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري/ جامعة آل البيت.

٢ - بُنية الفكر الديني/ الأستاذ الدكتور عادل العوا / جامعة دمشق.

٣ - تقدم العلم/ الأستاذ الدكتور عبدالكريم اليافي / جامعة دمشق.

٤ - الحضارة الإسلامية / الأستاذ الدكتور عفيف الشرقاوي/ جامعة الإسكندرية.

٥ - معالم الشريعة الإسلامية/ فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري/ معهد الدراسات الإسلامية.

٦ - الثقافة الإسلامية/ د. صالح الهندي/ جامعة قابوس.

٧ - الصحف اليومية الأردنية والعربية.

المصادر :

١ - القرآن الكريم.

٢ - الأحاديث النبوية الواردة في صحيح مسلم، وصحيح البخاري.

الرسول السراج المنير

(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً).

صدق الله العظيم

شعر: محمد عبدالله القولي

خفق الفؤاد وظل في تهيام
مذ أشرقت من ذكره أيامي

وتطلعت نفسي لتلتمس الرجا
ترجو النجاة من الضلال الطامي

فإذا السماء تألقت أنوارها
وإذا السماء تفيض في إلهام

كل الخلائق يومها قد سبحت
لله يهدي الكون خير إمام

جاء الربيع، فجنةٌ أيامهم
ومع النعيم هداية الإسلام

جاء الربيع إلى الديار فهللت
واستبشرت بالخير والإنعام

وتدفقت أنوار ربك للورى
تحيي القلوب بأطيب الأنسام

حمل الأثيرُ بشائراً من مكة
وسرى بها في السهب والآكام

ولد اليتيم «محمد» في فرحة
يا مرحباً ياسيد الأيتام

ولد اليتيم ونوره متألق
شمل الوجود، وكان في إظلام

لم تلقَ «آمنةُ» المصون بحمله
أو وضعه شيئاً من الآلام

هو رحمة للناس كيف بأمه!
سعدتْ به واستبشرت بسلام

يا مرحباً بالمصطفى وقدومه
للمرسلين أتيت خير ختام

قد كان عرساً للسماء وبهجة
في أعظم الأفراح والأيام

غنّى له الكون العظيم وغردت
ذراته في أعذب الأنغام

طربت له الأرواح في عليائها
إذ حررت من ربقة الأوهام

إذ طهرت من كل ما تشقى به
وتخلصت من ظلمة الآثام

صُعِقَ الطغاة المجرمون بمولد
قد خلص المظلوم من آلام

قد أعتق الإنسان من أغلاله
ونأى به عن ساحة الإجرام

وسما به للخير في أفعاله
للحقِ والتوحيدِ للإسلام

زكّاه من أدرانه وعيوبه
وأقامه في الكون خير مقام

ورعاه من دين الإله بحكمة
وحماه من أهوائه بنظام

قد فضّل الله العظيمُ محمداً
ليكونَ للأديانِ خيرَ إمام

قد جئت تهدينا لكل فضيلة
صرنا بدينك أفضلَ الأقوام

إنا - رسول الله - أعظمُ أمة
إن نعتصمْ بكتابنا الإسلامي

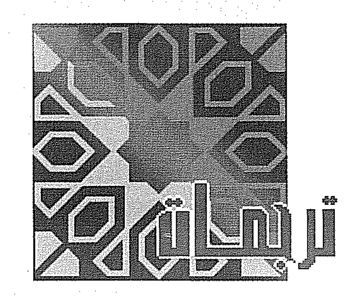
نحن الأعزة والكرامُ على المدى
إن ننتصرْ بالخالق العلام

إن نستجب لله في أحكامه
ونعد للأعداء في إحكام

إن نتحدْ صفاً على أعدائنا
ونرد كيد عصائب الإجرام

اشفعْ لنا يا رحمة من ربنا
أنت الشفيعُ وذو المقام السامي

واقبل رسول الله حُسْنَ تحيتي
واقبل حبيبَ الله طيب سلامي



نشرت «الهيرالدتريبيون» مقالاً بقلم «فلوراليويس» تحدثت فيه عن الجهود التي تبذلها الدول الأفريقية للحاق بركب الحضارة العالمية عن طريق تحقيق مزيد من التعاون والتنسيق فيما بينها للوصول إلى هذه الغاية يقول المقال:

أفريقيا تبحث عن دور فاعل

إعداد: عبدالمنعم أحمد

كان شعار الاجتماع الذي حضرته هو «حركة النهضة الأفريقية» يبدأ مما تشهده أفريقيا الآن، ويمكن تسميته بحال من الاستيقاظ بعد فترة من السبات حيث إنها «أي أفريقيا» بدأت تحسّ بالحاجة الملحّة إلى الانضمام أو اللحاق بركب العالم المنتج، كما أنها بدأت تدرك حقيقة أن الجهود الأساسية اللازمة لذلك ينبغي أن تأتي من جانب الأفارقة أنفسهم.

ولهذا فإن التطوير يمكن أن نتوقع ولادته في مثل هذا التجمع الذي ضم زعماء وسياسيين ورجال أعمال كبار، واختتم أعماله «في العاصمة الناميبية ويندهوك» تحت عنوان «المنتدى الاقتصادي العالمي للعام ١٩٩٨م للقمة الاقتصادية لدول الجنوب الأفريقي»، إلا أن مناخاً جديداً من التفاؤل والمصارحة إزاء إخفاقات الماضي أضفى مغزى من الآمال الأفريقية المعقودة.

ومن بين الأفارقة الذين يجسدون روح التغيير حسن با وهو شاب سنغالي يبلغ من العمر ٣٢ عاماً، ويترأس منظمة مقرها مدينة جنيف السويسرية ويطلق عليها اسم «سينيرغيز افريكا».

يقول حسن با: «هناك عملية تحرير جديدة من الاستعمار بدأت للتو، لقد كان التحرير الأول من الاستعمار اصطناعياً إلا أن هناك أربع ظواهر تعمل على خلق ظروف جديدة»، ويسرد حسن با: العناصر الرئيسية لعملية التحول التي تطمح إليها أفريقيا وهذه العناصر هي انتشار التربية والتحول إلى النمط الحضري في الحياة والهجرة والسفر، وهي: عناصر تسهم في تسهيل عنصر التواصل والارتباط بين جميع المجتمعات.

«أفريقيا» بدأت تحسّ بالحاجة الملحّة إلى الانضمام أو اللحاق بركب العالم المنتج

ويضيف حسن با: «إن هذا الأمر يعمل على خلق جيل جديد ليس لديه الكثير من العقد تجاه الغرب حيث إنه جيل لم يحيا في ظل الاستعمار كما أنه مستعد لأن ينتقد ذاته وأن يصبح أكثر نضجاً».

ووفقاً لوجهة نظر حسن با، فإن المحفّزات الرئيسة التي تساعد على التغيير في القارة الأفريقية كانت ومازالت تتمثل في التحولات التي شهدتها الأنظمة الحاكمة في جنوب أفريقيا بالإضافة إلى نهاية الحرب الباردة.

ومع نهاية الحرب الباردة جاء تخلي الغرب عن انخراطه في القارة الأفريقية، وهو ما يصفه حسن بأنه شيء جيد بالنسبة للجيل الصاعد من الأفارقة، كما بالنسبة للأنظمة الأفريقية الحاكمة التي كانت تعيش عن طريق التحايل على القوتين العظميين «الاتحاد السوفييتي السابق وأمريكا».

لقد عانى الأفارقة كثيراً من التهميش وبخاصة منذ بداية الحقبة الاستعمارية، إلا أن هذه الحال قد انتهت الآن حيث إن الشعوب الأفريقية بدأت تدرك أنها لو تخلفت عن الركب العالمي فإنها ستزداد فقراً على فقرها، وبخاصة في ظل الزيادات السكانية الهائلة، ولذلك فإن الأفارقة يريدون أن يعودوا إلى جدول الأعمال العالمي ولكن كشركاء، كما أنهم رحبوا برحلة الرئيس كلينتون التي قام بها أخيراً في عدد من الدول الأفريقية.

بيد أن حسن با يشير إلى أن الأفارقة لم يفوزوا بأي شيء حتى الآن، مؤكداً أن تولي زمام القيادة هو العنصر الأساسي لتحقيق ذلك.

ومع ذلك، فإن هناك المزيد والمزيد من الأصوات التي تعبّر عن آراء أصحابها في أفريقيا، كما أنه أصبح من غير المألوف التهجّم على الديموقراطية والسوق الحرة.

ويعبر الرئيس البتسواني «فيستس موغاي» عن أن لديه قناعة يمكن أن تحدث تغييراً عميقاً إذا ما حظيت بالقبول على نطاق واسع، فهو يعتبر أن «الديموقراطية، وحرية التعبير» هما نسخة حديثة من تقاليد الشورى التي كانت تتبعها القبائل الأفريقية منذ القدم وبالتالي فإنهما ليسا قيما غربية غريبة على مجتمعاتهم، بل إنهما يعتبران قيمة محلية متأصلة إلى حد كونها جزءاً من تراثهم الثقافي.

وتجدر الإشارة إلى أن «بتسوانا» كانت منذ فترة طويلة ومازالت تعتبر الاستثناء لسوء الإدارة الحكومية والتدهور المستمر اللذين عانت منهما الدول الإفريقية في فترة ما بعد الحكم الاستعماري.

وبالنسبة لناميبيا - التي تعتبر آخر مستعمرة أفريقية حصلت على استقلالها - فإنها تحرص على أن تتعلم من الأمثلة الأخرى المحيطة بها أو بالأصح من أخطاء وقع فيها آخرون حسب تعبير رئيس الوزراء الناميبي «هاغي غينغوب».

ويعترف «غينغوب» بأن جماعة سوابو المتمردة كانت تتلقى دعماً مادياً ومعنوياً من جانب الشيوعيين خلال حرب العصابات الطويلة ضد جنود أفريقيا، إلا أنه يضيف «ولكن حقيقة الصراع تختلف عن حقيقة الحكم، إننا نتفهم ذلك».

وعلى مستوى خاص هناك حال عامة من الضيق والاكتئاب من أن الزعيم الجديد لجمهورية الكونغو «لوران كابيلا» لم يستوعب الدرس بعد ليس فقط لأن الكونغو مازالت أرضاً للكوارث، بل لأن إخفاقاتها تميل إلى إلقاء ظلالها وانعكاساتها على دول أخرى في وقت تسعى فيه تلك الدول إلى تحسين صورتها من أجل جذب الاستثمارات الخارجية.

هناك شكوى أفريقية مستمرة تتلخص في أن بقية دول العالم تضع جميع الدول الأفريقية في سلة واحدة

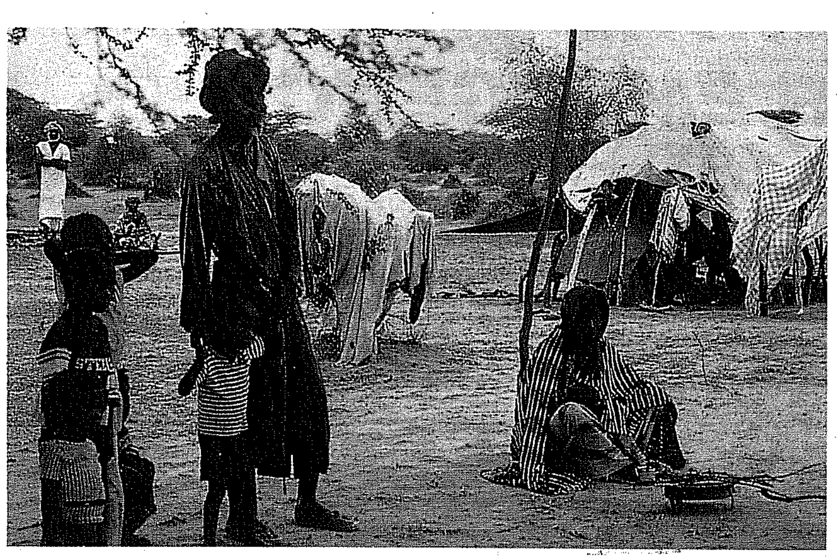
والواقع أن هناك شكوى أفريقية مستمرة تتلخص في أن بقية دول العالم تضع جميع الدول الأفريقية في سلة واحدة وترفض أن تلاحظ الأداء الأفضل للدول الأكثر تميزاً عن غيرها.

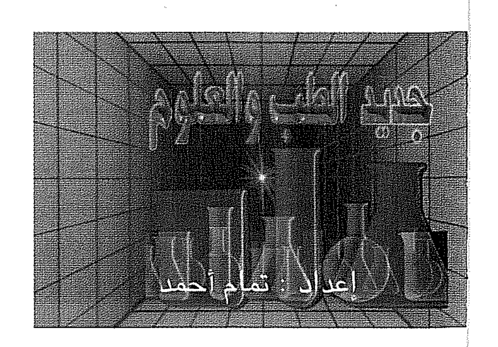
وعلى هذا الأساس فإن «تقرير تنافسية أفريقيا» الصادر عن اجتماع القمة الآنف الذكر - والذي صنّف ٢٣ دولة أفريقية تتمتع بإمكانات نمو واستثمار عالية - هذا التقرير قوبل بالإطراء والترحيب على الرغم من أنه أثار بعض التظلمات وبخاصة من جانب جنوب أفريقيا التي وصفته بأنه غير عادل وغير موضوعي، فيما يتعلق بعدد من القضايا، وعلى رأس الدول المصنفة في ذلك التقرير جاءت كل من «موريشيوس وتونس وبوتسوانا وناميبيا»، إلا أن جنوب أفريقيا لم يعجبها الترتيب السابع الذي احتلته على القائمة، بيد أن هذا التصنيف بشكل عام يعمل على تحفيز عنصر المنافسة.

وفي الوقت ذاته، هناك تأكيد متزايد على الحاجة إلى تعاون إقليمي من أجل تحقيق الإفادة الأفضل من مشروعات التنمية ومن أجل إيجاد قدر أكبر من القدرة على المساومة، وعلى ما يبدو فإن هناك إجماعاً واضحاً حالياً على ما تحتاجه الدول الأفريقية، وما يجب أن تقوم به.

والمشكلة الكبرى التي توجد حالياً هي كيفية تحقيق ذلك.

إنَّ الجيل الجديد في أفريقيا قد بدأ في الضغط بقوة إلى الأمام، ويقول رئيس الوزراء الناميبي «إننا نريد أن نحوّل أفريقيا من قارة الحروب والاضطرابات إلى قارة الشعوب التي سئمت من المعاناة والمستعدة للعمل».■





كومبيوتر يترجم حركة اليد إلى كلمات

توصلت جامعة برلين التكنولوجية، لأول مرة في العالم، إلى اكتشاف طريقة الكترونية تتم من خلالها ترجمة حركات الإنسان الإيمائية إلى كلمات وذلك بمعونة «قفاز حسي الكتروني» وكومبيوتر، وقال الأختصاصي فرانك هوفمان من قسم الدراسات الالكترونية في الجامعة أن فريقاً من العلماء عمل أربعة أعوام على تطوير فكرة ترجمة الحركات والإيماءات قبل أن يعلن عن نجاحه.

ويستطيع القفاز الالكتروني أن يقرأ ويترجم حركة أصبع واحدة أو اصبعين سويا، حركة فتح أو إغلاق الكف أو ربما حركة سبابة باتجاه غريم خلال ثوان، وقال هوفمان إن النظام يعمل بنجاح ودقة بعد أشهر من تجربته ويبحث العلماء حالياً في تطويره ليشمل أجزاء الجسد الأخرى.

وقد نجح معهد سيميوتك التابع للجامعة في إجراء مقابلات تلفازية مع أكثر من ١٠٠٠ شخص تحدثوا أمام الكاميرا بالإشارات والإيماءات واستطاع نظام القفاز - الكمبيوتر ترجمتها بدقة بالغة إلى المشاهدين، وأحصى العلماء خلال هذه المقابلات حوالي ١٥٠ إيماءة وحركة جرى تنفيذها بعشرين شكلاً متنوعاً واستطاع النظام مع ذلك ترجمتها.

تمت صناعة القفاز من القطن الخاص وزوده العلماء بعدد غزير من المجسات الالكترونية القادرة على رصد كل حركات اليد والزوايا بين الأصابع وشدة تقلص العضلات وبالتالي قراءة الحركة التي تمت تأديتها من قبل يد الإنسان، وتنقل الحركات المعطيات التي تسجلها المجسات إلى الكومبيوتر، حيث يتم تحليلها بسرعة وعرض ترجمتها على الشاشة، إذ تم لقم الكومبيوتر بالطبع بتفاصيل المعطيات، وعن أصعب الحركات والإيماءات ومعانيها وبما يعينه على تحليل وترجمة المواد بسرعة قياسية.

وعبر هوفمان عن أمله في تطوير النظام الذي يقتصر حالياً على يد واحدة، هي اليد التي تلبس القفاز، ليشمل كلتا اليدين، وبالتالي تمكين الكومبيوتر من قراءة الحركات والإيماءات التي تتطلب حركة كلتا اليدين لتأديتها، وأهم من ذلك طبعاً هو تطوير نظام القفاز بشكل يلائم وجه الإنسان بهدف قراءة الانطباعات أيضاً، وسيكون للقفاز، حسب تقديرات العلماء، أهمية كبيرة في الأعمال الجراحية الطبية وفي استخدام الروبوتات في المناطق الخطرة مثل المحطات النووية ومخازن النفايات النووية العميقة، وسيعمل علماء الجامعة التكنولوجية، قبل كل شيء على الإفادة من نظام القفاز الالكتروني في مساعدة المصابين بالصمم، ويكلف القفاز الواحد حالياً مبلغ ١٠ آلاف مارك وتلقت الجامعة منذ الآن الكثير من العروض، عمل في مشروع «التعرف على الإيماءات بوساطة قفاز المجسات» فريق من علماء المعلوماتية والميكرو الكترونيك، وعلم النفس.

وانهمك البروفسور رولاند بوسنر في البحث في الحركات الإيمائية المستخدمة يومياً وتحليل معانيها وأهميتها، وتعاون مع المؤرخ الأدبي رانينهارد كروجر للبحث تاريخياً في الحركات الإيمائية ومعانيها واختلاف استخدامها على مر العصور، وتوصل الاثنان إلى نتائج باهرة ستصدر قريباً في برلين في كتاب يحمل اسم «الموسوعة البرلينية للإيماءات».

عن الشرق الأوسط ١٩٩٨/٥/٦م.

أذن رقمية الكترونية لتصفية الأصوات وتحسين السمع

طور العلماء الأمريكيون في مخابر «ستاركي» أذناً رقمية جديدة من شأنها أن تساعد المرضى الذين يعانون من اضطرابات أذنية على تحسين السمع.

و قال الدكتور جورج استيفان، أن الأذن الرقمية الجديدة قد تبدل حياة المرضى بشكل عال نظراً للتقنيات الكبيرة التي تعتمد عليها، وستساعد الأذن على التقاط الأصوات المحيطة وإجراء تعديلات صوتية عليها وبخاصة في الأماكن التي يعلو فيها الضجيج ويتوقع الأطباء أن يفيد أكثر من ٥ ملايين مواطن بريطاني و٢٠مليون مواطن أمريكي في هذه التقنية، وبخاصة الذين يعتمدون على الأجهزة الأذنية المساعدة «السماعات الأذنية».

السماعات الأذنية القديمة ثنائية الأبعاد، أي تقوم بتكبير جميع الأصوات، حيث لا يستطيع المريض تحديد الصوت المراد سماعه نظراً للخلفية المضطربة والضجيج العام.

أما السماعات الجديدة فهي تقوم على تحليل الأصوات الصادرة من المحيط بشكل دقيق، وتقوم بتضخيم كل صوت بشكل منفصل عن الآخر، وذلك تبعاً لشدة الصوت ومكان صدوره، حيث يستطيع الشخص تحديد المصدر واتباعه بسهولة.

هذا ويتوقع الباحثون في مخابر «ستاركي» في أمريكا أن يصبح الجهاز متوفراً في بريطانيا في بداية العام المقبل، بثمن قدره ٢٠٠٠ جنيه استرليني، وستحل السماعات الرقمية مشكلة التداخل الصوتي الذي يحدث لدى استخدام السماعات التقليدية، ومن المتوقع أن تساعد السماعات الجديدة على خوض الاختلاطات الناتجة عن السماعات العادية مثل التهاب الجلد وتنخر العظام والتأثيرات السلبية الأخرى.

وقد يكون نقص السمع وراثياً ناتجاً عن اضطراب بعض المورثات.

وتكثر حالات نقص السمع لدى المهنيين، لذلك يدعى نقص السمع المهني كالذين يعملون في المصانع أو على أقسام الهواتف القديمة... إلخ.

عن الشرق الأوسط

إدارة المعارف والتخطيط المستقبلي

تقنيات المعلومات منحتنا وسائل متعددة وسهلة للوصول إلى كل أنواع المعلومات، ولكن كثرة المعلومات وتشعبها وعدم القدرة على الإفادة منها يجعل وجودها كعدمه، وبالنسبة إلى المؤسسات التي تخوض حرباً تنافسية شرسة أصبحت بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى استثمار ما تملكه من معلومات لأقصى حد ممكن في إدارة المؤسسة وفي التخطيط المستقبلي لها، ومن هذا المنطلق برز مفهوم تقني جديد يهدف إلى تحويل الكم الهائل من المعلومات غير المتناسقة إلى معارف موفرة للمؤسسة قوة استراتيجية تمكنها من اتخاذ القرارات المناسبة والتي تعني في كثير من الأحيان الفرق بين النجاح والفشل، هذا المفهوم هو إدارة المعرفة KNOWLEDGE MANAGEMENT.

وقد بدأت بالفعل الكثير من الشركات في الاستثمار في هذا المجال الذي من المتوقع أن يزدهر في المستقبل القريب، وتتنبأ مؤسسة غارتنر غروب أن الشركات ستستثمر في هذا المجال بما قيمته بليوني دولار خلال السنوات الأربع المقبلة، وتتلاقى هذه التقنيات الجديدة مع تقنيات أخرى قريبة الشبه منها وهي «تعدين ـ البيانات» DATAMINING، وأدوات البحث SEARCH TOOLS، والفرق بينها دقيق، ولكن من المهم فهمه، فتقنيات تعدين البيانات تعالج البيانات المتراكمة والتي عادة ما تكون مالية أو تجارية بطبيعتها، فعلى سبيل المثال: فإن قاعدة بيانات عمليات البيع لمؤسسة عملاقة تعطي تصوراً عاماً عن وضع الشركة، ولكن باستخدام تقنيات التعدين يمكن الحفر في البيانات الضخمة DATA DRILLING للتركيز أكثر على عملاء معينين أو بضائع معينة أو مناطق معينة.

أما أدوات البحث فهي تظهر لك المعلومات المتوافرة كما هي، وليس العلاقات المخفية بينها، أما تقنيات إدارة المعارف فتذهب إلى أبعد من ذلك، فهي تمكنك من جمع وتصنيف المعلومات، والبحث عما تريد منها ومشاركة مكتشفاتك مع الآخرين، وهناك أساليب عدة وطرق لتحويل نظرية إدارة المعارف إلى واقع ملموس، وهناك شركات عدة أنتجت أدوات ونظم في هذا المجال ومن هذه المنتجات.

KNOWLEDGEX

هذا النظام بعد تغذيته بكميات ضخمة من المعلومات يحاول تسليط الأضواء على العلاقات المخفية بينها، فعلى سبيل المثال لو تم تغذيته بوثائق ومعلومات عن الموظفين في الشركات الخاصة وعن الاستثمارات في مجالات معينة، يمكنه أن يكتشف علاقات خافية ومفيدة، منها مثلاً مدير شركة معينة عند انتقاله من شركة سابقة إلى موقعه الحالي قد أحضر معه موظفين معينين، مثل هذه المعلومات تساعد متخذي القرار على كيفية التعامل مع هذه الشركة وهذا المدير.

وينسايت ـ WINCITE

هذا نظام يواجه المشكلة بأسلوب تقليدي أكثر، فهو يركز أكثر على المحللين في المؤسسات الذين يتقصون باستمرار حال السوق والمنافسين وأي معلومات استخبارية أخرى تهم المؤسسة، فهو ينظم هذه المعلومات المجمعة ويوزعها على الموظفين في المؤسسة، فهو يعتمد كثيراً على كفاءة عمل هؤلاء المحللين، فإن كانوا جيدين في عملهم فهو يساعدهم على زيادة التأثير العملي لما ينتجونه من معلومات، أما إذا كانوا ذوي مستوى متواضع فهو يجمع ويوزع ما يجمعونه من معلومات على أي حال.

غرابفاين ـ GRABVINE

يعمل بالتكامل مع نظامي «لوتيس دومينو» و«نوتس»، فإذا كانت المؤسسة تستخدم حالياً نظام «لوتوس نوتس» لتبادل المعلومات بين الموظفين، فإن هذا النظام يحاول اكتشاف المعلومات المخزنة في قواعد معلومات نوتس أو في شبكة المعلومات المحلية وتحويلها إلى الموظفين للإفادة منها، فربما يتم اكتشاف أن أحد المشاريع التي ينفذها أحد الأقسام يتشارك بكثير من العناصر مع مشروع آخر ينفذ في قسم آخر.

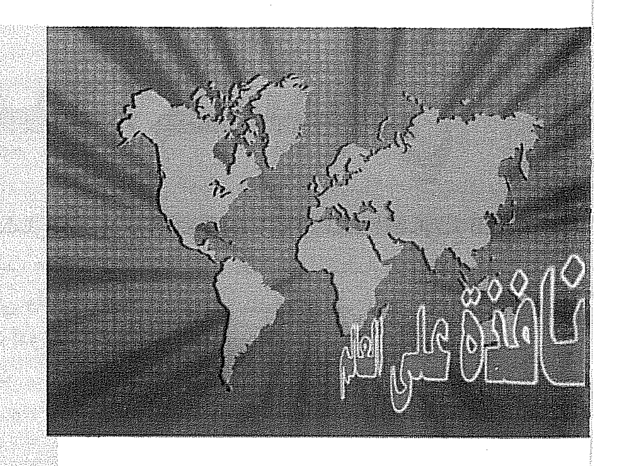
سوفرين هيل ـ SOVEREIGN HILL

يوفر أدوات بحث وفهرسة، وله القدرة على الوصول إلى مصادر المعلومات على الإنترنت، ويحتوي على قاعدة بيانات متطورة يمكنها فهم محتوى المعلومات بما في ذلك الناس، والأماكن، والأشياء الأخرى، فالنظام يقوم بتعريف المعلومات وينظمها حسب العلاقات التي تربط بينها، فعلى سبيل المثال: لو أدخلت إليه معلومات عن القطاع الصناعي وعن الشركات العاملة فيه، فيمكن للمؤسسة الصناعية أن تستفسر من النظام عن منافسيها، ورده لن يشمل فقط معلومات عامة عن هؤلاء المنافسين، ولكنه سيشمل أيضاً علاقة هؤلاء مع موظفيهم، وعملائهم ومنافسيهم.

ثقافة المعرفة

هذه الأنظمة ليست سهلة، بل هي معقدة وتتطلب تخطيطاً مسبقاً وإدارة جيدة لتطويعها بما يتلاءم وأهداف المؤسسة، وبالإضافة إلى ذلك فهي مكلفة، ويتطلب قبل اختيار أي منها عمل دراسة جدوى لبيان العوائد الاستثمارية المرجوة منها على المدين القريب والبعيد، هذا إن كان ذلك ضرورياً أصلاً، والتحدي الكبير الذي يبرزه هذا المفهوم التقني الجديد وبشكل واضح، هو في كيفية تغير الثقافة المعلوماتية داخل المؤسسة وتحويلها إلى ثقافة معارف، وأن تولد الحوافز لدى المسؤول والموظف لإنتاج وجلب المعلومات وتحويلها إلى معرفة، وإلى مشاركة الآخرين بهذه المعارف لما فيه المصلحة العامة للمؤسسة. ■

عن القبس ١٩٩٨/٦/٦م.



أراضي الوقف الإسلامي في القدس ... مهددة!؟

حذرت الهيئات «المقدسية» في الأردن من الإجراءات المدمرة للحق العربي الإسلامي في مدينة القدس المحتلة داعية العرب والمسلمين للتحرك الجاد والفاعل لإنقاذ بيت المقدس قبل فوات الآوان.

وأضافت الهيئات «المقدسية» في بيان أصدرته في عمان بهذا الخصوص أن سياسة الاحتلال الصهيوني سواء المعلن منها أو المستتر تقوم على تفريغ حثيث للسكان العرب من مدينة القدس، وأنه منذ أن احتلت القوات الصهيونية القسم الشرقي من المدينة إثر عدوان ١٩٦٧م وهي تعمل على تضييق الخناق على مواطني القدس.

وشددت الهيئات «المقدسية» على أن مثل هذه الإجراءات الاحتلالية تخالف أبسط الحقوق الإنسانية التي أقرتها الشرعية الدولية، وقوانين جنيف لعام ١٩٤٩م.

وأشار البيان إلى قيام المستعمرين اليهود من عصابة «عطيرات كوهانيم» الإرهابية بالاستيلاء على أراضي الوقف الإسلامي في المدينة وإقامة البيوت الجاهزة على أرض منطقة اللقلق بالقرب من باب الزاهرة أحد الأبواب الشمالية لسور القدس، وإلى تهديدات عصابة أمناء الهيكل المستمرة باقتحام المسجد الأقصى لإقامة الطقوس اليهودية فيه توطئة لهدمه وإقامة الهيكل اليهودي المزعوم مكان المسجد.

منظمة الصحة العالمية تشيد بجهود مجلس التعاون «الخليجي» في مكافحة السل

ذكر المكتب الإقليمي لشرق المتوسط التابع لمنظمة الصحة العالمية أن مبادرة تنسيق أنشطة مكافحة السل في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الست «حققت نجاحاً لم يكن ليتحقق لكل دولة على حدة من خلال برنامجها الوطني بمفرده»، وأوضح المكتب الإقليمي الذي يتخذ من محافظة الإسكندرية الساحلية مقراً له في بيان صحافي أن الاستراتيجية الإقليمية للتخلص من مرض السل التي صادقت عليها اللجنة الإقليمية العام ١٩٩٧م صيغت على أساس الإنجازات التي حققتها المبادرة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي يضم في عضويته كلاً من الكويت والسعودية وسلطنة عمان والإمارات وقطر والبحرين، وأشار إلى أهمية أنشطة المكتب الإقليمي في مكافحة السل في ضوء ما ذكرته تقارير صحية عن عودة انتشار مرض السل عالمياً موضحاً أن التقارير توضح أن السل أكثر أسباب الوفاة بين النساء وصغيرات السن، وأكد أن الحاجة لا تزال ملحة إلى بذل الجهود وتضافرها في ما يتعلق بتنفيذ أنشطة مشتركة على المستوى الإقليمي رغم التقدم الملحوظ في مكافحة السل على مستوى إقليم شرق المتوسط، وبيّن في هذا الشأن أن اجتماعاً بدأ أخيراً في العاصمة السورية دمشق وضم ست دول هي الأردن وسورية وفلسطين وقبرص ولبنان والعراق بهدف إعداد خطة عمل لتنفيذ أنشطة مشتركة في مجال مكافحة السل ودعم خطط العمل الوطنية لكل دولة على حدة.

وذكر المكتب الإقليمي أن هناك تجربة ناجحة أخرى في مجال تنسيق أنشطة لمكافحة السل بين مجموعة من الدول في منطقة القرن الأفريقي وذلك في إطار المكتب الإقليمي لشرق المتوسط التابع لمنظمة الصحة العالمية.

معاريف : إسرائيل تخطط لإقامة مستوطنة على أراضي قلقيلية

كتبت صحيفة «معاريف» أن الحكومة الإسرائيلية تعد لإقامة مستوطنة جديدة على الأراضي المتاخمة لـ «الخط الأخضر» شمال الضفة الغربية.

ونقلت الإذاعة الفلسطينية عن الصحيفة أن وزارة البناء والإسكان الإسرائيلية انتهت من إعداد خطط لإقامة مدينة تستوعب ٧٠ ألفاً من المستوطنين اليهود شمال مدينة قلقيلية، وأوضحت أن المستوطنة الجديدة ستندمج في إطارها مستوطنات تسور ناتان وكوخاف يائير وتسور ياغال، وستقام على أرض مساحتها ١٤ ألف دونم من أراضي قلقيلية.

باكستان تنهي سلسلة من التجارب الناجحة

أجرت باكستان يوم ١٩٩٨/٥/٣٠م تجربة نووية جديدة لتنهي بذلك سلسلة من ست تجارب ناجحة، وأعلنت استعدادها لمحادثات فورية مع الهند، في حين هدد رئيس الوزراء الهندي أتال بيهاري فاجبابي باللجوء إلى «أي وسيلة للدفاع عن بلاده إذا ما كان هناك تهديد لأمنها».

وصرح الأمين العام لوزارة الخارجية الباكستانية شمشاد أحمد بأن باكستان أجرت تجربة نووية واحدة وليس اثنتين كما أعلن سابقاً.

وأوضح أحمد أن هذا الاختبار الذي يكمل سلسلة من ست تجارب تم بنجاح.

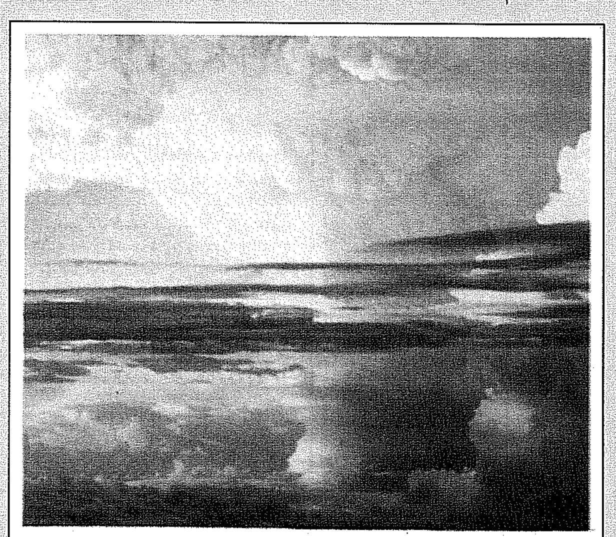
وقال إن باكستان لم تقدم بذلك سوى «أدنى رد» على التجارب النووية الهندية التي جرت في ١١ و ١٣ مايو الماضي، و«ليس من مصلحتها الدخول في سباق للتسلح».

وأجريت التجربة الجديدة، في موقع شاغني النووي في صحراء بالوشستان.

وأوضح شمشاد في المقابل، أن إسلام أباد مستعدة للدخول في حوار مع الهند من أجل تحقيق «الاستقرار النووي» في المنطقة.

وذكر المسؤول الباكستاني أن الاستقرار الاستراتيجي تحقق في المنطقة بعد التجارب الباكستانية وإسلام أباد مستعدة للدخول في «محادثات بناءة» مع دول أخرى والهند.

وقال: «أكد رئيس الوزراء (نواز شريف) أيضاً تصميم حكومته على استئناف الحوار بين الهند وباكستان لمعالجة القضايا القائمة كلها بما في ذلك مشكلة جامو وكشمير المحورية فضلاً عن السلام والأمن».



رابطة العالم الإسلامي تحمل الهند المسؤولية

حمّلت رابطة العالم الإسلامي أمس الهند مسؤولية سباق التسلح النووي الذي تشهده منطقة جنوب آسيا.

وقال الأمين العام للرابطة عبدالله العبيد في بيان: أن التجارب التي أجرتها باكستان أخيراً تأتي «دفاعاً عن نفسها ولمواجهة أي تهديد هندي نووي في المستقبل.

واعتبر الدكتور العبيد في بيان الرابطة التي تتخذ من مكة المكرمة مقراً لها أن الهند رافقت إجراء تجاربها بتصريحات عدائية لجمهورية باكستان التي أعلنت عن إجراء تجاربها لإيجاد توازن في القوة مقابل التفجيرات الهندية».

وعبّر عن أمله في أن يقتصر الأمر على إجراء التجارب والوقوف إلى هذا الحد مشيراً إلى عدم تأييد الرابطة لأي حال من حالات السباق إلى التسلح الاستراتيجي وإجراء التجارب والتفجيرات النووية سواء في باكستان أو في غيرها حفاظاً على إخلاء العالم من التوترات.

وأوضح أن الرابطة ترى أن الأولية يجب ن تتجه نحو العناية بتنمية الموارد الاقتصادية.

١٦ مليون عاقر في روسيا بسبب تلوث البيئة

أكدت مصادر أكاديمية العلوم الطبية الروسية أن في روسيا ما يقرب من ١٢ مليون امرأة عاقر وأربعة ملايين رجل غير قادر على الإنجاب.

وأشارت المصادر إلى أن عدد القادرين من سكان روسيا على إنجاب الأطفال الأصحاء لا يتجاوز نسبة ٣٠٪ من تعداد السكان البالغ ١٤٥ مليون نسمة.

وقال الأكاديمي فلاديمير كولاكوف مدير المركز العلمي لأمراض النساء والولادة أن ذلك يعود إلى الوضع المناخي غير المناسب وتلوث البيئة إلى جانب الأمراض المعدية والإضافات الضارة التي تتضمنها المواد الغذائية.

وقال كولاكوف أن الأطباء الروس استطاعوا اكتشاف التكنولوجيا المتطورة التي تكفل علاج المرأة وكذلك الأطفال المعاقين لكنهم غير قادرين على صناعتها واستخدامها بسبب قصور التمويل وحاجتهم إلى الدعم المالي.

وأضاف أن مركز أمراض النساء والولادة يعاني من قلّة الموارد اللازمة لرعاية المواليد الجدد في الوقت الذي استطاع فيه تحقيق أعلى نسب النجاح لتلبية الرغبات في الحفاظ على الجنين وسلامة الولادة.



تطبيق قانون منع الحجاب في الجامعات التركية

أصدر المجلس الأعلى للتعليم في تركيا تعميماً لجميع الجامعات فيها وعددها ٧٧ جامعة، دعا فيه رؤساءها إلى اتخاذ كل التدابير اللازمة لتطبيق قانون منع الحجاب اعتبارا من العام الدراسي المقبل.

وتضمن التعميم رفض تسجيل أي طالبة محجبة في الجامعات، إضافة إلى رفض أي صورة شخصية محجبة خلال عملية التسجيل، ولن يسمح لأي طالبة بدخول الجامعة وهي محجبة، بالإضافة إلى أنه سيتم فرض الإجراءات اللازمة ضد المسؤولين في أي من هذه الجامعات أو أي كلية في حال السماح للمحجبات بالدخول بما في ذلك كلية الشريعة.

الإدمان متفش بين الأمريكيات المسنات

قال باحثون إن ملايين من النساء الأميركيات المسنات يدمن على الكحول أو عقاقير مخدرة محظورة. وأضاف الباحثون أن ١,٨ مليون امرأة ممن تزيد أعمارهن عن ٥٩ عاماً أي ما يعادل سبعة بالمئة من جميع النساء في تلك المرحلة العمرية يدمن على الكحول وأن ٢,٨ مليون يدمن على عقاقير مخدرة يصفها لهن الأطباء.

وأظهرت الدراسة التي أجراها باحثو المركز القومي للإدمان في جامعة كولومبيا في نيويورك أن أكثر من أربعة ملايين امرأة أو ١٧ بالمئة و ٢٥ مليون امرأة فوق سن التاسعة والخمسين مدمنات للتدخين.

إنشاء منظمة إسلامية في أمريكا اللاتينية

تم إنشاء المنظمة الإسلامية لأمريكا الجنوبية، واختيرت العاصمة الأرجنتينية بيونس أيرس مقراً لها، وتهدف هذه المنظمة إلى التعريف بالإسلام وتنظيم الجهود والمشروعات الإسلامية في أمريكا الجنوبية، والتنسيق بين المؤسسات الإسلامية في هذه القارة والتعريف بهذه المؤسسات لدى الحكومات الإسلامية وغير الإسلامية، والهيئات المحلية والعالمية على جميع المستويات، واعتماد الوسائل الكفيلة بتأمين مصروفات المنظمة.

وقد تم إنشاء هذه المنظمة خلال اجتماع عقد في مدينة بيونس أيرس ضم رؤساء الجمعيات والمراكز الإسلامية في ١٩ دولة من أمريكا الجنوبية والبحر الكاريبي، حيث تدارسوا خلال هذا الاجتماع التقارير المقدمة لتحسين أوضاع الجالية الإسلامية في هذه المنطقة من العالم.

ونتيجة لذلك توصل المجتمعون إلى قرار بإنشاء هذه المنظمة، وقد تم اختيار مدير مكتب الثقافة والدعوة الإسلامية في الأرجنتين المهندس محمد يوسف هاجر أميناً عاماً للمنظمة لمدة ثلاث سنوات، وأنيط بالأمانة العامة عدد من المهام الرئيسة منها العمل على تحسين أوضاع المسلمين، وكذلك العمل على دعوة الجمعيات الإسلامية في الدول الأمريكية الأخرى غير المشاركة في الاجتماع التأسيسي للانضمام للمنظمة، كما أن من مهامها أن تسعى لتحقيق الاعتراف الرسمي بجميع المؤسسات غير المعترف بها وترتيب زيارة العلماء والدعاة للمؤسسات التي تفتقر إليهم، وتأمين المنح الدراسية في مختلف الجامعات الإسلامية للشباب المسلم، والقيام بدور الوسيط والمصلح في الأمور التي تستدعي ذلك حفاظاً على وحدة المسلمين، وتجميع المعلومات الواردة من العالم الإسلامي وتعميمها على المؤسسات الإسلامية في المنطقة.

لجنة الإغاثة تدعو للتبرع لمتضرري الزلازل في أفغانستان

ناشدت اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة المحسنين التبرع لصالح منكوبي الزلازل في أفغانستان والذي ضرب مناطقها وتخومها الشمالية الغربية. وقالت اللجنة في بيان لها صدر بتاريخ ١٩٩٨/٦/٣م إن هذا الزلزال هو الثاني في أقل من أربعة أشهر، وأن المناطق المتضررة هي نفسها التي ضربها الزلزال الأول في الوقت التي لا تزال تعاني من آثار الزلزال القديم حتى فاجأها زلزال يوم ١٩٦٨/٦/١م ليدمر ويمحو قرى بأكملها الأمر الذي خلف كماً هائلاً من الخراب والخسائر في الأرواح والممتلكات.

وأوضحت أن مكتب اللجنة في أفغانستان بدأ باتخاذ إجراءات سريعة لإغاثة المنكوبين وحثت الجمهور على سرعة تقديم مساعدات عاجلة للمنكوبين، موضحة أن باب التبرع مفتوح في مقر لجنة الإغاثة.

٧٠ مليار دولار حجم تجارة المخدرات في العالم العربي سنوياً

أكد الدكتور أحمد السالم الأمين العام لمجلس وزراء الداخلية العرب أن حجم تجارة المخدرات عالمياً يقدر بـ ٥٠٠ مليار دولار أمريكي سنوياً، وأن نصيب العالم العربي منها نحو ٧٠ مليار دولار سنوياً.

وقال السالم في افتتاح مؤتمر رؤساء أجهزة مكافحة المخدرات في الدول العربية الذي افتتح في العاصمة التونسية يوم ١٩٩٨/٦/٢م أن من أخطر المشاكل الأمنية التي يواجهها العالم اليوم هي ظاهرة المخدرات التي استفحل ضررها وطال أذاها مختلف الدول والشعوب، مشيراً إلى أن هذه الظاهرة لا تعرف قيوداً ولا حدوداً ويصعب على أي دولة بمفردها السيطرة عليها، وذلك بسبب تعدد مراكز الإنتاج والتصنيع للمواد المخدرة، واستعرض السالم في كلمته الجهود التي قام بها مجلس وزراء الداخلية العرب لمواجهة ظاهرة المخدرات واعتماده منذ العام ١٩٨٦م الاستراتيجية العربية للاستعمال غير المشروع للمخدرات والمؤثرات العقلية، مشيراً في هذا الصدد إلى وضع وإقرار مجلس وزراء الداخلية العرب خطتين مرحليتين مدة كل واحدة منها ٥ سنوات لترجمة أهداف ومقومات الاستراتيجية إلى واقع ملموس ومحسوس.

وذكر السالم أن الجهود التي قامت بها الإدارات المتخصصة بمكافحة ظاهرة المخدرات في الأجهزة الأمنية العربية، أسفرت في السنوات الثلاث الماضية عن ضبط أكثر من ١٠٠ ألف قضية مخدرات تتعلق بالزراعة والتهريب والاتجار والتصنيع والتعاطي، تورط فيها زهاء ٢٠٠ ألف شخص من جنسيات عربية وأجنبية، بالإضافة إلى موضوع الزراعات غير المشروعة للمخدرات وأساليب اكتشافها ووسائل إتلافها وطرق إحلال زراعات بديلة وتنمية المناطق التي كانت مزروعة بالمخدرات.

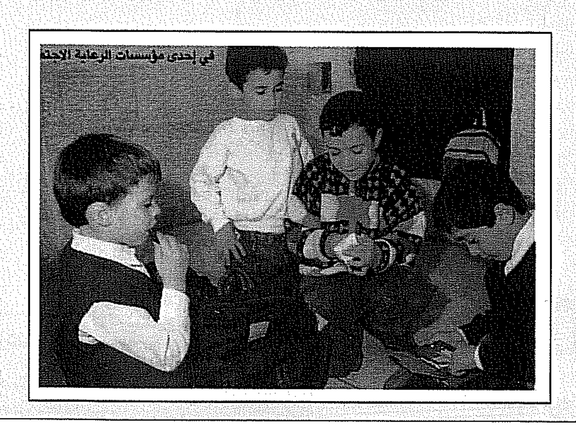
خُمس أطفال كندا شهدوا انفصال والديهم

أدى ارتفاع عدد حالات الطلاق في كندا إلى التأثير على سلوكيات الأحداث خلال العقد الأخير أكثر من أي وقت مضى في تاريخ كندا الحديث، هذا ما ذكرته دراسة جديدة نشرت أمس جاء فيها أن واحداً من كل خمسة أطفال في عمر ١٠ ـ ١١ سنة شهدوا افتراق والديهم قبل أن يبلغوا سن الخامسة، وأن عدداً كبيراً من هؤلاء الأطفال لم يلتقوا أحد الوالدين مرة أخرى بعد الطلاق، ووجدت الدراسة التي أجرتها مؤسسة الإحصاء الكندية أن ٨٦٪ من الأطفال يعيشون مع أمهاتهم بعد الطلاق و ٧٪ مع آبائهم ونحو ٥٨٪ منهم يلتقون أحد الوالدين مرة كل شهر على الأقل.

وأكدت الدراسة ولأول مرة، أن تأثير الحياة المشتركة بين الرجل والمرأة من دون زواج غير عميق على الأطفال غير أنها ذكرت أن الاستقرار والتماسك العائليين في كندا يعانيان من ضعف شديد، وأنه غير واضح حتى الآن ما إذا كان وجود الأطفال يساعد على استقرار العائلة.

وكشفت الدراسة أن نسبة الأطفال الذين ولدوا من أبوين غير متزوجين في مقاطعة كيبك الفرنسية بلغت ٤٧٪ بينما في مقاطعة أونتاريو الانكليزية ٧٪.

والدراسة التي أجريت على ٢٣ ألف طفل فوق سن الحادية عشرة كشفت أن ٩٤٠ ألف طفل من أبوين مطلقين يعيشون في حال فقر، وتعيد الدراسة هذه الحال إلى عدم مساعدة الآباء لأطفالهم، إذ إن ٥٣٪ فقط من الأطفال يتسلمون المساعدات من آبائهم، بينما تحمّل ـ كريس فريلر من رابطة الدفاع عن الطفل الفقير ـ نظام ضمان مساعدة الأطفال القاصرين المسؤولية عن فقر هؤلاء.


في إحدى مؤسسات الرعاية

مولد نبي الرحمة

لقد كانت الجزيرة العربية قبل الإسلام تغط في ظلام دامس من الجهل والتفكك والتخلف الحضاري، كانت تعيش في جاهلية تعم جميع نواحي الحياة فيها، اجتماعية كانت أو سياسية أو تشريعية أو دينية.

وفي هذا الخضم المتلاطم المتناقض بعضه بعضاً، وهذا المجتمع غير المستقر الذي يضل طريقه إلى الحق والخير، انبثق نور النبوة بولادة سيد العالمين وخاتم الرسل أجمعين محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد كان مولده الشريف على أصح الروايات في ١٢ ربيع الأول من عام الفيل، العام ٥٧٠ بعد الميلاد من أسرة قرشية عريقة في الشرف والعزة، ومن سلالة طاهرة تربطه بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

ولد عليه الصلاة والسلام فكان مولده البشارة في خلاص الإنسانية المعذبة مما كانت تعانيه من جهل في الجزيرة العربية وظلم وجور وتسلط في أصقاع الأرض المختلفة.

ولد عليه الصلاة والسلام رحمة للإنسانية وللعرب عزاً وشرفاً، فقد وحد شملهم، وأخلى فكرهم وعقيدتهم لله تعالى وأحل بينهم المودة والإخاء، فاستحقوا بذلك أن يكونوا رواد العلم والفضيلة بعد ذل وجهل وتخلف.

وصدق الله العظيم حيث يقول: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

أربع خصال

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من أُعطي أربع خصال أُعطي خير الدنيا والآخرة وفاز بحظه منها:

ورع يعصمه عن محارم الله،

وحسن خلق يعيش به بين الناس،

وحلم يدفع عنه جهل الجاهل،

وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة.

اتق الله

قال رجل للخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - اتق الله!

فقال رجل ممن حضر ذلك المجلس: أتقول لأمير المؤمنين اتق الله؟

فأجابه سيدنا عمر: دعه يقلها، فلا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم.

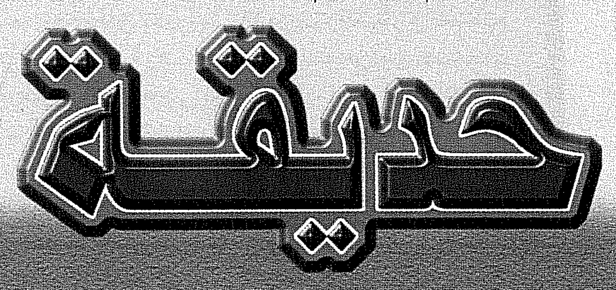
من هدي كتاب الله

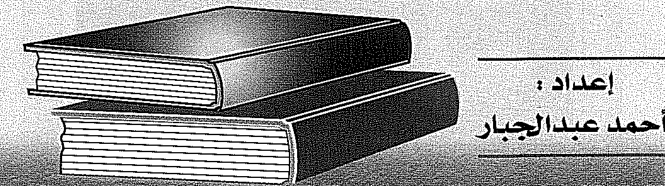
قال تعالى في الآية ٣٥ من سورة الأحقاف:

(فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون).

من هدي رسول الله ﷺ

قال صلى الله عليه وسلم : «ثلاث لا يسلم منهم أحد: الطيرة والظن والحسد، قيل فما المخرج منهن يا رسول الله؟ قال: إذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت لا تبغ».





إعداد :
أحمد عبدالجبار

من خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم

سأل رجل أبا بكر الصديق فقال: يا خليفة رسول الله... من خير الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: عمر بن الخطاب... قال: ولأي شيء قدمته على نفسك؟ قال أبو بكر: بخصال كثيرة... فإن الله باهى به الملائكة ولم يباه بي... ولأن جبريل أقرأه السلام ولم يقرئني... ولأن جبريل قال: يا رسول الله اشدد الإسلام بعمر بن الخطاب.. فالقول كما قال عمر، ولأن الله صدقه في آيتين من كتابه عندما عاتب النبي - صلى الله عليه وسلم - بعض نسائه فأتاهن عمر فقال: لتنتهن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو لينزلن الله فيكن كتاباً، فأنزل الله : (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن)، ولأن عمر قال: يا رسول الله إنه يدخل عليهن البر والفاجر، فأنزل الله: (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب)، ولأن عمر قال: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، فلما قبض أبو بكر قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين: من خير الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: أبو بكر الصديق... فمن قال غير ذلك فعليه ما على المفتري. رضي الله عن الشيخين أبي بكر وعمر ...

تعلموا العربية

قال أبو منصور الثعالبي في كتابه فقه اللغة: من أحب الله تعالى أحب رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن أحب الرسول العربي أحب العربية، ومن أحب العربية عُنِيَ بها وثابر عليها وصرف همته إليها ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان واتاه حسن سريرته فيه اعتقد أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - خير الرسل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

الكتاب

قال أحد الأدباء:

لا أعلم قريباً أحسن موافاة، ولا أعجل مكافأة، ولا أحضر معونة، ولا أخف مؤونة، ولا شجرة أطول عمراً، ولا أجمع أمراً، ولا أطيب ثمرة ولا أقرب مجتنى، ولا أسرع إدراكاً ولا أوجد في كل إبان من كتاب.

شر وخير

شر العمى عمى القلوب، وشر الضلالة... الضلالة بعد الهدى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وشر الأمور محدثاتها، وخير الأمور عواقبها، وخير القصص القرآن، وخير الهدي هدي الأنبياء، وخير الملل ملة إبراهيم عليه السلام، وخير السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم.

قل ولا تقل

قل: تحرى فلان الأمر، ولا تقل: تحرى فلان عن الأمر.

قل: لعله يندم، ولا تقل: لعله ندم

قل: يا مغيث المستغيث، ولا تقل: يا غائث المستغيث.

قل: ينبغي لك ألا تكسل، ولا تقل: ينبغي عليك ألا تكسل.

قل: برز في الثقافة تبريزاً كبيراً، ولا تقل برز في الثقافة بروزاً كبيراً.

قل: أجاب عن سؤاله، ولا تقل: أجاب على سؤاله.

من روائع الشعر

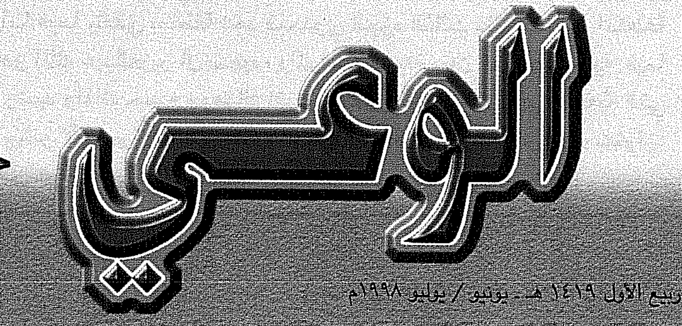
كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلبها
في أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره
لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

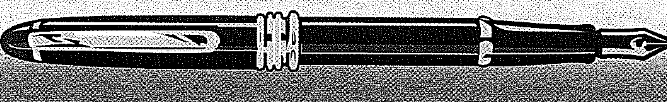
متعة

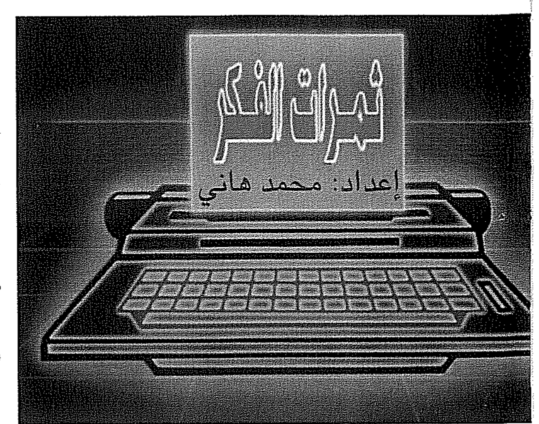
قيل لإعرابي: أي شيء أمتع؟ فقال: ممازحة المحب، ومحادثة الصديق، وأماني تقطع بها أيامك.

من عيون الحكمة

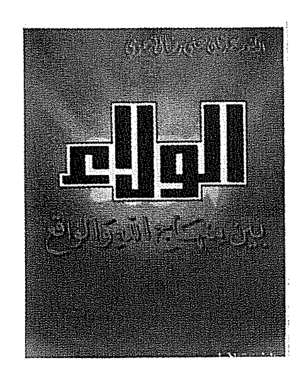
ركب الله تعالى الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب الآدميين من كليهما، فمن غلب عقله شهوته تشبه بالملائكة، ومن غلب شهوته عقله تشبه بالبهائم.







الولاء بين منهاج الله والواقع



كتاب أصدرته دار النحوي للنشر والتوزيع في الرياض، ويقع في نحو ٨٠ صفحة من القطع الصغير قام بتأليفه الدكتور عدنان رضا النحوي وهو يعرض قضية الولاء من خلال منهاج الله، لأن الولاء الأول الخالص لله أساس من أسس الإيمان والتوحيد، وقاعدة كبيرة من قواعده، غاب كثير من معانيها في واقع المسلمين اليوم، واختلطت الصور والمعاني فهو الأساس الذي تقوم عليه الموالاة بين المؤمنين والأخوة الصادقة في الله، أخوة الإيمان، فإذا لم يتحقق هذا الولاء الأول لله رب العالمين في واقع الإنسان فأنى لأخوة الإيمان أن تقوم؟!

وصف الممالك المغربيه

صدر أخيراً عن معهد الدراسات الأفريقية التابع لجامعة محمد الخامس، مؤلّف في طبعتين بالعربية والفرنسية والإسبانية، يحمل عنوان «وصف الممالك المغربية: «١٦٠٣/١٦١٨» ترجمة عبدالواحد أكمير، بمقدمة نقدية وتحقيق توركواتو بيريس دي كوثمان، يقع في ٢٥٠ صفحة من الحجم الكبير.

والمؤلف في الأصل مخطوط كتبه باللغة الإسبانية في العام ١٦١٣م، وهو عبارة عن مذكرات لخورجي دي هنين، الذي جاء إلى المغرب في العام ١٦٠٤م لفك بعض الأسرى المسيحيين، لكن انتهى به المطاف كاتباً خاصاً للسلطان مولاي زيدان، وسمح له منصبه داخل البلاط الاطلاع على معلومات قيّمة، تمكّن من استغلالها بعد فراره إلى إسبانيا ليقدم مشروعه الداعي لغزو المغرب إلى الملك فيليب الثالث.

ويقدم الكتاب وصفاً حياً للأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية التي عرفها المغرب بعد موت أحمد المنصور الذهبي، فبالنسبة للسياسة الداخلية يتحدث عن مواضيع مثل طبيعة العلاقة بين السلاطين والرعية، وبالنسبة للسياسة الخارجية يقدم معلومات عن السفارات الأجنبية التي كانت تحل بالمغرب، وكان المؤلف متمكناً من سبع لغات ومن ثمّ يحضر الجلسات التي يستقبل فيها السلطان السفراء الأجانب حيث يتولى مهمة الترجمة. ومن الناحية العسكرية، سمحت له المشاركة في عدد من المعارك التي دارت بين أبناء أحمد المنصور بتقديم وصف دقيق عن الجيش المغربي والطريقة التي كان يقاتل بها. وفيما يخص الناحية الاقتصادية، وحسب وثائق حصل عليها بحكم منصبه داخل البلاط، قدم تقارير بالأرقام عن مداخيل الدولة المغربية من التجارة الداخلية والخارجية والضرائب، كما وصف أوضاع التجار الأجانب في المغرب وكذلك الأسباب التي تقف وراء عدم استقرار العملة.

النظم التعليميه الوافدة فى أفريقيا قراءة فى البديل الاقتصادي



النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا
قراءة في البديل الحضاري

في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، صدر العدد الثالث والستون من الكتب المذكورة تحت عنوان «النظم التعليمية الوافدة في إفريقيا» قراءة في البديل الحضاري للدكتور قطب مصطفى سانو، وهذا الكتاب الذي يقع في نحو ١٤٠ صفحة من القطع الصغير يمثل إحدى المحاولات والإسهامات المطلوبة لملف التربية والتعليم اليوم بشكل عام، ولواقع القارة الإفريقية بشكل خاص، لأن التربية والتعليم تبقى هي المدخل والمفتاح لكل تغيير وإصلاح وتطوير وتنمية، واسترداد الذات، واستشراف المستقبل، ولأن محاولة استشراف وبناء المستقبل المأمول بعيداً عن مؤسسات التربية والتعليم، نوع من الحراثة في البحر، والقتال بغير عدو... ولعل الكثير من أزمات التعليم وإصاباته ونواتجها المتواضعة في أفريقيا، موجودة بشكل أو بآخر في كثير من بلاد العالم الإسلامي، ولذلك فإن المطلوب بعد هذه الرحلة الطويلة من الضياع والتضليل وتوهم الإنقاذ، المرابطة في مواقع العملية التربوية أو التعليمية المتعددة، والاستمرار في المراجعة وإعادة النظر والتقويم والنقد وتوليد البديل الملائم، المنطلق من عقيدتنا وقيمنا ومرجعيتنا بشكل عام، ويبقى ملف التربية والتعليم بطبيعته مفتوحاً لمزيد من النظر والتقويم، والمراجعة والمشاورة، والنقد، واقتراح البدائل، والإفادة من التجارب، ويستدعي أكثر من بحث، وأكثر من باحث لعل الله أن يهيئ لهذه الأمة أمر رشد تبلغ فيه هدفها في إلحاق الرحمة بالعالمين.

الجزيرة العربيه فى الوثائق البريطانيه

صدر أخيراً المجلد الثالث من المجموعة الموسوعية التي يعدها «نجدة فتحي صفوت» بعنوان: «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ويتكون هذا المجلد من ٢٥٧ وثيقة تعالج السياسة البريطانية منذ بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، وما يعطي هذا المجلد أهميته أنه يضم المراسلات الدبلوماسية المتعلقة بالثورة العربية وتطور عملياتها والمسؤولين البريطانيين من الجهة الأخرى، وأما فيما يتعلق بمنطقة نجد فيحتوي الجزء الثالث على الوثائق المتعلقة بـ«أمير نجد» آنذاك وهو الملك عبدالعزيز آل سعود، والمراسلات بينه وبين الجهات المعنية، فيما يتعلق بعلاقاته بابن رشيد والملك حسين، وهناك تقرير مفصّل كتبه «فيلبي» عن البعثة التي ترأسها إلى الرياض ينشر لأول مرة كاملاً، وكذلك المذكرة المفصّلة لـ «برسي لوكس» بعنوان: علاقات بريطانية مع ابن سعود.

الغرب من الداخل

الغرب من الداخل

دراسة للظواهر الاجتماعية

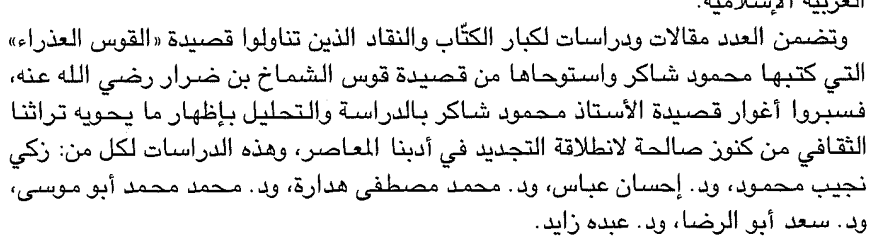
تأليف

د. مازن مطبقاني

عن نادي أبها الثقافي في المملكة العربية السعودية صدر كتاب «الغرب من الداخل... دراسة للظواهر الاجتماعية» من تأليف الدكتور مازن مطبقاني، والكتاب عبارة عن بحث يقوم بدراسة الغرب المعاصر ويقع في قسمين، الأول: المعرفة بالآخر، والثاني: ظواهر اجتماعية في الغرب، قد اهتم القسم الأول من الكتاب بتحديد مفهوم الآخر وفقاً لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم بعض الجهود الأوروبية في معرفة العالم الإسلامي منذ بداية الدراسات الاشتشراقية التي تطورت لتشمل جميع مجالات الحياة في العالم الإسلامي، ثم تناول الدعوة التي ظهرت حديثاً لدراسة جميع مجالات الحياة في العالم الإسلامي، كما تناول الدعوة التي ظهرت حديثاً لدراسة الغرب ويوضح المؤلف في هذه الجزئية مختلف الشخصيات التي اهتمت بهذا الجانب

أما القسم الثاني فيهتم بالظواهر الاجتماعية في الغرب، حيث يقدم أولاً تعريفاً بما يسمى ظواهر اجتماعية، وفقاً لبعض الموسوعات الأمريكية، كما يتناول الظواهر الاجتماعية من خلال المراجع الأوروبية أو من خلال ما تنشره الصحف والمجلات العربية، وهذه الظواهر هي الأسرة، المرأة، الطفل، الجريمة والأخلاق وخلاف ذلك.

عدد خاص من مجله الأدب الإسلامي



صدر العدد السادس عشر من مجلة الأب الإسلامي، وهو عدد خاص عن «فارس التراث الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر» رحمه الله تعالى.

وجاء العدد وفاء وتقديراً لجهود الأستاذ محمود شاكر في خدمة تراث الأمة ولغة القرآن والحفاظ على ثقاتها وأصالته العربية الإسلامية.

وتضمن العدد مقالات ودراسات لكبار الكتّاب والنقاد الذين تناولوا قصيدة «القوس العذراء» التي كتبها محمود شاكر واستوحاها من قصيدة قوس الشماخ بن ضرار رضي الله عنه، فسبروا أغوار قصيدة الأستاذ محمود شاكر بالدراسة والتحليل بإظهار ما يحويه تراثنا الثقافي من كنوز صالحة لانطلاقة التجديد في أدبنا المعاصر، وهذه الدراسات لكل من: زكي نجيب محمود، ود. إحسان عباس، ود. محمد مصطفى هدارة، ود. محمد محمد أبو موسى، ود. سعد أبو الرضا، ود. عبده زايد.

وتحدث في العدد د. عبدالقدوس أبو صالح رئيس التحرير عن معرفته بالأستاذ محمود شاكر عن كثب من خلال ملازمته إياه في مصر، كما تحدث أيضاً د. فهو محمود شاكر عن والده، ويوضح د. عبدالحميد إبراهيم أن محمود شاكر رجل موقف.

ويضم العدد قصيدة للأستاذ محمود شاكر لم تنشر من قبل بعنوان «لاتعودي» ويظهر من خلال هذه القصيدة مدى شاعريته وامتلاكه ناصية الكلمة الشعرية المناسبة التي تقطر رقة وعذوبة مقابل جزالة وقوة وعنفوان قصيدة القوس العذراء، كما يضم العدد حواراً قديماً مع الشيخ محمود شاكر يتحدث فيه عن آرائه ومواقفه الجريئة.

وفي العدد رثاء الشيخ محمود شاكر لكل من د. حيدر الغدير، والأستاذ خليفة بن عربي.

بالإضافة إلى هذا كله يشتمل العدد على تعريف بالرسائل التي ألقيت عن الأستاذ محمود شاكر وعن الندوات التي عقدت حوله بعد وفاته في عدد من البلاد العربية.

وأخيراً فإن هذا العدد يعد مرجعاً عن الشيخ محمود شاكر للدارسين والباحثين.

أخبـار ثقافيـه

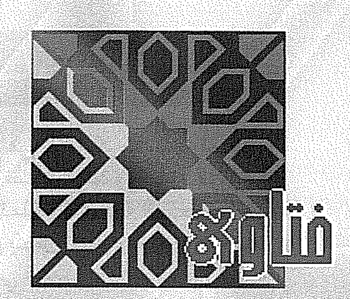
● افتتحت في مكة المكرمة مكتبة إسلامية كبيرة باسم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية في الجامع الذي يحمل اسمه وتضم المكتبة ستة آلاف كتاب في التفسير وعلوم القرآن الكريم والسنة، وعلوم الحديث واللغة العربية والعقيدة والفقه وأصوله والتراجم والطبقات والخطب والمواعظ، كما تضم كتباً دعوية وفكرية وإسلاميات مترجمة إلى اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية والأوردية والبنغالية والميلابارية والإندونيسية و الهندية.

● أصدر وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت أحمد خالد الكليب قراراً وزارياً بإصدار اللائحة الداخلية للجنة التراث التي تم تشكيلها في منتصف العام الماضي.

● صدر العدد الأول من مجلة «عالم الإعاقة» عن مجلس العالم الإسلامي للإعاقة والتأهيل بالتعاون مع برنامج الإعاقة والتأهيل في المركز الوطني للدراسات الاستراتيجية والمركز المشترك في الرياض بالمملكة العربية السعودية وهي تعنى بالرعاية الاجتماعية للمعاقين والمسنين وبرامج رعاية الطفولة والأمومة ويعتبر هذا الإصدار هو الأول من نوعه في عالمنا العربي حيث يسد جزءاً كبيراً من الفراغ الذي يعاني في هذا المجال.

● أشاد مدير إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت - الدكتور سعود العصفور - بالخطوة التي قام بها مركز جمعة الماجد في دبي والمتمثلة بإهداء الإدارة جهازاً للترميم الآلي للمخطوطات، والذي يعتبر الأول من نوعه في البلاد مشيراً إلى الدور الذي تعول عليه الوزارة في قدرة الجهاز الجديد على إعادة المخطوطة بشكل أفضل مما كانت عليه منوهاً بالتكلفة القليلة لهذه العملية.

● أصدرت إدارة الشؤون الاقتصادية والنفطية في وكالة الأنباء الكويتية كتاباً جديداً بعنوان «الأوفست بين النظرية والتطبيق» الذي يعد الأول من نوعه في المكتبة العربية نظراً لحداثة الموضوع عربياً ودولياً ويعرّف الأوفست بأنه أحد أنواع التجارة المقابلة تلتزم بموجبة الشركة الأجنبية التي يرسو عليها مشروع حكومي بإعادة استثمار جزء من قيمة هذا المشروع لصالح الدولة المشترية.



كفارة القتيل بسبب الخطأ

● عرض على اللجنة السؤال التالي:

هل تلزمني الكفارة عن قتيل بسبب خطئه في قيادة سيارته؟

وقع حادث تصادم بين سيارتي وسيارة أخرى وتوفي على أثرها قائد السيارة الأخرى، وبعد ذلك وأمام التحقيق تبين أن الخطأ على قائد السيارة الأخرى، والا شيء عليّ، ثم بعد ذلك سمعت أن عليّ كفارة وهي صيام لأيام عدة، على أن هذا الأمر قتل وقع بالخطأ، فما مدى صحة هذا القول؟ وهل يلزمني صيام بما حصل؟ علماً بأن الخطأ كان من قائد السيارة الأخرى حيث إنه تجاوز إشارة المرور بالخطأ وهذا ثابت بالتحقيق، افتونا مأجورين.

وقد طلبت اللجنة حضور المستفتي فحضر وسألته الأسئلة التالية:

- هل كانت الإشارة مقفلة ثم انطلقت بسيارتك عند فتح الإشارة؟

فأجاب بأنه رآها خضراء حين وصل إليها فاستمر في سيره ولم يتوقف.

ثم سألته اللجنة هل كان بإمكانك رؤية السيارة المخالفة وتفادي الاصطدام؟

فأجاب بأن هناك أبنية تمنعه من رؤية تلك السيارة.

ثم سألته اللجنة كيف تم الاصطدام بين السيارتين؟

فأجاب كنت متجهاً إلى الأمام فجاءت السيارة المخالفة من اليمين متعامدة مع سيارتي وارتطمت مقدمة تلك السيارة بالجانب الأيمن من سيارتي.

■ أجابت اللجنة بما يلي:

بناء على هذه الإجابات تبين للجنة أنه لم يصدر من المستفتي أي فعل أدى إلى تلك النتيجة، وأن المسؤولية كاملة على القتيل في هذا الحادث، لأن الفعل الذي أدى إلى موته صدر منه وحده.

وعليه فلا يلزم المستفتي كفارة في هذا المجال. والله أعلم

خروج المعتدة من بيتها للنزهة

● عرض على اللجنة الاستفتاء الآتي:

امرأة توفي عنها زوجها منذ أسابيع عدة وترغب في الخروج إلى البر لبضعة أيام، وهي مازالت في العدة، فهل يجوز لها ذلك شرعاً؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

أنه يجوز لها الخروج من بيتها لقضاء حاجتها الماسة فقط لا لأمور الترفه، أما المبيت خارج بيتها فلا يجوز، إلا إذا كان عليها خوف من المبيت في منزلها وحدها ولم يكن هناك من تأمن به من أقاربها، والله أعلم.

قتل الجنين المشوه

● عرض على اللجنة السؤال التالي:

امرأة حامل في شهرها السادس، ومرض أحد أولادها بالحصبة الألمانية وانتقل الميكروب إلى الأم الحامل، وبعد فحصها قرر الأطباء أن الميكروب انتقل أيضاً إلى الجنين، كما قرروا أن الجنين المصاب بهذا المرض سيولد مشوهاً، وأشاروا على والديه بإسقاطه، وفعلاً تم إسقاط الجنين لهذا السبب.

فما حكم إسقاط جنين لهذا السبب؟ وهل على أحد والديه دية أم كفارة؟ أو هما معاً؟ وما مقدارها؟ ولمن تدفع الدية؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

أنه يحرم إسقاط هذا الجنين حتى ولو كان مشوهاً ما دام أنه لا خطر على حياة الأم.

والغرة «أي الدية» على من باشر الإجهاض وهي نصف العشر أي ما يعادل ٥٪ من الدية الكاملة، ويحرم الأب والأم من الميراث لأنهما أذنا في إسقاطه وينتقل الميراث إلى من بعدهما. والله أعلم.



● عرض على اللجنة السؤال التالي:

هل يجوز شرعاً الحكم بإعدام تاجر المخدرات إذا عاد إلى الاتجار فيها بعد أن حكم عليه مرة بسبب ذلك، وهل يعتبر من الذين يسعون في الأرض فساداً فينطبق عليه قول الله تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا ...) المائدة ٣٣

■ أجابت اللجنة بما يلي:

أنه لا يجوز إعدام تاجر المخدرات ولو عاد إلى الاتجار فيها لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والمارق من الدين التارك للجماعة» أخرجه البخاري، ولكن إذا رفع السلاح في وجه رجال الدولة أو المواطنين في حال معارضته على هذا العمل، حينئذ يجوز الحكم عليه بالإعدام أي إذا تحققت شروط الحرابة. والله أعلم.

قتل المريض شفقة عليه

● عُرض على اللجنة أسئلة مقدمة من لجنة خيرية، بوساطة أمين السر بالتعاون مع جمعية الأطباء المسلمين في جمهورية جنوب أفريقيا طالبة إبداء الرأي فيها نظراً لما يواجهه الأطباء المسلمون في مختلف بقاع الأرض من مشاكل بسبب عدم وجود فتاوى إسلامية حول هذه المواضيع والأسئلة هي:

هل القتل بدافع الرحمة ـ بالطريقة الايجابية ـ مسموح به في الإسلام قياساً على قتل الحصان الميؤوس من شفائه أي بما يسمى «رصاصة الرحمة»؟ وهل مسموح القتل بدافع الرحمة بالطريقة التلقائية بفصل أجهزة التنفس ونحوه أو بترك معالجة المرض في شخص ميؤوس من شفائه؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

القتل بدافع الرحمة بالطريقة الإيجابية المذكورة حرام شرعاً، ومن أمثلة ذلك: إعطاء المريض بالسرطان الميؤوس طبياً من شفائه جرعة قاتلة «فوق المسموح بها» من مخدر قوي حتى تتوقف أنفاسه، وليس من ذلك فصل جهاز التنفس الصناعي عن مريض ميؤوس طبياً من شفائه أيضاً وقد سبق للجنة أن أجابت في هذا الخصوص بما يلي:

إن التخلص من مثل هذا المريض بأي وسيلة محرّم قطعاً ومن يقدم على ذلك يكون قاتلاً عمداً لأنه لا يباح دم امرئ مسلم صغيراً كان أو كبيراً صحيحاً أو مريضاً، إلا بإحدى ثلاث حددها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة» أخرجه البخاري.

وهذا ليس من هؤلاء الثلاثة، والنص القرآني قاطع في ثبوته ودلالته أن قتل النفس محرّم قطعاً لقوله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق) الأنعام: ١٥١، ويشترك في الإثم والعقوبة من أمر بهذا أو حرّض عليه، وقياس حال المريض على حال الحصان الميؤوس من شفائه فيه امتهان لكرامة الإنسان إذ الحصان يجوز ذبحه حتى ولو كان صحيح البنية بخلاف الإنسان، فإنه معصوم الدم، ووصف الرصاصة القاتلة للحصان برصاصة الرحمة وصفاً لم يقم عليه دليل شرعي، فكيف نسمي الحقنة القاتلة للإنسان بهذا الاسم، وأما بالنسبة للمريض بمرض ميؤوس منه إذا طرأ عليه مرض آخر قابل للعلاج ويؤدي للوفاة إذا أهمل، فإنه يطبق عليه الحكم الأصلي للتداوي وهو عدم الوجوب من جهة الشرع، لأن حصول الشفاء بالتداوي أمر ظني، وهو مطلوب على سبيل الترغيب لا على سبيل الوجود، أما من جهة التعليمات الطبية والقرارات الرسمية المنظمة لها فيجب شرعاً العمل بما تقضي به فيما لا يتنافى مع الشرع. والله أعلم.

خروج المعتدة إلى العمل

● عرض على اللجنة السؤال التالي:

ما الحكم الشرعي بالنسبة لامرأة موظفة توفي عنها زوجها سواء أكانت حاملاً أم غير حامل هل تستمر في العمل أم تنقطع طيلة مدة العدة؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

إن المتوفى عنها زوجها يُباح لها أن تخرج بالنهار لعملها المعتاد، على ألا تتزين بأي نوع من أنواع الزينة، سواء باللباس أو غيره، وعلى أن تبيت في منزل الزوجية الذي كانت فيه عند الوفاة، وذلك مدة العدة، وهي مدة الحمل لمن كانت حاملاً، أو أربعة أشهر وعشرة أيام إن لم تكن حاملاً. والله أعلم

طلقتان واقعتان والثالثة في الغضب لا تقع

● **حضر إلى اللجنة رجل وزوجته، وأفاد الزوج بالآتي: طلقت زوجتي ثلاث مرات والسبب والديّ، والآن، أريد إرجاعها، علماً بأن الطلاق كان في حال غضب.**

وسألته اللجنة الأسئلة التالية:

ـ ما صيغة الطلاق الأول؟ فقال: تشاجرت معها بسبب غيرتها، كانت تذكر أنني أحب إحدى النساء، وكانت تذكر هذا الموضوع أمام أبناء عمي الأمر الذي جعلني أغضب عليها وأقول لها: «أنت طالق» وكان هذا منذ أربع سنوات واستفتيت أحد المشايخ وأرجعها لي.

ـ كيف وقعت الطلقة الثانية؟ قال: تشاجرت معها فقلت لها: «أنت طالق» وكان هذا منذ سنتين واستفتيت أحد المشايخ واعتبرها طلقة ثانية.

ـ ما حال الطلاق الثالث؟ قال: وقعت هذه قبل عشرة أيام بسبب مشاجرة بين زوجتي ووالدتي ما جعلني أغضب وبما أن الطرف الثاني والدتي فما أدري ما الذي أقوله لها الأمر الذي جعلني أوجه الكلام لزوجتي وأطلب منها أن تسكت وتذهب إلى غرفتها إلا أنها زادت في الكلام فهممت لأضربها فأمسكتني والدتي ووالدي الأمر الذي أثار غضبي فقلت لها: «أنت طالق».

وسألت اللجنة الزوجة:

ـ كيف حصل الطلاق الأول؟ قالت: تشاجرت معه وأراد أن يضربني فأمسكوه عني فطلقني.

ـ ما حال الطلاق الثاني؟ قالت: تشاجرت مع أمه فغضب وقال لي: «أنت طالق».

ـ ما حال الطلاق الثالث؟ قالت: كان أكثر شجاراً بسبب والدته فلما عاد من العمل اشتكت والدته عليَّ فغضب وأراد أن يضربني فأمسكه والداه فزاد غضبه وقال لي: «أنت طالق».

ـ أي الحالات كانت أشد بالنسبة للطلقات الثلاث؟ قالت: إنه لم يكن هناك غضب شديد وإنما كان غضبه عادياً.

■ أجابت اللجنة بما يلي:

إن الطلقة الثالثة لم تقع بسبب الغضب الذي سيطر عليه، وهي باقية في عصمته على طلقة واحدة فقط حيث سبقها طلقتان، فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره، ونُصحا بتقوى الله وحسن المعاشرة. والله أعلم.

كوسوفا ...
والتعتيم الإعلامي

بقلم: رفعت محمد بروبي

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه .. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع

جاء الإسلام لإيجاد مجتمع فاضل تتعاون فيه كل القوى بحيث لا يطغى فريق على فريق، وأول مظهر للمجتمع الفاضل المتكامل في الإسلام هو وجود «رأي عام - إعلامي فاضل» يتعاون على الخير ودفع الشر، فإن المجتمع في مظهره العام يكون بيئة صالحة لأن تترعرع في ظلها الفضيلة وتختفي من نورها الرذيلة.

ولأجل ذلك جعل القرآن الكريم الوصف الخاص الذي تعلو به أمة الشريعة الإسلامية، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنه منهاج خير أمة أخرجت للناس إذا تمسكت بهذا المبدأ الذي يكوّن مجتمعاً فاضلاً، وإن الجماعة تكون آثمة إذا رأت الشر يسيرُ - رافعاً رأسه - وسكتت عنه، إذا كان الشر يسيرُ في طريقه ولا يوجد من يُنكره.

ولقد ذَمَّ القرآن الكريم بني إسرائيل لأنهم أفسدوا مجتمعهم بترك الآثمين يرتمون في أحضان الإثم من غير أن ينهوهم عن ذلك.

أقول هذا الكلام نسبة لما يحدث في «كوسوفو» أو «كوسوفا» كما يسميها المسلمون الألبان، حيث ارتكبت المذابح الوحشية هناك دون ذنب ولا جريرة سوى أنها مسألة ثأر قديم، حيث راح الصرب يُكيلون الطعنات للمسلمين هناك رداً على ما سبق أن قام به السلطان مراد إبان الحكم العثماني من قمع لهم وتأديب لوقف سلوكهم المشين تجاه أصحاب الأرض المسلمين، هذا إضافة للحقد على المسلمين حيث تُعد الديانة الحنيفة هي العدو الأول لهم، ومن ثم جاءت الضربات اللاإنسانية للمسلمين هناك في محاولة منهم «أي من الصرب» لإخراجهم من أراضيهم رغم أن الصرب - لا يشكلون إلا نسبة ضئيلة هناك ٧٪ من مجموع السكان، ولكنه الحقد الدفين، إنها ليست المأساة الأولى في سجلهم الأسود من المآسي التي تتعرض لها البلدان الإسلامية سواء أكانت أقليات مسلمة أم أصحاب أرض، فهل هبت الأقلام من رقدتها بالمحابر وتناولت الأحداث الدامية هناك، وهل تحركت بعض الصحف التي تغطُّ في نومها متجاهلة المأساة، هل تحركت لاستنكار تلك الأحداث المؤسفة والواقع المرير. هل تحركت!! هل تحركت!!



صدر حديثاً
عن مجلة
الوعي الإسلامي

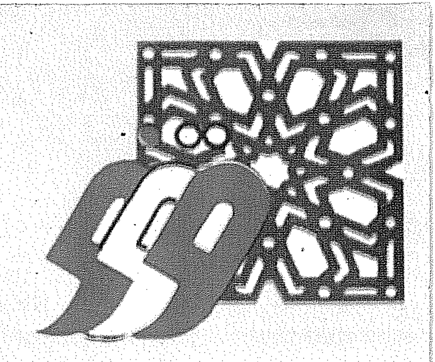
الكشاف العام

لمجلة الوعي الإسلامي

ـ الجزء الثالث ـ



اصـــدار
مجلة الـوعـي الاسـلامـي
قطاع الثقافة الاسلامية
١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م



الأمانة العامة للأوقاف

شارك معنا من خلال
السهم الوقفي
بقيمة ١٠ د.ك

- بـ ١٠ د . ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
- احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
- بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له
« رواه مسلم »

للاستفسار :
رقم : (٨٠٠٨-٢٤١) صباحاً

ولخدمة التحصيل السريع
بيجر : (٩٢٥٠-٩٢٥)

السهم الوقفي
صدقة جارية .. لخدمة الدين والمجتمع